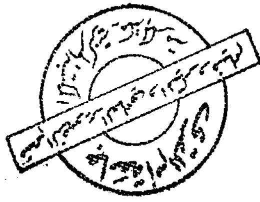


جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة



خصائص الرسالة المحمدية ﷺ

رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية
لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد

أحمد علي عبد الهادي العمري



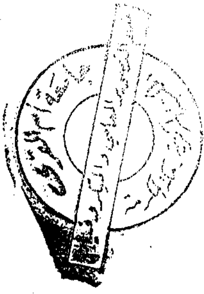
إشراف

الأستاذ الدكتور عبد العزيز عبد الله عبيد

للعام الدراسي

١٣٩٨ / ١٣٩٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــر وتقديــــر

أحمد الله تعالى وأشكره علم الانسان ما لم يعلم وأعاننى بفضله وتوفيقه على كتابة واخراج هذا البحث ، فله الحمد والشكر على ذلك وعلى كل نعمة أنعم بها علىّ . ثم أشكر جامعة الملك عبد العزيز التى أنشأت هذا الصرح الشامخ : " قسم الدراسات العليا الشرعية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمـــــة " وأوجدت فى هذا القسم معظم التخصصات ووفرت لنا كل سبيل للتعلم فشكر الله لها جهدها وبارك فى سعيها لتخريج أجيال مزودة بالعلم والمعرفة والعقيدة .

وأشكر لأستاذى الكريم وشيخى الفاضل الدكتور عبد العزيز عبد الله عبيد الذى كان نعم المرشد والمشرف حيث بذل لى من علمه ووقته ونصحه الشىء الكثير . وقد ذلل لى كثيرا من الصعوبات التى كانت تقف فـى طريقى بارشاده وتوجيهـــــه فكانت هذه الرسالة - على ما أرجو أن تكون عليه - من الاستيعاب والكمال فشكر الله له وأثابه عنى خير الثواب ونفعنا بعلمه .

كما أشكر استاذى فضيلة الدكتور عوض الله جاد حجازى الذى كان له الدور الأول فى توجيهى عند اختيارى لهذا الموضوع فى وضع خطة البحث والارشاد الـى المراجع ، وقد استفدت كثيرا من علمه وتوجيهاته القيمة عند اشرافه فى المراحل الاولى فى هذا البحث فجزاه الله عنى خير الجزاء .

ثم لا أنس أن أشكر لكل من كان له فضل فى هذه الرسالة باهداء نصــــح اوارشاد أو اعارة لكتاب أو بدعوة صادقة مخلصة فشكر الله للجميع وجزاهم عنى خيـر الجـــزاء . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين . أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

أما بعد :

فمنذ أهبط آدم فى هذه الأرض لم يزل الله تعالى يرسل الرسل ويبعث الأنبياء مبشرين ومنذرين ليرشدوا الناس الى طريق الخير كلما ابتعدوا عنه ويهدوهم الى الصراط المستقيم ، ويوصلونهم الى درب السعادة للدارين الآخرة والأولى :

وكان القدر المشترك بين الرسالات الالهية جميعا هو تصحيح العقيدة وردها الى نهجها السليم الصافى ، وازالة الامراض الخلقية والاجتماعية الموجودة فى البيئة التى يبعث اليها كل رسول . وكانت طبيعة الاجتماع البشرى تقتضى ان يبعث الله فى كل قوم رسولا منهم خاصا بهم لان الجماعات البشرية كانت متناثرة ووسائل الاتصال غير ميسورة الى غير ذلك من الاسباب قال تعالى : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) النحل آية ٣٦ .

وهذه الرسالات كاملة وشاملة لمتطلبات المرسل اليهم ووافية باغراضهم ، ثم ان البشرية لما بلغت الى حد القدرة والاستعداد لتلقى رسالة عامة لكل البشر بحيث لا يتعذر فهمها ولا يصعب وصولها الى كل جهات الدنيا أرسل الله خاتم رسله محمدا صلى الله عليه وسلم الى جميع العالم الانسانى فخرجت رسالته عن ذلك

النطاق الضيق الذى كانت تتميز بهسائر الرسالات السابقة وكانت هذه الرسالة من الكمال والشمول بحيث تكون صالحة لمختلف الازمنة والامكنة ووافية بحاجات البشر ومتطلباتها .

ولما كانت هذه الخصائص الجوهرية فى الرسالة المحمدية ينكرها كثير من الأعداء المعاندين للحق ، ويجهلها كثير من الناس والبعض من الناس ينكر بعضها ويؤمن ببعض ، لما كان الامر كذلك رأيت أن أقوم بواجبى تجاه هذه الخصائص حين ترك لى أمر اختيار موضوع وكتابة رسالة فيه فى مجال التخصص للحصول بموجب هـــذه الرسالة على شهادة التخصص الاولى "الماجستير" فقد اخترت هذا الموضوع لعلى أجمل هذه الخصائص فى هذه الرسالة وأبين كذب من ينكرها أو بعضها وأرد على شبهتهم فى ذلك ببيان الحق فى ذلك انشاء الله .

وأمر آخر دفعنى للكتابة فى هذا الموضوع هو أنه يستطرد لجوانب كثيرة فى العقيدة الاسلامية تعود معرفتها علىّ بالنفع أولا لكونى طالب متخصص فى العقيدة . ثم تعود بالفائدة للقارئ المسلم الذى يريد أن يعرف الكثير عن دينه خاصة وأن كثيرا من المسلمين يجهلون الكثير من خصائص هذا الدين الحنيف وأخيرا فهذه الرسالة دليل لغير المسلم الذى يريد أن يعرف ماذا تختص به الرسالة المحمدية عن غيرها من الرسالات .

ولقد زادنى اقداما للكتابة فى هذا الموضوع تشجيع بعض اساتذتى الذيـــن استشرتهم عند اختيارى لهذا الموضوع .

هذا وبعد قراءتى حول هذا الموضوع فى مراجع متعددة وضعت خطة البحث علـــى النحو التالى :

قسمت البحث الى تمهيد وأربعة أبواب وخاتمة كما يلى :

١ - تمهيـــــــد : فى معنى النبى والرسول والفرق بينهما .

٢ - الباب الاول :

اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته .

ويتكون الباب من :

مقدمة أذكر فيها حاجة الناس الى الرسالة قبل بعثة صلى الله عليه وسلم .

الفصل الاول : فى دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثانى : موقف أهل الكتاب من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بينت فيـــه موقف كل من اليهود والنصارى والرد على شبهتهم التى يحتجون بها لذلـك الموقف .

٣ - الباب الثانى :

عالمية الرسالة المحمدية .

ويتكون الباب من :

تمهيد : أبين فيه أن الرسائل السابقة كانت رسائل خاصة وأن العالمية من خصائص رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

الفصل الاول : معنى العالمية فى اللغة وفى الاصطلاح والمراد بكون رسالة محمـد صلى الله عليه وسلم رسالة عالمية .

الفصل الثانى : الدلائل على أن الرسالة المحمدية عالمية وهى أدلة من النقل والاجماع والنهج الذى سلكه الرسـول فى تبليغ الدعوة وسار عليه صحابتــه من بعده .

الفصل الثالث : الشبه الواردة على خصيصة العالمية والرد عليها .

الشبهة الاولى : زعم خصوصيتها للعرب والرد على ذلك .

الشبهة الثانية : دعوى انتشار الاسلام بالسيف والرد على ذلك

٤ - الباب الثالث :

صلاحية الرسالة المحمدية لكل زمان ومكان .

ويتكون الباب من :

مقدمة :

الفصل الاول : الصلاحية فى العقائد .

الفصل الثانى : الصلاحية فى العبادات .

الفصل الثالث: صلاحية نظامه فى اصلاح المجتمع وتحقيق العدالـــــــة الاجتماعية .

٥ - الباب الرابع :

ختم النبوة بالنبوة المحمدية .

ويشتمل الباب على :

مقدمة .

الفصل الاول : معنى الختم فى اللغة ومعنى ختم النبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثانى : الادلة على ختم النبوة من النقل والاجماع وشهادة التاريخ .

الفصل الثالث : الخارجون عن عقيدة ختم النبوة اتحدث فيه اجمالا عـــــن حركات التنبوء قديما .

ثم أتحدث عن حركات التنبوء الحديثة وهى البابية والبهائيـــــــة والقاديانية والرد على مزاعم وأباطيل تلك الحركات فيما ينافـــــض عقيدة الختم .

٦ - الخاتمـــــــة .

هذا والله اسأل أن يهدينى طريق الصواب والتوفيق فيما أهدف اليــــه فى هذه الرسالة من التمام والوفاء بحق هذا الموضوع ،وأرجوه تعالى أن يأخذ بيدى ،وألا يكلنى الى علمى القاصر .

وأرجوه تعالى أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلا ويرزقنا جميعــــا اجتنابه انه سبحانه القادر على مايشاء وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله وبارك على محمد وآله وصحبه ومن اقتفى أثره واتبع سنته الى يـــــوم الديـــن .

تمهيـــــــد

معنى النبى والرسول والفرق بينهما :

النبى : لفظ منقول عن مسماه اللغوى الى معنى عرفى .

ويحسن أن نبين معناه اللغوى أولا حتى نتبين مقدار الصلة بين المعنى اللغوى والمعنى العرفى فنقول :

أ - بيان معنى النبى لغة :

١) قيل هو المنبىء عن الغير مأخوذ من النبأ وهو الخبر فالنبى هو المخبر عن الله تعالى .

٢) وقيل هو مشتق من النبوة وهو المكان المرتفع والرسول موصوف بذلك لعلو شأنه وارتفاع منزلته .

٣) وقيل من النبى وهو الطريق الواضح والرسول موصوف بذلك لانه صلى الله عليه وسلم وسيلة وطريق موصل الى الله تعالى . (١)

ولفظ " نبى "على وزن " فعيل " ويأتى بمعنى " اسم الفاعل " كما يأتى بمعنى " اسم المفعول " .

فعلى تقديرانه بمعنى اسم الفاعل يكون وصفا للرسول على معنى :انه مخبر بالغيوب التى يتلقاها عن الله تعالى بطريق الوحى .

أو مرتفع عن غيره بسبب اصطفاء الله تعالى له بالوحى .

---

(١) انظر القاموس المحيط فى كلمة " النبأ "
وانظر شرح المواقف لعضد الدين الايجى ج ٨ ص ٢١٨ الطبعة الاولى
وانظر كتاب العقيدة الاسلامية وأسسها لعبد الرحمن حبنكه الميدانى ج ٢ ص ٤٠ الطبعة الاولى

وعلى تقدير انه اسم مفعول يكون وصف الرسول به بمعنى :

أنه منبأ بالغيوب

أو مرفوع على غيره بسبب الاصطفاء بالوحي اليه .

ب - وأما المعنى الاصطلاحي للنبي فهو :

" من قال له الله أرسلتك أو بلغهم عني ونحوه من الالفاظ (١)"

والرسول لغـــة :

الذى يتابع أخبار من بعثه أخذا من قولهم : جاءت الابل رسلا أى متتابعة وسمى الرسول رسولا لانه ذو رسالة . (٢)

وأما معناه الاصطلاحي :

فهو نفس التعريف السابق للنبي وهو :

من قال له الله تعالى ": أرسلتك أو بلغهم عني ونحوه "

ولهذا ذهب بعض العلماء الى أن النسبة بينهما الترادف فكل نبي رسول وكل رسول نبي فهما اسمان لمسمى واحد واختار هذا القول ابن الهمام وأورده الفخر الرازى عن المعتزلة فى تفسيره لقوله تعالى :" وما أرسلنا من قبلك من رســـول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته . . ."(٣)

قال الرازى : (وقالت المعتزلة كل رسول نبي وكل نبي رسول ولا فرق بينهمـــا .)

---

(١) انظر شرح المواقف لعضد الدين الايجي ج ٨ ص ٢١٨ الطبعة الاولى

(٢) شرح الفقه الاكبر للامام ملا على القارى ص ٥٨ طبعة دار الكتب العربية الكبرى لمصطفى الحلبي

(٣) سورة الحج آية ٥٢

ومن أدلة هؤلاء :

١) أن الله تعالى خاطب محمداً مرة بالنبي ومرة بالرسول فدل على أنــــه لا منافاة بين الأمرين .

٢) ومن أدلتهم ايضا أن الله تعالى نص على أنه " رسول الله وخاتم النبيين فقال تعالى : (١) " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " (٢) .

وذهب فريق آخر من العلماء الى التفرقة بينهما :

حكى ذلك القاضي عياض بقوله :

(والصحيح الذي عليه الجمهور أن كل رسول نبي من غير عكس) (٣) .

ومن أدلة هؤلاء :

١) أن الله تعالى وصف بهما معا ومن ذلك قوله تعالى في سورة مريم :
"واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا" (٤)
وفي هذا اشعار بتغاير مفهوميهما في الاصطلاح الشرعي .

٢) ومن أدلتهم كذلك قوله تعالى في سورة الحج :
" وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان فــي أمنيته ..." (٥) .
فقد عطف لفظ " نبي " على " رسول " وهو يدل على المغايرة بينهما لأن العطف يقتضي المغايرة .

---

(١) انظر التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد الرازي ج ٢٢ ص ٤٨-٤٩ الطبعة الاولى المطبعة البهية المصرية
(٢) سورة الاحزاب آية ٤٠
(٣) انظر شرح الفقه الاكبر للشيخ ملا علي القاري ص ٥٨ طبعة دار الكتب العربية الكبرى للحلبي
(٤) سورة مريم ٥١
(٥) سورة الحج

ومن السنة المطهرة استدلوا بما روى أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن عدد الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم؟ قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا" .

فدل الحديث على المغايرة بين النبى والرسول وهو يؤيد ما ذهب اليه أصحاب هذا القول .

وقد أخرج هذا الحديث احمد وابن راهويه فى مسنديهما من حديث أبى امامة وأخرجه ابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه من حديث أبى ذر .

وزعم ابن الجوزى انه موضوع وليس كذلك ، نعم قد قيل ان فى سنده ضعفا ولكنه قد جبر بالمتابعة . (١)

وقد ذكر الشيخ محمد ناصر الدين الالبانى فى تحقيقه رواية هذا الحديث أن هذا الحديث صحيح . (٢)

وبهذه الادلة التى استدل بها الجمهور يترجح القول بالتفريق بين النبى والرسول وما استدل به أصحاب الرأى الاول لا يرد القول الثانى الذى يقول بالتفريق بينهما فان الآية الكريمة :

" وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته ... الآية ترد قولهم الا أن العطف هنا من باب عطف العام على الخاص وذلك يوجب المغايرة وانما خوطب صلى الله عليه وسلم ب " يا أيها النبى "مرة و"يا ايها الرسول"

---

(١) انظر روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم لشهاب الدين محمود الالوسى ج ١٧ ص ١٧٢ ادارة الطباعة المنيرية

(٢) انظر كتاب مشكاة المصابيح تحقيق محمد ناصرالدين الالبانى ج ٣ رقم الحديث ٥٧٣٧

مرة أخرى لكونه موصوفا بجميع اوصاف المرسلين ٠ (١)

وأما استدلالهم بقوله تعالى :

" ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم **النبيين** " فى أنهم جعلوا النبى والرسول بمعنى واحد فى الآية فمردود بأن المراد هو أن الله عز وجل جعل محمدا آخر النبيين خلقا وآخر الرسل بعثا ولا منافاة بينهما لانه اذا ثبتت رسالته ثبتت نبوته لان النبى أعم وثبوت الاخص يلزم منه ثبوت الاعم ٠

وقد اختلف القائلون بالفرق بين النبى والرسول فى المراد بكل منهما :

والمشهور فى ذلك :

١) أن **النبى** انسان أوحى اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ٠
وان الرسول انسان أوحى اليه **بشرع وأمر** بالتبليغ (٢) ٠
واعترض على هذا بأن العقل لا يسيغ أن يوحى الى انسان بشرع ولا يأمره بتبليغه لان الشرع علم وأمانة وأداء العلم واجب ٠

وقد يجاب على هذا الاعتراض بأن النبى يكون قدوة **عملية** لمن ظهر فيهم وتكون هذه هى الحكمة فى انبائه ٠

٢) وقيل : الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبى غير الرسول من لا كتاب له ٠

واعترض عليه بأنه يلزم على هذا ان لا يكون يونس ولوط واسماعيل وشعيب

---

(١) انظر شرح كتاب الفقه الاكبر لملاعلى القارى ص ٨٥ طبعة دار الكتب العربية لمصطفى الحلبى الاولى
(٢) انظر كتاب لوائح الانوار البهية لمحمد احمد السفارينى ج ١ ص ٤٣ الطبعة /

رسلا لانه لم ينزل عليهم كتاب . (١)

٣) وقيل الرسول من يأتيه الملك عليه السلام يقظة والنبى يأتيه مناما .
واعترض عليه بأنه يقتضى ان بعض الانبياء - عليهم السلام - لم يوح اليه الا مناما وهو بعيد . (٢)

٤) وقيل ان كلا من النبى والرسول أوحى اليه وأمر بالتبليغ غير أن الرسول أوحى اليه بشرع جديد أما النبى فقد أوحى اليه بالامر بتبليغ شريعة سابقه .

وهذا الاخير هو الارجح لما يأتى :

ان بين النبى والرسول عموما وخصوصا مطلقا فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا . والقاعدة انه اذا قوبل العام بالخاص يراد بالعام ما عدا الخاص فمتى أريد بالنبى ما عدا الرسول كان المراد به من بعث لتقرير شرع سابق وبالرسول من بعث بشرع جديد فتحققت بهذا الفرق المقابلة بينهما ولم يرد عليه شىء من الاعتراضات . (٣)

نعم قد يعترض عليه بأن اسماعيل عليه الصلاة والسلام من الرسل وليس له شرع مجدد .

ويجاب على هذا الاعتراض بأنه يحتمل ان تكون شريعة ابراهيم عليه السلام شريعة له بطريق وحى مجدد اليه . (٤)

---

(١) انظر منهج القرآن فى الدعوة الى الايمان على محمد فقيهى مخطوط بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة مكتبة الدراسات العليا ص ١١
(٢) انظر روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم للالوسى ج ١٧ ص ١٧٣ ، طبعة دار احياء التراث العربى بيروت
(٣) المرجع السابق
(٤) انظر مجموعة الحواشى البهية على شرح العقائد النسفية ج ٢ سنة ١٣٢٩ هـ بمطبعة كردستان العلمية بمصر

الباب الأول

اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته

ويتناول البحث مايلي :

١ - مقدمة : **أذكر** فيها حاجة الناس الى الرسالة قبل بعثه صلى الله عليه وسلم .

٢ - الفصل الاول :

دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

٣ - الفصل الثاني :

موقف أهل الكتاب من رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

أ - موقف اليهود والرد على شبهتهم .

ب - موقف النصارى .

مقدمـــــــة :

عرفنا الفرق بين النبى والرسول . ومحمد صلى الله عليه وسلم جمع لــه بين هذين المعنيين . فهو نبى ورسول فقد نبىء وأرسل بالاسلام . قـــال تعالى : (يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الـــى الله باذنه وسراجا منيرا) (١) .

وقال تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتـــم النبيين وكان الله بكل شىء عليما) . (٢) .

أرسله الله تعالى وكان الناس فى ظلمات من العقائد الزائفة والمزاعـــم الساقطة والعادات المستهجنة والأعمال المنكرة .

أما الزيغ فى العقائد فقد كانت هناك نحل حائدة عن السبيل المستقيم :

فمنهم الثنوية الذين يقولون بالاهين هما : النور والظلمة .

ومنهم عبدة الاصنام وعباد القمر والشمس والكواكب .

والى جانب هولاء كان الدهريون الذين لا يوءمنون باله يدبر العالـــم وينكرون البعث والحساب وما بعدهما .

وكانت هناك الديانتان اليهودية والنصرانية وقد دخلهما التحريـــف والتزييف والتبديل مما أبعدهما عن الصراط المستقيم .

واذا حصرنا النظر فى الجزيرة العربية لرأينا - الى جانب تأثرها بزيغ العقائـــد السابقة لرأينا لها مزاعم ساقطة فقد كانوا يتعلقون بخيالات وآراء مزرية مثـــــل :

---

(١) سورة الاحزاب الآيتين ٤٥ و ٤٦

(٢) سورة الاحزاب الآية ٤٠

الا ستقسام بالأزلام والتشاؤم بكثير من الاشياء .

وأما العادات المستهجنة فكانت تتمثل فى طوافهم بالبيت عُراة ودسهم البنات فى التراب أحياء . (١)

ومع هذا الركام من الشرك والخرافات التى كانت سائدة فى بلاد العرب وغطت على قلوبهم فقد كانت لهم عادات يحمدون بها مثل اكرام الضيف والدفاع عن العرض والوفاء بالعهد لولا انهم فى جانب العقيدة ليست لهم حالة يحمدون عليها وان كان قد وجد من أرباب العقول السليمة من هدتهم عقولهم وفطرتهم الى احتقار ما هم فيه من عبادة الأوثان لاعتقادهم أنها لا تضر ولا تنفع.

واليك مثلا لهؤلاء يرويه ابن هشام فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال :

" عندما اجتمعت قريش يوما فى عيد لها حول صنم من أصنامها تعبده وتعظمه وتنحر حوله القرابين . انفرد من بين هذا الجمع أربعة يتناجون فيما بينهم ثم قال بعضهم لبعض :

تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض : فقال بعضهم لبعض :

تعلموا والله ما قومكم على شىء لقد اخطئوا دين أبيهم ابراهيم ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ؟! يا قوم التمسوا لانفسكم دينا فانكم والله ما أنتم على شىء فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم (٢) ".

قد يلجأ البعض من هؤلاء الى اليهودية أوالى النصرانية ولكن هيهات فمن يهديه الى حقيقة هاتين الديانتين فقد دخلها من التبديل والتحريف ما اضعفها وأصبح الاهتداء الى لب التوحيد الذى دعا اليه موسى وعيسى فى رسالتيهما أمرا غير ميسور بل من المستحيل حتى على المجتهدين فى طلب ذلك فضلا عن غيرهم .

---

(١) انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين محمد الخضر حسين ص ٣٨

(٢) سيرة النبى لابن هشام ج ١ ص ٢٢٦

روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقى عالما من اليهود فسأله عن دينهم فقال : انى لعلى ان أدين دينكم فأخبرنى قال : لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله قال زيد : ما أفر الا من غضب الله ولا احمل من غضب الله شيئا أبدا وأنى استطيعه فهل تدلنى على غيره ؟ قال ما أعلمه الا أن يكون حنيفا .

قال زيد : وما الحنيف ؟ قال : دين ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد الا الله .

فخرج زيد فلقى عالما من النصارى فذكر مثله فقال لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله .

قال : ما أفر الا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا أبدا وأنى أستطيع فهل تدلنى على غيره ؟ قال ما أعلمه الا أن يكون حنيفا قال : وما الحنيف ؟ قال : دين ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد الا الله .

فلما رأى زيد قولهم فى ابراهيم عليه السلام خرج فلما برز رفع يديه فقال :

" اللهم انى أشهد انى على دين ابراهيم " .

ولكن دين ابراهيم لم يكن معروفا لزيد هذا ولا لغيره بل أصبح كما يقول زيد بن عمرو بن نفيل نفسه : فقد روت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخا كبيرا مسندا ظهره الى الكعبة وهو يقول : يا معشر قريش ، والذى نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين ابراهيم غيرى ثم يقول : اللهم لو أنى أعلم أى الوجوه أحب اليك عبدتك به ولكنى لا أعلمه (١) .

وفى هذا الظلام الدامس الرهيب بزغ نور الايمان وطلع نور الاسلام نور التوحيد الخالص يحمله وسط هذا الظلام سيدنا محمد رسول الله من عند الله

---

(١) انظر صحيح البخارى ج ٥ ص ٥٠ - ٥١ وسيرة النبى لابن هشام ج ١ ص ٢٢٨

العلي الحليم أمره الله أن يرشد الناس بهذا النور وأن ينادى بأمر الله وأن يعم بالانذار ويجهر بالدعاء الى الاسلام قال تعالى :" فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين "(١) . وأمره بأن يبدأ بعشيرته الاقربين فقال تعالى :
" وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين "(٢) .

قال ابن عباس رضى الله عنه :
فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فهتف يا صباحاه يا بنى عبد المطلب يا بنى عبد مناف حتى ذكر الاقرب فالاقرب من قبائل قريش فاجتمعوا اليه وقالوا : مالك قال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أما كنتم تصدقونى قالوا : بلى ما جربنا عليك كذبا "(٣) .

قال ابن اسحاق :
فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالاسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته الا من عصم الله تعالى منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون .... ومضى رسول الله على أمر الله مظهرا لامره لا يرده عنه شىء .(٤) .
وأرسل رسله الى ملوك ورؤساء الامم ليبلغ أمر الله تعالى . وكان طبيعيا أن يجد فى طريقه من يحاول صد هذه الدعوة ويحاربها ويقف فى وجهها ويعاندها

---

(١) سورة الحجر آية ٩٤
(٢) سورة الشعراء ٢١٤ - ٢١٥
(٣) اعلام النبوة على بن محمد الماوردى ص ٢٢١ طبعة أولى
(٤) سيرة النبى لعبد الملك بن هشام ج ١ ص ٢٦١

كما فعل مع جميع أنبياء الله قبله كما قال تعالى :

(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولوشاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) . (١) .

وأصبح الناس تجاه هذه الرسالة بعد انتشارها وتبليغها للناس فريقين : مؤمن بها ، ومنكر لها .

والمنكرون ينقسمون أيضا الى قسمين :

القسم الاول : منكرون لها مع اعترافهم بأصل النبوة ووقوعها لانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم . وهؤلاء هم اليهود والنصارى أو كما سماهم القرآن الكريم : "أهل الكتاب".

والقسم الثاني : منكر لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم بل وينكر سائر الرسالات وهم كثيرون يتفقون في الانكار ويختلفون في سببه وذلك كالدهرية الملاحدة الذين ينكرون الله فضلا عن رسله وهم الذين حكى الله مقالتهم في القرآن الكريم قال تعالى :

" وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر " (٢)

وكبعض الفلاسفة الذين لا يتظاهرون بانكار النبوة لكن يقتضي تحقيق مذهبهم انكارها اذ يدعون أنها مكتسبة يستطيع الشخص أن يحصل عليها بنوع من الرياضة والمجاهدة ونحو ذلك .

وكالبراهمة الذين يقولون باستحالة النبوة لذاتها .

وهذا الفريق يتفق مع الفريق الاول في الانكار لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويختلف عنهم في كونهم ينكرون النبوة مطلقا بشبه واهية . وأرى أن الخوض مع

---

(١) سورة الانعام ١١٢

(٢) سورة الجاثية ٢٤

هؤلاء ليس له كبير علاقة بموضوعنا هنا اذ يقتضى البحث معهم اثبات أصل النبوة لا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم على وجه الخصوص وابطال شبههم .

وسأذكر فى الفصل التالى بعض دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للرد على من ينكرها ثم فى الفصل الثانى اذكر موقف أهل الكتاب من رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشبههم والرد عليها .

الفصـــــل الاول

دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلـــم

دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة ومتنوعة وليست نوعا واحدا ، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء عليهم السلام .

ولن أتناول في بحثي هذا جميع دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم بل سأذكر لذلك مجرد أمثلة تكفي للرد على من زعم أنه لم يبعث وأنه لم يأت بمعجزة كمعجزات موسى وعيسى عليهما السلام .

وسأنهج في ذكر هذه الدلائل على حسب الترتيب الزمني لها على النحو التالـــي :

١ - البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في الكتب التي قبله .

٢ - سيرته صلى الله عليه وسلم في قومه قبل البعثة .

٣ - ادعاؤه للنبوة وظهور المعجزات الدالة على صدقه في هذه الدعوى .

الدليـــل الاول

البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلـــم

العلم بأن الانبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بشروا به يعرف من وجوه :

من القرآن الكريم والسنة المطهرة .

من كتب اليهود والنصارى الموجودة .

من أخبار من وقف على كتب اليهود والنصارى القديمة .

الوجـــه الاول :

من القرآن الكريم والسنة المطهرة :

فى القرآن الكريم آيات تصرح بأن اليهود والنصارى كانوا يعرفون أن محمدا صلى الله عليه وسلم مبشر به فى كتبهم وكانوا على علم بأن الله تعالى سيبعث نبيا عربيا مذكورا فى كتبهم باسمه وأوصافه الحقيقية ومن هذه الآيات : قوله تعالى :

" الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون " (١)

والضمير فى قوله تعالى " يعرفونه " راجع الى محمد صلى الله عليه وسلم قال بذلك مجاهد وقتاده وغيرهما .

وقيل ان الضمير راجع الى تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة أنه حق فالآية الكريمة تدل على ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فى كتب أهل الكتاب سواء قصد بالضمير ذات النبى أو ما جاء به فانه يخبر تعالى ان علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعرف أحدهم ولده وخص " الابناء " فى المعرفة بالذكر دون النفس وان كانت الصق لان الانسان يمر عليه برهة لا يعرف فيها نفسه ولا يمر عليه وقت لا يعرف فيه ابنه . روى أن عمر رضى الله عنه قال لعبد الله بن سلام :

أتعرف محمدا صلى الله عليه وسلم كما تعرف ابنك قال نعم وأكثر بعث الله أمينه فى سمائه الى أمينه فى أرضه بنعته فعرفته وابنى لا أدرى ما كان من أمه " (٢)

---

(١) سورة البقرة ١٤٦

(٢) انظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ٢ ص ١٦٢ ط ٣

وأيضا .. (فقد خص أبناءهم من بين أبناء الناس كلهم اذ لا يشك أحد ولا يمترى فى معرفة ابنه اذا رآه بين أبناء الناس كلهم . ثم أخبر تعالى أنهم مع هذا التحقق والاتقان العلمى يكتمون الحق - أى يكتمون الناس ما فى كتبهم من صفة النبى صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون (١) .

ومن ذلك قوله تعالى :

" واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين " (٢) .

قال على بن أبى طالب وابن عباس رضى الله عنهما : ما بعث الله نبيا من الانبياء الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه وأمره ان يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ،

وقال طاوس والحسن البصرى وقتاده : أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا .

قال ابن كثير فى الجمع بين القولين : (وهذا لا يضاد ما قاله على وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه . (٣)

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ١٩٤

(٢) سورة آل عمران ٨١

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٢٥١

وقوله تعالـــــى :

" ... ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون" (١) .

قال ابن كثير في تفسيره للآية :

(هذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتب الانبياء بشروا أممهم ببعثه وأمروهم بمتابعته ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم كما روى الامام احمد ... عن رجل من الاعراب قال : جلبت حلوبة الى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغت من بيعي قلت لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه قال فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشرا التوراة يقرأها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأجمل الفتيان وأحسنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي ؟ فقال برأسه هكذا : أي لا : فقال ابنه اي والذي أنزل التوراة انا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك واني اشهد ان لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله فقال : "أقيموا اليهودي عن أخيكم ثم تولى كفنه والصلاة عليه).(٢)

---

(١) سورة الاعراف ١٥٦ - ١٥٧

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٢٥١

وقد ذكر بعض العلماء في معنى هذه التبعية وجهين :

أحدهما : أن المراد بذلك أن يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفته في التوراة اذ لا يجوز أن يتبعوه في شرائعه قبل أن يبعث الى الخلق .
وفي قوله "والانجيل" ان المراد وسيجدونه مكتوبا في الانجيل لان من المحال ان يجده فيه قبل ما أنزل الله الانجيل .

الوجه الثاني : أن المراد من لحق من بني اسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى أن هؤلاء اللاحقين لا يكتب لهم رحمة الآخرة الا اذا اتبعوه .

والقول الثاني أقرب لان اتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث لا يمكن . وعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله "الذين يتبعون الرسول" من بني اسرائيل خاصة ، ولكن جمهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد بهم جميع أمته الذين آمنوا به واتبعوه سواء كانوا من بني اسرائيل أو غيرهم . والمفسرون مجمعون على أن المراد بالرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم (١)
ومن ذلك قوله تعالى :
" واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين " (٢) . يعني أن التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الامي العربي المكي : احمد (٣) ففي الصحيحين :" لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي تحشر الناس على قدمي وأنا العاقب" (٤)

---

(١) انظر تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن ج ٢ ص٢٩٦ ط ٣
(٢) سورة الصف ٦ (٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص٣٥٩
(٤) رواه البخاري ومسلم

الوجـــه الثانـــــى :

نصوص من التوراة والانجيل تدل على البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم :

وهذه النصوص التى تبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم فى العهديـــن القديم والجديد كثيرة . قال عنها ابن تيمية رحمه الله :

" قد وجد مواضع كثيرة فى الكتب تزيد على مائة موضع استدلوا بها على أنه مذكور" (١) ومع أن التحريف قد دخل فى هذه الكتب حتى غدت نسخها متعددة مختلفــة ومتناقضة فى أحيان كثيرة فانا نعتقد أنها تحوى بقايا من الوحى الالهى وقد أنزل الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم مهيمنا على تلك المأثورات عن الرسل السابقين يؤكد صحيحها ويكشف زائفها (٢) .

ومن الأمور التى أكدها القرآن الكريم أن الرسول محمد صلى الله عليـــه وسلم مبشر به على لسان موسى وعيسى عليهما السلام . فقد وردت بهذه البشارة هذه الكتب وأقرها - القرآن الكريم - كما تقدم فى الآيات والنصوص السابقة .

وسأنقل هنا بعض النصوص من الكتاب المقدس والتى تبشر ببعثه صلى الله عليـه وسلم لالزام المنكرين لنبوته بدليل من عنده لا يستطيع له تحريفا ولا تأويـــلا كما ذكر ذلك صاحب كتاب شرح المقاصد بعد أن أورد نصوصا من التوراة والانجيل تبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث قال :

وأمثال هذا كثير فى كتب الانبياء المتقدمين يذكرها المصنفون الواقفون على كتبهم ولا يقدر المخالف على دفعها أوصرفها الى ملك أو نبى آخر ولا على أن يكتمها (٣) .

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ج ٣ ص ٢٩٤
(٢) انظر نبوة محمد فى القرآن الدكتور حسن ضياء الدين ص ٢٠٩ ط ١
(٣) شرح المقاصد سعد الدين التفتازانى ج ٢ ص ١٤٠ طبعة دار الطباعة سنة ١٢٧٧ هـ

أ - نصوص من التوراة :

١) فى سفر التثنيه فى الاصحاح ٣٣ : ٢ ورد هذا النص :

" ٢ . . . أقبل الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتجلى من جبل فاران

وأتى من ربى القدس وعن يمينه قبس شريعة لهم " (١)

(وسيناء هو موضع مبعث موسى عليه السلام بلا شك وساعير هو موضع

مبعث عيسى عليه السلام وفاران بلا شك هى مكة موضع مبعث محمد

صلى الله عليه وسلم (٢) .

وقد ورد فى سفر التكوين الاصحاح ٢١ فى حال اسماعيل عليه السلام

ما نصه :

" وكان الله مع الغلام حتى كبر فأقام بالبرية وكان راميا بالقوس وأقام

ببرية فاران " (٣)

وهذه الآية التى نقلناها من سفر التثنيه تشبه نبوة موسى عليه السلام

بمجىء الصبح ونبوة عيسى عليه السلام باشراقة ونبوة محمد صلى الله

عليه وسلم باستعلاء الشمس وتلألؤ ضوئها فى الآفاق .

وهذا نص على مبعث النبى محمد صلى الله عليه وسلم . (٤)

٢) وورد فى سفر التثنية فى الاصحاح الثامن عشر هذا النص :

" ١٧ فقال لى الرب قد احسنوا فيما قالوا ١٨ أقيم لهم نبيا من بين

اخوتهم مثلك والقى كلامى فى فيه فيخاطبهم بجميع ما آمره به ١٩ وأى

---

(١) العهد العتيق المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥١م

(٢) انظر الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم ج ١ ص ١١١ الطبعة الثانية

(٣) الكتاب المقدس العهد العتيق المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥١م

(٤) انظر الرسالة المحمدية وشواهدها للاستاذ محمود عبد الوهاب فايد ص ١١٨ طبعة اولى

انسان لم يطع كلامي الذي يتكلم به باسمي فاني أحاسبه عليه ٢٠ وأي نبي تجبر فقال باسمي قولا لم آمره أن يقوله أو تنبأ باسم الهة أخر فليقتل ذلك النبي "(١) .

وهذه البشارة ليست بشارة لـ " يوشع" عليه السلام كمايزعم ذلك أحبار اليهود وليست بشارة لـ " عيسى "عليه السلام كما يزعم ذلك النصارى ،
بل هي بشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم اذ أن في النص قرائن تدل على ذلك منها :

- قوله " مثلك " ويوشع وعيسى عليهما السلام لم يكن أحدهما مثل موسى عليه السلام لانهما من بني اسرائيل ولا يجوز أن يقوم أحد من بني اسرائيل مثل موسى عليه السلام كما تدل عليه الفقرة العاشرة من الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنيه وهي هكذا :
" ولم يقم بعد ذلك من بني اسرائيل مثل موسى يوفه الرب وجها لوجه ...
وقد ورد في ترجمة أخرى للنص " من بني اخوتهم بدلا من قوله في هذا النص : " من بين اخوتهم : والمراد بيني اخوة بني اسرائيل : بنو اسماعيل على ما هو المتعارف .

والمماثلة بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام واضحة فكلاهما جاء بشريعة تامة ... ،أما عيسى فقد قال (ماجئت لانقض بل لاكمل) متى ٥ : ١٧
وكلاهما هاجر من وجه أعدائه فموسى سار الى " مدين " ومحمد عليه الصلاة والسلام هاجر الى " المدينه " وكلاهما حارب أعداءه وظفر بنصر الله له) .

---

(١) الكتاب المقدس العهد العتيق المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥١م

- وقد ورد في النص قوله :

" أجعل كلامي في فمه وهو اشارة الى أن ذلك النبي ينزل عليه الكتاب والى أنه يكون أميا حافظا للكلام وهذا انما اشتهر به محمد صلى الله عليه وسلم " (١)

ب - نصوص من الانجيل :

(١) في الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا ورد النص الاتي :

(ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ١٦ وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم الى الابد . . . " .

وهذا نص الترجمة التي نقل عنها الشيخ رحمة الله الهندي .

وفي ترجمة أخرى ورد النص كالاتي :

" ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الابد . . . (٢) "

فذكر في هذه الترجمة " معزيا " بدلا من " فارقليط " في الترجمة التي نقل عنها صاحب كتاب اظهار الحق . (٣)

٢) وفي الاصحاح السادس عشر من انجيل يوحنا ورد النص الاتي :

" . . . لكني أقول لكم الحق انه خير لكم أن أنطلق لاني ان لم أنطلق

---

(١) هذا تلخيص لبعض الاوجه التي ناقش بها الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه اظهار الحق لهذا النص .
انظر اظهار الحق ج ٢ ص ٢٣٩ وانظر مجلة الدعوة السعودية العدد ٦٢٢ ص ٢٩ في مناقشة لهذا النص
وانظر الرسالة المحمدية وشواهد ها محمود عبد الوهاب فايد ص ١١٦ - ١١٧ ط ١

(٢) كتاب العهد الجديد طبعة المطبعة الامريكانية في بيروت سنة ١٩١٣ م

(٣) اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي ج ٢ ص ٢٧٨

لم يأتيكم الفارقليط فأما ان انطلقت أرسلته اليكم فاذا جاء ذاك فهو يوبخ العالم على خطية وعلى بر وعلى حكم أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بى وأما على البر فلانى منطلق الى الآب ولستم تروننى بعد وأما على الحكم بأن أركون هذا العالم قد دين وان لى كلاما كثيرا أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن واذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتى " .

كذا نقله الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه اظهار الحق (١) ثم قال : ولفظ " فارقليط " هو يونانى ترجمه عن اللفظ العبرانى الذى قاله عيسى عليه السلام وهو مفقود ... " .

ثم قال : اترك البحث عن الاصل وأتكلم عن هذا اللفظ اليونانى فأقول : ان كان اللفظ اليونانى أصله " بيرقلوطوس " ... فتكون بشارة المسيح فى حق محمد صلى الله عليه وسلم بلفظ هو قريب من محمد واحمد .

وان كان اللفظ اليونانى أصله " باراكليطوس " - كما يدعون - فهذا لا ينافى الاستدلال أيضا لان معناه " المعزى والمعين والوكيل أو الشافع على ما بينوه .

وهذه المعانى كلها تصدق على محمد صلى الله عليه وسلم (٢)

---

(١) اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى جـ ٢ ص ٢٧٩

(٢) انظر اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى ج ٢ ص ٢٧٨

وقد أورد الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار فى حاشية كتابه " قصص الانبيـــاء" أنه كان طالبا بدار العلوم وكان يجلس بجانبه العلامة الكبير الدكتور "كارلونلينو" المستشرق التلبانى وقد انعقدت بينهما أواصر الصحبة المتينة ، ودارت بينهما مناقشة فى بعض مسائل الدين : قال النجار فقلت له ـ وأنا أعلم أنه حاصل على شهادة الدكتوراه فى آداب اليهود اليونانية القديمة : ما معنى : "بيريكلتوس"؟ فأجابنى بقوله : ان القسس يقولون ان هذه الكلمة معناها "المعزى" فقلت : انى اسأل الدكتور : "كارلونلينو" الحاصل على الدكتوراه فى آداب اللغة اليونانيـة القديمة ولست اسأل قسيسا فقال : ان معناها الذى له حمد كثير فقلت هــل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد ؟ فقال : نعم ! فقلت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسمائه "احمد" فقال يا أخى أنت تحفظ كثيرا ثم افترقنـــا وقد أردت بذلك تثبتا فى معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح " ومبشرا برســول يأتى من بعدى اسمه احمد" (١)

الوجــــه الثالـــــث :

اخبار من وقف على كتب اليهود والنصارى القديمة وانتظارهم للرسول المبشر به .

كان أهل الكتاب من يهود ونصارى منتظرين ظهور نبى يختم الله بـــه النبوات يأتى برسالة عامة للناس شاملة للشرائع لان كتبهم قد بشرت ونوهت بصفاتـه وكان اليهود فى الجزيرة العربية يدعون الله ان يفتح عليهم بالنبى المنتظر حتـى يتبعوه . ولما بعث صلى الله عليه وسلم كان سبب اسلام بعضهم هو علمهم بذكره فى الكتب المتقدمة بما ثبت عندهم من اخبار من وقف على تلك الكتب وأولئك كالانصار

---

(١) انظر قصص الانبياء تأليف عبد الوهاب النجار ص ٣٩٧ الطبعة الثالثة

فانه من أعظم أسباب اسلامهم ما كانوا يسمعونه من جيرانهم أهل الكتاب من ذكره ونعته وانتظارهم اياه . (١)

(قال ابن اسحاق . حدثني عاصم بن عمر بن قتاده عن رجال من قومه قالوا : ان مما دعانا الى الاسلام - مع رحمة الله تعالى وهداه لنا - لما كنا نسمع من رجال يهود وكنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : انه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسول الله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا الى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا - فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزل هؤلاء الايات من البقرة : (٢)

" ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين " (٣)

وان من خيار اليهود من سكن أرض يثرب مع شدتها وترك أرض الشام مع رخائها لاجل انتظاره لهذا النبي العربي الذي يبعث من ولد اسماعيل . ولم يبنوا الحصون والقلاع بقرب المدينة الا لنصرة رسول آخر الزمان كما كان يخبرهم أنبياؤهم ... عن حسان رضي الله عنه قال : والله انى لغلام يفعه ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت اذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أجمه بيثرب : يا معشر يهود حتى اذا اجتمعوا اليه قالوا له : ويلك مالك؟

---

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيميه ت ج ٣ ص ٢٩٤
(٢) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام ج ١ ص ٢١٤
(٣) سورة البقرة آية ٨٩

قال : طلع الليلة نجم احمد الذى ولد به .

وزاد أبو نعيم فى روايته لهذا الاثر : قال حسان : فاسمعه يقول :
هذا كوكب أحمد قد طلع هذا الكوكب لا يطلع الا بالنبوة ولم يبق من الانبياء
الا احمد . قال : نجعل الناس يضحكون منه ويعجبون لما يأتى منه . (١)

وأورد ابن هشام فى سيرة النبى قصة رجل من اليهود يقال له
ابن الهيبان حين حضرته الوفاة أنه قال : يا معشر يهود ما ترونه أخرجني
من أرض الخمر والخمير الى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا انك أعلم .
قال : فانني انما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبى قد أظلكم زمانه فلا
تسبقن اليه يا معشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبى الذرارى والنساء
ممن خالفه فلا يمنعنكم ذلك منه . فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحاصر بنى قريظة قال : هؤلاء الفتية وكانوا شبابا أحداثا يا بنى قريظة
والله انه للنبى الذى كان عهد اليكم فيه ابن الهيبان قالوا : ليس به قالوا :
بلى والله انه هو بصفته تنزلوا وأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم (٢) .

ولنا من قصة اسلام سلمان الفارسى أعلم الدليل فى هذا المقام حيث
ذكر أنه كان على دين أهل فارس المجوسية ثم أعجب بديانة النصارى وما زال ينتقل
من اسقف الى أسقف ومن كنيسة الى كنيسة حتى كان بعمورية عند رجل يتعبد
لله على دين النصارى فقال له سلمان عندما حضرت الوفاة ذلك الرجل ....
انى كنت مع فلان فأوصى بى الى فلان ثم أوصى بى فلان الى فلان ثم أوصى
بى فلان اليك فالى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال : اى بنى والله ما أعلمه

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ج ١ ص ١٦٦
(٢) سيرة النبى لابن هشام ج ١ ص ٢١٧

أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه ولكنه قد أظل زمان نبي وهو مبعوث بدين ابراهيم عليه السلام يخرج بأرض العرب مهاجره الى ارض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل . (١)

وكان ورقة بن نوفل يتعبد على دين النصرانية اذ كان يعرف العبرانية فدرس ديانة النصارى وعرف ما فى كتبها من البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وانطلقت به زوجته خديجة الى ورقة قالت له : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم بما رأى وعاين فقال ورقة : هذا الناموس الذى كان ينزل على موسى يا ليتنى كنت فيها جذعا ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك قال محمد صلى الله عليه وسلم أو مخرجيّ هم ؟ فقال ورقة الذى علم اخبار النبيين : نعم لم يأت أحد بمثل ما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك هذا انصرك نصرا موءزرا . (٢)

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢١٧

(٢) انظر خاتم النبيين محمد أبو زهره ج ١ ص ٢٩٣ الطبعة الاولى

الدليـــل الثانـــي :

سيرته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة :

ان سيرته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وحال الدعوة وبعد تمامها كل ذلك من أعظم الادلة على نبوته ورسالته اذ أن كونه بهذه الصفة من الكمال الخلقـــي والسمو الروحي والسيرة المثالية في كل شأن من شئون الحياة يحتم ان تكون هذه الصفات لا تجتمع الا في نبي ..

وحسبنا هنا ان نقتصر على صور من أحواله قبل النبوة مما يعرف بارهاصات النبوة ففي ذلك الكفاية لاقناع من يتجرأ على الحق وينكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لو كانت الدلائل والبينات وعدها تجدي مع المتعصبين والمتمسكين بباطلهـــم ، فان في هذه الصور التي خلدتها كتب السيرة والتاريخ ما يدلنا على أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يعد ليكون رسول السماء الى اهل الارض . فمن ذلك :

أنه عندما ولد وسماه جده محمدا وأخذ يلتمس له جده عبد المطلب مرضعـــة أجنبية كما هي عادة العرب وتأتي امرأة من بني سعد تلتمس مع بعض نســوة من قومها الرضعاء رجاء المعروف والاجرة من أهل الرضيع فيُعرَض عليهن الطفل اليتيم محمد فيأبينه لما عرفن من حاله وكرهت حليمة السعدية أن ترجع من بين صواحباتها ولم تأخذ رضيعا ، فترجع الى ذلك اليتيم فتأخذه ، ومن ساعتها تدخل البركـــة على حليمه في كل شيء : في نفسها وفي مالها وعلى اطفالها وبيتها . تقول حليمه : فلم نزل تتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته . وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا (١) قالت : فقدمنا به علــى أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته .

---

(١) جفرا اي غليظا شديدا ويقال هو الصبي ابن أربعة أعوام

ثم تتحدث حليمة عن حادثة شق الصدر فتقول :

فوالله انه بعد مقدمنا بأشهر مع أخيه لفى بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتانا أخوه يشتد فقال لى ولابيه : ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه قالت فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له مالك يا بنى ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى وشقا بطنى فالتمسا شيئا لا أدرى ما هو .

ويؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القصة :

فقد روى ابن اسحاق أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال : نعم انا دعوة أبى ابراهيم وبشرى أخى عيسى ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نوراً أضاء لها قصور الشام واسترضعت فى بنى سعد ابن بكر فبينا انا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذانى فشقا بطنى واستخرجا قلبى فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى أنقياه (١) . وعلى أثر هذه الحادثة (٢) يشير زوج حليمة

---

(١) انظر سيرة النبى لابن هشام ج ١ ص ١٦٨ - ١٧١

(٢) أى حادثة شق الصدر :

وقد روى البخارى رحمه الله حادثة شق الصدر فى كتاب الصلاة وورد فى روايته أن الحادثة وقعت للرسول صلى الله عليه وسلم بمكة ليلة الاسراء والمعراج ، وذكر ابن اسحاق فى روايته ان الحادثة وقعت للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع فى بنى سعد .

وأجاب صاحب عمدة القارى شرح صحيح البخارى بقوله : (قلت أجاب السهيلى بأن ذلك وقع مرتين والحكمة فى الشق الاول نزع العلقة التى قيل له صلى الله عليه وسلم عند نزعها هذا حظ الشيطان منك وفى الثانى ليكون مستعدا للتلقى لما حصل له فى تلك الليلة . . .

انظر عمدة القارى شرح صحيح البخارى محمود بن احمد العينى ج ٤ ص ٤٢ طبعة المطبعة المنيرية بيروت .

على حليمة بالمسارعة فى رده الى امه قائلا : (يا حليمه لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به) .

وترده حليمة الى أمه وتقابله الحياة بما فيها من مفاجآت وأحزان فيفقد أمه ثم جده عبد المطلب ويكفله عمه أبوطالب (وكان شهما كريما غير أنه كان من الفقر بحيث لا يملك كفاف أهله .

وكان محمد صلى الله عليه وسلم فى بنى عمه وصبية قومه كأحد هم على ما به من يتم أفقده الابوين معا وفقر لم يسلم منه الكافل والمكفول . ولم يقم على تربيته مهذب ولم يعن بتثقيفه مؤدب يعيش بين أتراب من نبت الجاهلية وعشراء من حلفاء الوثنية وأولياء من عبدة الاوهام وأقرباء من عباد الاصنام . غير انه كان مع ذلك كله كان ينمو ويتكامل بدنا وعقلا وفضيلة وأدبا حتى عرف بين أهل مكة وهو فى ريعان شبابه بالامين . أدب الهى لم تجر العادة بأن تزين به نفوس الايتام من الفقراء فاكتهل صلى الله عليه وسلم كاملا والقوم ناقصون ، رفيعا والناس منحطون ، موحدا والناس وثنيون سلما وهم شاغبون صحيح الاعتقاد وهم واهمون مطبوعا على الخير وهم به جاهلون ، وعن سبيله عادلون .

ومن السنن المعروفة أن يتيما فقيرا اميا مثله تنطبع نفسه بما تراه من أول نشأته الى زمن كهولته ويتأثر عقله بما يسمعه ممن يخالطه لاسيما ان كان من ذوى قرابته وأهل عصبته ولا كتاب يرشده ولا استاذ ينبهه ... فلو جرى الامر فيه على جارى السنن لنشأ على عقائدهم وأخذ بمذاهبهم الى أن يبلغ مبلغ الرجال ويكون للفكر والنظر مجال فيرجع الى مخالفتهم اذا قام له الدليل على خلاف ضلالاتهم ..... ولكن الامر لم يجر على سنته بل بغضت اليه الوثنية من مبدأ عمره (١) .

---

(١) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص ١٠٩ - ١١٠ الطبعة الرابعة

ثم انه بعد أن جاهر بدعوته بين قومه قريش نراهم يتلمسون له العيوب فيصفونه بالسحر والافتراء وغير ذلك مما ادّعوبه عليه ولكنهم لم يقولوا عنه انه أشرك فى عبادته غير الله أو أنه أتى رذيلة من رذائل الجاهلية ذلك أنهم لم يجدوا لهم عليه سبيلا فى هذين الأمرين ولو كان فيه شىء من ذلك ما سكتوا عنه وقد برأه الله تعالى من جميع ما قالوه فيه وعيروه به ، ولو كانوا اتهموه بالشرك وأمر الجاهلية لبرأه الله منهما كذلك .

لقد كان صلى الله عليه وسلم موحدا حنيفيا قبل أن ينبأ . فهذا بحيـر الراهب يستحلف محمدا - صلى الله عليه وسلم - باللات والعزى حين كان مع عمه أبى طالب رفى رحلتهما الى الشام فقد رأى بحير علامة النبوة فيه وهو صبـى فاختبره بذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا تسألنى بهما فوالله ماأبغضت شيئا بغضهما" . (١) .

وسئل صلى الله عليه وسلم : هل عبدت وثنا قط ؟ قال لا . قالوا فهل شربت خمرا قط ؟ قال لا وما زلت أعرف ان الذى هم عليه كفر وما كنت أدرى ما الكتاب ولا الايمان" .

ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما هممت بشىء مما كان فى الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله تعالى بينى وبين ما أريد فانى قلت ليلة لغلام مـن قريش كان يرعى معى بأعلى مكه : لو أبصرت الى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر بها مايسمر الشباب فقال : أدخل فخرجت أريد ذلك حتى اذا جئت أول دار من دور

---

(١) انظر تفسير الخازن ج ٧ ص ٢٥٩ الطبعة الثانية وبهامشه تفسير البغوى

مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فقلت ما هذا ؟ قالوا فلان بن فلان تزوج فلانه ابنة فلان فجلست أنظر اليهم فضرب الله على اذنى فنمت فما أيقظنى الا مس الشمس قال فجئت صاحبى فقال ما فعلت فقلت ما صنعت شيئا وأخبرته الخبر، قال ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك فقال افعل فخرجت فسمعت حين جئت مكة مثل ما سمعت ودخلت مكة تلك الليلة فجلست انظر فضرب الله على اذنى فوالله ما أيقظنى الا مس الشمس فرجعت الى صاحبى فأخبرته الخبر ، ثم ما هممت بعدها بسوء حتى أكرمنى الله برسالته . (١)

وهكذا شب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه بعنايته من أقذار الجاهلية لما يريده الله من كرامته ورسالته حتى بلغ وكان رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش والاخلاق التى تدنس الرجال تنزها وتكرما .

(وقد مهدت له الدنيا طريقا ولكنه هداها الى غير تلك الطريق فهما تمهيدان يتلاقيان ويفترقان :

تمهيد من قوانين الكون

وتمهيد من العناية الازلية

وحيث ينهض رجل واحد بما يأباه قومه ويأباه معهم أقوام زمانه فليست هى بارادة انسان ولكنها ارادة الله .

وما هى بقدرة أحد أو آحاد ولكنها قدرة الخالق فيما خلق يوليها من يشاء حيث يشاء) (٢) .

---

(١) اعلام النبوة لعلى بن محمد الماوردى ص ١٩٨

(٢) مطلع النور عباس محمود العقاد ص ٢٣٨

الدليـــــل الثالـــــث :

ادعاؤه النبوة وظهور المعجزات الدالة على صدقه في هذه الدعوى :

أ - ادعاؤه النبوة وتواتر ذلك عنه :

نشأ محمد صلى الله عليه وسلم في مجتمع تسوده العصبية والانفة والكبرياء وبين قوم ليس لهم كتاب ، قد رسبت فيهم رواسب الوثنية وتأصلت في نفوسهم عبادة الأصنام والخوف منها والرغبة في خيرها لبعدهم عن التأثر بالاديان السابقة .

نشأ محمد صلى الله عليه وسلم بين هؤلاء وادعى انني بعثت من عند الله بالكتاب المنير لاتمم مكارم الاخلاق واكمل الناس في قوتهم " العلمية" بالعقائـــد الحقة و " العملية بالاعمال الصالحة وأنير العلم بالايمان والعمل الصالح ففعل ذلك ولا معنى للنبوة الا ذلك فان النبي هو الذي يكمل النفوس البشرية ويعالج الامراض القلبية التي هي غالبة على أكثر النفوس فلابد لهم من طبيب يعالجهم ، ولما كان تأثير دعوة محمد صلى الله عليه وسلم في علاج القلوب المريضة وازالة ظلماتها أكمل وأتم وجب القطع بكونه نبيا . (١) .

وقد نقلت الينا هذه الدعوى تواترا بين المسلمين خلفا عن سلف حتى انتهى سندهم الى قوم نقلوه بحضرة جماعة الصحابة وأضافوه الى مشاهدتهم وعلموا تصديقهم لما ادعى عليهم واقرارهم بصحته فوجب القضاء والاعتقاد بنبوة محمد صلى الله عليـــه وسلم بمثل هذا الخبر اذ أن الحجة تلزم بمثل هذا الخبر كما تلزم بالمشاهدة .

وعلى هذا يلزم كافة الناس واليهود والنصارى على الاخص الايمان والتصديق بنبـــوة محمد صلى الله عليه وسلم بمثل هذه الاخبار المتواترة كما يلزمون أنفسهم الايمان

---

(١) شرح المواقف ج ٨ ص ٢٦٤ .

بما يدعونه متواترا عن موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .(١)

ب - اتيانه صلى الله عليه وسلم بالمعجزات :

جرت سنة الله تعالى فى أنبيائه أن يؤيدهم بالمعجزات وأن يسوق بين أيديهم من الخوارق ما يلفت الانظار ويستهوى الافئدة ويقوى من عزائم النفوس لتقبل الدعوة .

ومعجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة وهى أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء عليهم السلام (٢) وهذا دليل على مزيد التشريف والتكرم وشدة الاعتناء بشأنه وشأن نبوته لكونه خاتم النبيين ودينه أكمل الاديان وأعمها وأشملها فناسب ذلك كثرة معجزاته الباهرات .

وسأذكر فيما يلى مجرد أمثلة لهذه المعجزات على النحو التالى :

١) اخباره عن الغيوب الماضية وأمثلة من ذلك .

٢) اخباره عن الغيوب المستقبلة وأمثلة من ذلك .

٣) بعض المعجزات الحسية التى وقعت له صلى الله عليه وسلم .

٤) المعجزة الخالدة "القرآن الكريم" .

---

(١) انظر عمدة القارى شرح صحيح البخارى ج ٤ ص ١٠
والتمهيد للباقلانى ص ١٣٢

(٢) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيميه ج ٤ ص ٦٧ - ٦٨

١ - اخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيوب الماضية :

كان النبى صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب. ولم يكن تلقى علما من أحد وكان يعيش فى مجتمع أمى ومع هذا فقد أتى بأخبار القرون السالفة والامم الهالكة ، وقد أشار الله تعالى الى ذلك بقوله :

"تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين ." (١) .

قال ابن كثير فى تفسير الآية :

(يقول تعالى هذه القصة - أى قصة نوح وأشباهها من أخبار الغيوب السالفة نوحيها اليك على وجهها كأنك شاهدها . نوحيها اليك : أى نعلمك بها وحيا منا اليك " ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا " اى لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها حتى يقول من يكذبك انك تعلمتها منه بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الامر الصحيح كما تشهد به كتب الانبياء قبلك . (٢) .

وكون القرآن الكريم ترد فيه مثل هذه الاخبار تخالف بعض ما جاء فى كتب أهل الكتاب فذلك راجع الى ما فى تلك الكتب من التزوير والتحريف كما يظهر ذلك فى دعوى صلب المسيح عليه السلام اذ يناقض بعضها بعضا فجاء القرآن الكريم - الذى وعد الله بحفظه - ناطقا بالحقيقة ، قال تعالى :

" ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون " (٣) .

---

(١) سورة هود ٤٩

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٤٤٩

(٣) سورة النحل ٧٦

٢- اخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيوب المستقبلة :

لا يشك العاقل فى أن امرأ يدعى النبوة لا يقدم على اخبار اتباعه بما سيقع فى قابل الايام ما لم يكن متثبتا فان لم يكن على يقين من تحقق نبئه لم يجرؤ على التفوه به لئلا يظهر التفاوت والتناقض بين خبره وبين الواقع مما ينفر قلوب الناس ويصدهم عنه وعن دعوته ، ولا يقدر أحد من الناس على التنبوء بما سيكون ، فذلك مختص بعلم الله عز وجل ، فظهور شيء منه على لسان النبى يؤكد صلته بربه ويثبت نبوته . . .

وقد بلغت أخبار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن المستقبل من الكثرة مبلغا عظيما" (١) وهذه أمثلة من ذلك :

أ - فمن القرآن الكريم :

١) قال تعالى : " ألم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين . . . " (٢) .

٢) وقال تعالى : " . . . أم يقولون نحن جميع منتصر . سيهزم الجمع ويولون الدبر " (٣) .

عن عكرمة قال : لما نزلت " سيهزم الجمع ويولون الدبر " قال عمر : أى جمع يهزم ؟ أى جمع يغلب ؟ قال عمر : فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت فى الدرع وهو يقول : "سيهزم الجمع ويولون الدبر" فعرفت تأويلها يومئذ . (٤)

---

(١) انظر نبوة محمد فى القرآن حسن ضياء الدين عتر ص ٢٤١
(٢) سورة الروم ١ - ٤
(٣) سورة القمر آية ٤٤ - ٤٥
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٢٦٦

٣) وقال تعالى : "لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا" (١) .

٤) وقال تعالى : "هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا" (٢) .

ب - ومن الاحاديث :

وردت أحاديث كثيرة يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء تحدث فى المستقبل بعضها تحقق ما أخبر عنه فيها ومنها :

١) ما روى حذيفة رضى الله تعالى عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئا يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء وانه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه . (٣)

وعن عمرو بن أخطب قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا (٣) .

---

(١) سورة الفتح آية ٢٧
(٢) سورة الفتح آية ٢٨
(٣) رواه مسلم فى باب الفتن واشراط الساعة ج٥ ص ٧٤١ و ٧٤٢

٢) ومنها أنه أخبر صلى الله عليه وسلم بقتل أمية بن خلف فلما بلغ أمية ذلك الخبر فزع وعندما استنفر أبوجهل الناس ليدركوا عيرهم كره أمية ان يخرج معهم ولكن أبا جهل ظل يستثيره حتى خرج الى بدر فقتل فيها (١) .

٣) وقال صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر :

" تقتلك الفئة الباغية " (٢) فقتل يوم صفين .

٤) وقال صلى الله عليه وسلم :

" الخلافة بعدى ثلاثون سنة " (٣) .

٥) أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بوفاة أصحمة النجاشى فى اليوم الذى مات فيه .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : نعى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشى صاحب الحبشة يوم الذى مات فيه فقال استغفروا لأخيكم . (٤)

٦) وأخبر صلى الله عليه وسلم عن فتح مصر وأوصى بأهلها خيرا .

عن أبى ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" انكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فاذا فتحتموهـا

---

(١) روى هذا الخبر البخارى فى صحيحه ج ٥ ص ٩١ -
(٢) رواه مسلم فى صحيحه شرح النووى فى باب الفتن واشراط الساعة الحديث ٦٦ ج ٥
(٣) أخرجه الترمذى فى الفتن والنسائى فى المناقب وابن حبان وأخرجه أبو داود بلفظ "خلافة النبوة ثلاثون ثم يؤتى الله الملك من يشاء .
(٤) رواه البخارى فى صحيحه ج ٤ ص ١١١

فأحسنوا الى أهلها فان لهم ذمة ورحما أو قال ذمة وصهرا "(١) .

وقد تحقق هذا الفتح فى عهد عمر بن الخطاب على يد عمرو بن العاص رضى الله عن العمرين .

والاستشهاد فى هذا المجال يطول مما تحقق حصوله من اخبار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه بشرح النووى ج ٥ ص ٤٠٥ طبعة الشعب

٣) أمثلة للمعجزات الحسية التي ظهرت للنبي صلى الله عليه وسلم على خلاف العادة :

من ذلك قصة الاسراء والمعراج قال الله تعالى :

" سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا . . . "

وهذه القصة من أشهر المعجزات الحسية وأظهر البراهين وأقوى الحجج لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ولهذا كان اخباره للناس بهذه القصة سببا لارتداد بعض أناس كانوا قد آمنوا به وسعى رجال من المشركين الى أبى بكر رضى الله عنه فقالوا : هل لك الى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال : أوقد قال ذلك ؟ قالوا : نعم . قال لئن قال ذلك لقد صدق . قالوا : تصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح فقال : نعم انى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه فى خبر السماء فى غدوة أو روحة . ثم انه أقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا نبى الله أحدث هؤلاء انك جئت بيت المقدس فى هذه الليلة ؟ قال : نعم . فقال : يا نبى الله صفه لى فانى قد جئته . . . فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابى بكر فيقول أبو بكر صدقت أشهد أنك رسول الله كلما وصف له منه شيئا - وقول أبى بكر صفه لى لم يكن عن شك فانه صدقه من أول وهلة ولكنه أراد اظهار صدقه لقومه فانهم كانوا يثقون بأبى بكر فاذا طابق خبره عليه الصلاة والسلام ما كان يعلم أبو بكر وصدقه كان حجة ظاهرة عليهم .

وذكر بعض العلماء الى أن الحكمة فى الاسراء الى بيت المقدس اظهار الحق للمعاند لانه لو عرج به من مكة الى السماء لم يجد لمعاندة الاعداء سبيلا الى البيان

والايضاح حيث سألوه عن جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك وأخبرهم أنه مرّ فى طريقه بعير لقريش تحمل طعاما فيها جمل يحمل غرارتين غرارة سوداء وغرارة بيضاء ، فلما حاذى العير نفرت منه واستدارت وانصرع ذلك البعير .

ولما أخبرهم صلى الله عليه وسلم بذلك تأكد لهم حصول هذه المعجزة وأنه أسرى به الى بيت المقدس ، واذا صح لهم أنه أسرى به الى بيت المقدس لزم تصحيح المعراج فكان هذا سبب لقوة ايمان المؤمنين وزيادة فى شقاء من عاند وجحد . (١)

ومن المعجزات الحسية أيضا : انشقاق القمر :

قال الله تعالى : "اقتربت الساعة وانشق القمر . وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر" .

فهذه المعجزة الحسية من أعظم خوارق العادات الحسية التى كانت من آيات النبى صلى الله عليه وسلم .

روى البخارى رحمه الله عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما" .

ومنها كلام الجمادات وتحركها اليه .

عن ابن عمر رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه .

---

(١) انظر المواهب اللدنية بالمنح المحمدية تأليف احمد بن محمد بن أبى بكر الخطيب القسطلانى ج ٢ ص ٤٠ - ٤١

وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة الى شجرة أو نخلة ، فقالت امرأة من الانصار أو رجل : يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا قال : ان شئتم فجعلوا له منبرا . فلما كان يوم الجمعة دفع الى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبى ثم نزل النبى صلى الله عليه وسلم فضمه اليه تئن أنين الصبى الذى يسكن . قال : كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها . (١) .

وعن جابر رضى الله عنه قال :

سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا أفيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فأتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتان بشاطىء الوادى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادى علىّ باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده حتى أتى الشجرة الاخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادى علىّ باذن الله فانقادت معه كذلك ، حتى اذا كان بالمنصف مما بينهما لأمَ بينهما - يعنى جمعهما - فقال : التئما علىّ باذن الله فالتأمتا .

قال جابر : فخرجت أحضر (٢) مخافة أن يحس رسول الله صلى الله عليه وسلم بقربى فيبتعد . . فجلست أحدث نفسى فحانت منى لفتة فاذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا واذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق . . . . . .

---

(١) صحيح البخارى محمد بن اسماعيل البخارى ج ٤ ص ٢٣٧ طبعة مطابع الشعب .

(٢) فخرجت أحضر بضم الهمزة واسكان الحاء وكسر الضاد اى أعدو وأسعى سعيا شديدا .

ويمضى جابر فى حديثه هذا فيقول :

" فأتينا العسكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر ناد بوضوء فقلت ألا وضوء ؟ الا وضوء ؟ الا وضوء ؟ قال : قلت يا رسول الله ما وجدت فى الركب من قطرة وكان رجل من الانصار يبرّد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء فى أشجاب له على حمارة (١) من جريد قال فقال لى انطلق الى فلان بن فلان الانصارى فانظر هل فى اشجابه من شىء ؟ قال فانطلقت اليه فنظرت فيها فلم أجد فيها الا قطرة فى عزلاء شجب منها . لو أنى أفرغه لشربه يابسه فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله انى لم أجد فيها الا قطرة فى عزلاء شجب منها لو أنى أفرغه لشربه يابسه قال اذهب فائتنى به فأتيته به فأخذه بيده فجعل يتكلم بشىء لا ادرى ما هو ويغمزه بيديه ثم أعطانيه فقال : يا جابر ناد بجفنة فقلت : يا جفنة الركب فأتيت بها تحمل فوضعتها بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فى الجفنة هكذا - فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها فى قعر الجفنة وقال : خذ يا جابر فصب علىّ وقل : بسم الله فصببت عليه وقلت باسم الله فرأيت الماء يتفور من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال يا جابر ناد من كان له حاجة بماء قال : فأتى الناس فاستقوا حتى رووا قال : فقلت هل بقى أحد له حاجة ؟ فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهى ملأى (٢) ... الحديث " .

وما أكثر الآيات والعجائب التى وقعت للرسول صلى الله عليه وسلم فكتب السنة مليئة بذكرها وهى تشهد بنبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وتؤكد صدق دعواه وتؤيد بحق انه رسول الله ، وكل واحدة من هذه المعجزات ان لم تتواتر فالقدر المشترك منها وهو ثبوت المعجزة" متواتر ، بلا شبهة كشجاعة على وسخاوة حاتم . (٣) .

---

(١) حمارة : بكسر الحاء وتخفيف الميم والراء : أعواد تعلق عليها اسقية الماء

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى الجزء ٥ ص ٨٥٩ مطابع الشعب

(٣) انظر شرح المقاصد ج ٢ ص ١٣٥

٤) المعجزة الخالدة "القرآن الكريم" :

اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل معجزة كل نبى من جنس ماتفوق فيه أهل زمانه الذين تأتيهم هذه المعجزة حتى يتبينوا صدق الرسول فى دعواه وينظرون الى ماجاءهم به ويعلمون أنه وحى من الله ، فمثلا :

معجزة موسى عليه السلام فى قوم اشتهروا بالسحر كانت قلب العصا ثعبانا واخراج اليد البيضاء من تحت الجناح قال تعالى :

" وما تلك بيمينك يا موسى ، قال هى عصاى أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى . قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هى حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى ، واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى" (١) .

ومعجزة عيسى عليه السلام الى قوم اشتهروا بالطب هى احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص قال تعالى :

" ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الاكمه والابرص وأحى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم " (٢) .

ولا يمنع هذا المقتضى الربانى أن يكون لهم معجزات أخرى غير جنس الذى برعوا فيه ، وعلى هذا المقتضى الربانى أتت معجزة الاسلام الخالدة .
فقد جاء الاسلام فى وقت كان العالم فيه على استعداد للنضج الفكرى وكان العرب

---

(١) سورة طه ١٧ - ٢٣
(٢) سورة آل عمران ٤٩

أكثر اهتماما بصناعة اللسان وعلوم البلاغة والفصاحة (١) فناسب أن تأتى معجزة الاسلام عقلية تخاطب أفكارهم وعقولهم ، وبرهانا علميا وعقليا يساير تطورهم فى هذا المجال لا ينفك عن جوهر الرسالة فجعل حقائق الرسالة ودلائل صحتها كتابا واحدا وجعل من أصول الدعوة وأساليب عرضها البرهان الاكبر لدعوى الرسالة ، فأتى القرآن الكريم بما تتضمن من دساتير العدالة الخلقية والاجتماعية والسياسية وبما تغرس فى الطبائع من آثار الادب والتربية والاستقامة هى رسالة الاسلام ومعجزته وأعظم ما فى هذه الايات أن الفطرة الانسانية تجد فيها مجالها الحيوى (٢)

ولهذا كان للقرآن الكريم تأثير فى نفوس العرب لما كان لتأثير روعة بلاغته ونظمه وأسلوبه فى نفوسهم .

وهذا التأثير كان على نوعين :

١) تأثير فى نفوس أصحاب الفطر السليمة والنفوس الصافية والعقول النيرة .
حيث أدرك هؤلاء أن هذا القرآن حق ولا يمكن أن يكون الا من الله اذ القرآن بلسان عربى من جنس الكلام الذى يعرفونه غير انهم لا يمكن أن يأتوا بمثله روعة وبلاغة وفصاحة لانه فوق مستوى البشر فدفعهم هذا التأثير العظيم على الايمان بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم والوقوف معه فى سبيل نشر دعوته ، وكلما ازدادوا علما بالقرآن وتلاوة له كلما ازدادوا ايمانا وتسليما .

٢) النوع الثانى : تأثيره فى نفوس المعاندين المكابرين المتعصبين فهم يشعرون حقا بأن هذا لا يكون كلام بشر اذ أنهم وهم فى الذروة من الفصاحة والبلاغة لا يمكنهم أن يأتوا بمثله لكن لاجل الباطل المستولى على نفوسهم والحرص

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٤١٨
(٢) عقيدة المسلم محمد الغزالى ص ٢٠٩ الطبعة الرابعة

العظايم من الشيطان لم يسمحوا للايمان أن يحل فى قلوبهم خشية منهم على فوات مركزا جتماعى أوحفاظا على اعتقاد فى وثن أشربت قلوبهم بحبه . ولعدم استطاعتهم أن يأتوا ولو بمثل آية منه ، وللتعصب الاعمى الذى فى نفوسهم والغيظ الذى فى قلوبهم عمدوا الى صد النبى صلى الله عليه وسلم بالقوة عند تلاوة القرآن الكريم فى البيت الحرام وفى أسواق الموسم ومجامعه . حتى أنهم كانوا يقذفونه بالحجارة وهو سبب تواصيهم بما حكاه الله تعالى عنهم فى قوله تعالى :

" وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون " (١)

(وقد أدرك أحد فلاسفة فرنسا هذا التأثير فذكر فى كتاب له قول دعاة النصرانية : ان محمدا لم يأت بآية على نبوته كآيات موسى وعيسى ثم قال هذا الفيلسوف رادا عليهم : ان محمدا كان يقرأ القرآن خاشعا أواها .. فتفعل قراءته فى جذب الناس الى الايمان ما لم تفعله جميع آيات الانبياء الاولين) . (٢)

وأورد هنا بعض الشواهد الكثيرة التى تحكى رد الفعل لتأثير القرآن الكريم فى نفوس القوم بسبب سماعهم له :

- فقد ذكر أن كبراء قريش اجتمعوا فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأتوا هذا الرجل الذى قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه فقالوا : ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة فقالوا : أنت يا أبا الوليد فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فيما قالوا عنه

---

(١) سورة فصلت آية ٢٦

(٢) الوحى المحمدى محمد رشيد رضا ص ١١٨

وما يخافون من عاقبة أمره أن يفضى الى قيام بعضهم على بعض بالسيوف وعرض عليه كل مايمكن أن يريده من المال والرياسة والتزوج بعشر من خير نساء قريش حتى اذا اتم كلامه تلا عليه النبى صلى الله عليه وسلم سورة حم السجده حتى بلغ قوله تعالى :

" ... فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود "

قام عتبة فأمسك على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه فلما رجع اليهم وجدوه متغيرا فقالوا : قد صبأ " اى مال " الى محمد وقص عليهم خبره وما وقع من الرعب فى قلبه من قراءته وما قاله :

(وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب.

وفى رواية أنه قال :

" كلمنى بكلام والله ما سمعت أذناى بمثله قط فما دريت ما أقول له (١) .

وهناك فريق من العرب تجاسروا على القول بأن هذا الكلام من عند محمد وليس من عند الله ، ولما كانوا مطالبين بالاتيان بمثله حتى يقنعوا اتباعهم بصدق هذه الدعوى حرصوا على معارضة القرآن الكريم والتماس الوسائل قريبها وبعيدها لتكذيبه وابطال دعواه وأتوا فى ذلك على مبلغ استطاعتهم .

لقد كان من هؤلاء الملوك الذين تحملهم عزة الملك على معاندته .

وكان منهم الامراء الذين يدعوهم السلطان الى مناوأته .

والخطباء والشعراء الذين يشمخون بأنوفهم عن متابعته .

وكل هؤلاء اشتدوا فى مقاومة القرآن وانهالوا بقواهم عليه استكبارا عن الخضوع له وتمسكا بما كانوا عليه على أديان آبائهم وحمية لعقائدهم وعقائد اسلافهم .

---

(١) الوحى المحمدى محمد رشيد رضا ص ١٢٠

والقرآن الكريم مع ذلك يخطئ آراءهم ويسفه أحلامهم ويحتقر أصنامهم ، ولا حجة له بين يدى ذلك كله الا تحديهم :

أولا : بالاتيان بمثله : فقد تحداهم الله تعالى ان كانوا صادقين فى دعواهم أنه من عند محمد فليعارضوه بمثل ما جاء به وحده وليستعينوا بمن شاءوا وأخبر أنهم لا يقدرون على ذلك ولا سبيل اليه فقال تعالى :

" قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " (١) .

ثم تحداهم ثانيا : حيث تقاصر معهم الى عشر سور منه فقال فى أول سورة هود :

" أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ". (٢) .

ثم تحداهم ثالثا : حيث تنازل معهم الى سورة واحدة فقال تعالى :

" أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين" (٣) .

وكذا فى سورة البقرة - وهى مدنية - تحداهم بسورة منه وأخبر أنهم لا يستطيعون ذلك أبدا فقال تعالى :

" فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين " (٤) .

---

(١) سورة الاسراء ٨٨
(٢) سورة هود آية ١٣
(٣) سورة يونس آية ٣٨
(٤) سورة البقرة آية ٢٤

وهذا كله مع قوله صلى الله عليه وسلم لهم :

" ان أتيتم بمثله فلجتم وكنت مبدلا وكنتم المحقين (١) مع تلاوته قوله تعالى :

" وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون " (٢) .

ولو عرفوه بذلك أو بصحبة أهل الكتاب ونقلة السير ومداخلة أهل الأخبار ومجالسة أهل هذا الشأن لم يلبثوا أن يقولوا له : هذا كذب لانك ما زلت معروفا بصحبة أهل الكتب ومجالستهم وقصدهم الى مواضعهم ومواطنهم وتجاراتهم والاخذ عنهم والاستفادة منهم ، ولاراحهم عن تكلف معارضة سورة منه (٣) .

ولكنهم لما رأوا هممهم لا تسموا الى ذلك وانقطعت بهم السبيل عن معارضتــــه بذلوا له السيف كما يبذل المحرج آخر وسعه واخطروا بأنفسهم وأموالهم وانصرفوا عن توهين حجته الى تهوينها على أنفسهم بقولهم : ساحر وشاعر ومجنون وانمــا يعلّمه بشر وأمثال ذلك مما أخذت به الحجة عليهم وكان اقرارا منهم بالعجز (٤)

وبعد أن أكمل الله لهذه الامة دينها الذى ارتضاه لها ينتقل الرســول صلى الله عليه وسلـم الى الرفيق الاعلى ويترك لامته هذه المعجزة الخالدة الباقية : القرآن الكريم مكتوبا محفوظا ويصل الينا متواترا وهو فى جميع الاحوال والازمان يعلن التحدى لكل من أراد له انتقاصا أو طعنا . وبهذا التحدى الدائم الخالد كان له حق الافضلية على جميع معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بل على جميــع معجزات الانبياء وذلك لانه :

---

(١)
(٢) سورة العنكبوت ٤٨
(٣) انظر التمهيد محمد بن الطيب الباقلانى ص ١٢٠
(٤) انظر اعجاز القرآن مصطفى صادق الرافعى ص ١٧٠ ط ٩

١) باق بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم باعجازه بخلاف جميع معجزات الأنبياء فهى موقوتة بوجود أصحابها .

٢) ولانه تنبثق منه جميع أحكام الشريعة ولا يستنبط من معجزة غيره حكم الشريعة (١) .

وهذه المعجزة راجعة الى كونه كلام الله وهو باق محفوظ بحفظ الله تعالى له : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " أما أصحاب المعجزات فهم بشر مخلوقون معرضون للعدم كغيرهم من مخلوقات الله .

وان التجربة العظيمة والمدة الطويلة التى مر بها القرآن الكريم لأعظم دليل على اعجازه ، اذ قد مر به أربعة عشر قرنا من الزمان وهو يتعرض لكثير من محاولات التبديل والتغيير والتحريف والدس ومع ذلك بقى معجزا وبقى على قدرته على امداد الناس بجميع أحكام الشريعة .

فثبت بهذه المعجزة العظمى وقام الدليل بهذا الكتاب الباقى أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا الى خلقه فيجب التصديق برسالته والاعتقاد بجميع ما ورد فى الكتاب المنزل عليه والاخذ بكل ما ثبت عنه من هدى وسنة متبعة . (٢)

---

(١) اصول الدين عبد القاهر البغدادى ص ١٨٣ الطبعة الاولى

(٢) انظر رسالة التوحيد محمد عبده ص ١٢١ الطبعة الرابعة

الفصـــل الثانــــــى

موقف أهل الكتاب من رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

أهل الكتاب ينكرون رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة مع ايمانهم بالنبوة عامة ذلك أن طائفتى اليهود والنصارى ونحوهم كالمجوس فـــى جملتهم يقفون من الاسلام موقف المعاند المنكر ويقدحون فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته . وهذا الانكار قائم على واحد من أمرين هما :

١) جهل العامة منهم بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهؤلاء ينكــرون الرسالة المحمدية من غير علم أودليل وانما انكارهم مبنى على جهلهم بما أتى به محمد صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بما يمليه عليهم رؤساؤهــم وأحبارهم ورهبانهم . وأضلهم هؤلاء عن معرفة حقيقة الرسالة التى بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم وأنه يجب عليهم الايمان به واتباعه .

٢) وعناد الخاصة منهم وحسدهم بعد أن عرفوا حقيقة ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم ومن واقع الرسالة المحمدية فينكرون هذه الرسالة عنادا للحق مؤيدين باطلهم بحجج واهية ضعيفة ينكرون بها رسالـــة محمد صلى الله عليه وسلم لا تمكنهم من الوقوف أمام دلائل صحة نبوتـــه ورسالته لولا عنادهم وتمسكهم بأكاذيبهم . (١)

وسأذكر موقف كل من اليهود والنصارى وشبههم ثم الرد عليها فيمايلى :

---

(١) انظر هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص ٤٩

أ - موقف اليهود من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم :

تتنوع نظرة اليهود ويختلف موقفهم من الرسالة المحمدية وذلك لتعدد طوائفهم الا انه يمكن حصر هذا الاختلاف فى طائفتين :

الطائفة الاولى :

هم طائفة العيسوية وهؤلاء سلموا بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ولكنهم زعموا أنها خاصة بالعرب الذين نزل القرآن بلغتهم وسيأتى الرد على هؤلاء ومن نهج نهجهم فى **باب** " عالمية الرسالة المحمدية " ان شاء الله تعالى .

الطائفة الثانيــة :

جمهورهم وهؤلاء أنكروا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مطلقا مستدلين بما يلى :

أولا : أنه لو كان محمد نبيا لزم نسخ دين موسى واللازم باطل عند هم مطلقــا لما يأتى :

لان النسخ مطلقا غير جائز أو مستحيل لانه ان لم يكن لمصلحة فعبـث والعبث على الله محال .

وان كان لمصلحة لم يعلمها عند شرعية الحكم المنسوخ فجهل .

وان كان لمصلحة علمها الله وأهملها أولا ثم راعاها فبداء .

ثانيا : لان نسخ شريعة موسى عليه السلام بالذات مستحيل لوجهين :

الوجه الاول : أن موسى عليه السلام نفى نسخ دينه وتواتر النص منه علــى تأبيدها فى مثل قوله : " تمسكوا بالسبت ما دامت السموات والارض " .

ومثل : " هذه شريعة مؤبدة ما دامت السموات والارض "

ويقولون : لابد من الاعتراف بصدقه لكونه نبيا بالاتفاق .

الوجـــه الثانـــــي :

أن موسى عليه السلام اما أن يكون قد صرح بدوام شريعته فتدوم أو بانقطاعها فيلزم تواتره لكونه من الامور العظام التى تتوافر الدواعى على نقلها ولم تتواتـــر أو سكت عن الدوام والانقطاع فيقتضى ثبوت دينه مرة واحدة وعدم تكرره لان مقتضى الاطلاق يتحقق بالمرة الواحدة . (١)

---

(١) انظر : شرح المواقف للشريف الجرجانى ج ٨ ص ٢٦١ الطبعة الاولى
انظر : شـرح المقاصد لسعد الدين التفتازانى ج ٢ ص ١٤٠ ط ١٢٧٧هـ

الجواب عن شبهة اليهود السابقة :

سيتناول البحث هنا الرد على شبهتهم والاقتصار على ذلك دون ذكر الوجوه الكثيرة التي ذكرها العلماء لاثبات النسخ عقلا وشرعا وذلك خشية الاطالة ولكثرة جوانب الموضوع ولما سيرد منها في ثنايا البحث في موضعه .

ويلاحظ من النظر في شبهة اليهود هذه أنها ترتكز على نفيهم للنسخ مطلقا .

وسأجيب عن شبهتهم التي تمسكوا بها في ذلك ثم نناقش الامر الثاني وهو ما استدلوا به على نفي نسخ شريعة موسى عليه السلام .

الجواب عن الامر الاول وهو : نفيهم للنسخ مطلقا :

١ - استدلالهم على نفي النسخ بأنه ان لم يكن لمصلحة فعبث .

فالجواب :

أنه لا يجب على الله تعالى مراعاة المصالح في الاحكام ولا يجب عليه لعباده شيء عند جمهور المسلمين بل هو سبحانه الفاعل المختار وله بناء على اختياره ومشيئته أن يأمر عباده بما شاء وينهاهم عما شاء وأن يبقي من أحكامه على ما يشاء وينسخ منها ما شاء . لكن ليس معنى هذا انه - سبحانه - عابث أو مستبد أو ظالم بل أفعاله كلها لا تخلو عن حكمة بالغة وعلم واسع وتنزه عن البغي والظلم ." (١)

وان قيل بوجوب مراعاة المصالح في الاحكام كما ذهب اليه اليهود ووافقهم

(١) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ج ٢ ص ٨٣ طبعة ٣

فى ذلك طائفة المعتزلة من المسلمين فلا يلزم أن يكون الحكم المنسوخ مشتملا على مصلحة عند النسخ اذ ربما حدثت مصلحة لم تكن حاصلة قبل فان المصالح تختلف بحسب الاوقات والاحوال . فربّ دواء يصلح فى الصيف دون الشتاء ولزيد دون عمرو ، ولهذا ورد فى التوراة أن آدم أمر بتزويج بناته من بنيه ثم نسخ وفاقا وربما كانت المصلحة فى وقت ثبوت الحكم لاشتماله فيه على ما يجب رعايته وفى آخر ارتفاعه لاشتماله فيه على مصلحة أخرى حادثة بعد زوال الاولى أو مرجوحيتها مقيسة الى الثانية (١) .

فلا يلزم ما ذكرتم من استلزام العبث وذلك لاشتمال الناسخ على المصلحة الراجحة أو لزوال المصلحة من المنسوخ .

وأيضا ما ذكرتم من استلزام النسخ للجهل أو البداء على الله تعالى باطل ؟ ! :

اما أن النسخ لا يستلزم الجهل :

فلان النظر الصحيح فى هذا العالم يدلنا على أن خالقه ومدبره متصف أزلا وأبدا بالعلم الواسع المطلق المحيط بكل ما كان وماسيكون وما هو كائن . وقد أرسل الانبياء بالحجج والبراهين وأيدهم بالمعجزات الباهرة وقد سبق فى علمه أن الحكم المنسوخ الذى أرسل به الانبياء مؤقت لا مؤبد ولكنه عليم بجانب ذلك أن توقيته انما هو بورود الناسخ فلا يلزم ما ذكرتم من استلزام الجهل على الله تعالى لانه يعلم الناسخ والمنسوخ أزلا فلا جهل (٢)

---

(١) انظر أ - شرح المقاصد للتفتازانى ج ٢ ص ١٤٠ طبعة ١٢٧٧ هـ
" ب - وشرح المواقف لعضد الدين الايجى ج ٨ ص ٢٦٠ طبعة اولى
" ج - وروضة الناظر وجنة المناظر فى اصول الفقه عبدالله بن احمد ابن قدامة ص ٣٨ ط ١٣٨٦ هـ

(٢) انظر مناهل العرفان لمحمد عبدالعظيم الزرقانى ج ٢ ص ٧٧

وأما البـــــداء :

فله فى لغة العرب معنيان :

الاول : الظهور بعد الخفاء يقال : بدا له الشيء اذا ظهر ومنه قوله تعالى :

" وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون" (١) .

الثاني : هو الندم على ما كان بأن يقول قولا أو يفعل فعلا لغرض ثم يرى أن المصلحة فى غير ما صدر عنه قولا أو فعلا . قال فى القاموس :

(وبدا له فى الامر بدوا وبداء أى أنشأ له فيه رأى) ومنه قوله تعالى :

" ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين" (٢) أى نشأ لهم فى يوسف رأى جديد هو أن يسجن سجنا وقتيا . (٣)

ونحن المسلمين نقول بأن كلا المعنيين السابقين لمعنى البدا فى اللغة العربية لا يجوز شيء منها على الله تعالى فهى مستحيلة وممتنعة على الله تعالى ولكن نخالف اليهود من حيث أنا نقول بالنسخ وأنه لا يؤدى الى شيء من المعنييـــن فى حق الله تعالى .

أما على المعنى الاول :

فكون النسخ لا يؤدى اليه فى حق الله تعالى لان المعلومات كلها ظاهرة لديه مكشوفة عنده فانه تعالى عالم بالتكليف عند توجهه على العبد المكلف وكان عالما برفعه عند النسخ فلم يظهر له أمر متجدد لم يعلمه من قبل بل ان النسخ هنا هو اظهاره تعالى ما علم لعباده لا ظهور ذلك له فهو فى حق العباد نسخ وفى حق

---

(١) سورة الزمر ٤٧
(٢) سورة يوسف ٣٥
(٣) انظر مناهل العرفان للشيخ الزرقانى ج ٢ ص ٧٦

اللهتعالى بيان ولهذا ذهب كثير من العلماء الى تعريف النسخ بأنه :

" بيان انتهاء الحكم الشرعى الذى تقرر فى أوهامنا استمراره بطريق التراخى "،

ثم قالوا توجيها لهذا الاختيار :

ان فى هذا التعريف دفعا ظاهرا للبداء وتقريرا لكون النسخ تبديلا فى حقنا بيانا محضا فى حق الله تعالى .(١)

وأما على المعنى الثانى :

فهو كالذى قبله من حيث انه لا يؤدى اليه النسخ لانه تعالى لا يتصور فى حقه الندم ،لان النظر الصحيح فى هذا العالم دلنا على أن خالقه ومدبره متصف ازلا وأبدا بالعلم الواسع المطلق المحيط بكل شىء كائن وكان وسيكون (٢) والندم لا يكون الا عن جهل الفاعل بما يترتب على فعله من مضرة أو فساد فهو يندم حينما ينكشف له ذلك وهذا مستحيل بالنسبة لله تعالى لا حاطة علمه كما تقدم .

الجواب عن الامر الثانى :

وهو قولهم باستحالة نسخ شريعة موسى عليه السلام لوجهين :

فالجواب عن الوجه الاول :

ان ما احتجوا به لا يثبت دعواهم ولا يقوم حجة لهم وذلك لما يأتى :

أولا : أنه لم يتواتر دوام السبت وتأبيد الشريعة عن موسى عليه السلام ولو كان متواترا كما زعموا لاحتج به اليهود الذين عاصروا محمدا صلى الله عليه وسلم ولو احتج

---

(١) انظر مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ج ٢ ص ٧٨ و ٧٩ طبعة البابى الحلبى

(٢) انظر نهاية الاقدام فى علم الكلام عبد الكريم الشهرستانى ٤٩٩ - ٥٠٠

بسه عليه لنقل ذلك الاحتجاج متواترا لتوفر الدواعي على نقله ولكن لا تواتر أصلا وقد اشتهر (١) انه اختلقه ابن الراوندى (٢) لليهود .

ويقول ابن حزم رحمه الله :

"... ان قال قائل من اليهود ان موسى عليه السلام قال لهم فى التوراة لا تقبلوا من نبى أتاكم بغير هذه الشريعة .. قال ... قلنا له - وبالله تعالى التوفيق - : لا سبيل الى أن يقول موسى عليه السلام هذا بوجه من الوجوه لانه لو قال ذلك لكان مبطلا لنبوة نفسه وهذا كلام ينبغى أن يتدبر وذلك انه لو قال لهم لا تصدقوا من دعاكم الى غير شريعتى وان جاء بآيات فانه يلزمه اذا كانت الآيات لا توجب تصديق غيره اذا أتى بها فى شيء دعا اليه فهى غير موجبة تصديق موسى عليه السلام فيما أتى به اذ لا فرق بين معجزاته ومعجزة غيره اذ بالآيات صحت الشرائع ولم تصح الآيات بالشرائع ... ثم قال :

---

(١) انظر شرح المواقف للشريف الجرجانى ج ٨ ص ٢٦٢ طبعة أولى وانظر شرح المقاصد للتفتازانى ج ٢ ص ١٤١

(٢) ابن الراوندى هو أبو الحسين احمد بن يحى ، بسط لسانه فى مناقضة الشريعة وذهب يزعم ويفترى .
وقد كان من المعتزلة ثم خالفهم فنبذوه واشتدوا عليه . فحمله الغيظ على أن مال الى الرافضة .
قالوا : لانه لم يجد فرقة من فرق الامة تقبله ثم ألحد فى دينه وجعل يصنف الكتب لليهود والنصارى وغيرهم فى الطعن على الاسلام وهلك فى منزل رجل يهودى اسمه أبو عيسى الاهوازى وكان يؤلف له الكتب وذلك سنة ٢٩٣ على رواية أبى الفداء ، وفى كشف الظنون سنة ٣٠١ وفى وفيات ابن خلكان سنة ٢٥٠ .
وانظر اعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعى ص ١٨٠

(وأيضا فان هذا القول المنسوب الى موسى عليه السلام كذب وموضوع ليس في التوراة شيء منه) (١) .

ثانيا : أن أكثر اليهود ومن يعتمد عليه في المناظرة والمدافعة قالوا : ان الذي نقل عن موسى - عليه السلام - في هذا الباب هو أنه قال :

" ان أطعتموني فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه ثبت ملككم كما ثبتت السموات والارض " ولم يذكر النسخ ولا أن الشريعة لا تنسخ ولا أنه لا نبي بعده ينسخها ولا أنها مؤبدة عليكم ولازمة لكم مادامت السموات ، ولا شيء من هذه الالفاظ وكل ما يدّعونه من هذا أباطيل .

كذا ورد في التوراة :

" من أتاكم يدعي نبوة وهو كاذب فلا تصدقوه - فاذا قال عن الله شيئا ولم يكن كما قال فهو كاذب " .

فيعلم من هذا انه اذا أخبر عن الله تعالى بشيء وكان كما قال فهو صادق فيجب الايمان به فقد أخبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأشياء فكانت كما أخبر به كاخباره بغلبة الروم على كسرى وانذاره بقتل الكذاب العنسي وغير ذلك - كما سيأتي . (٢)

وأما قوله " ان اطعتموني فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه . . . " فليس فيه دليل على أن الشريعة التي أمر بطاعته في العمل بها لا تنسخ لان الانسان قد يقول مثل هذا ثم ينسخ العمل ويديم ماضمنه على الطاعة فيه قبل نسخه لان القائل اذا قال :

---

(١) الفصل في الملل والاهواء والنحل للامام أبي محمد علي بن احمد بن حزم الظاهري ج (١) ص ١٠٨ الطبعة الثانية

(٢) المرجع السابق

ان أطعتنى فيما أمرتك ودعوتك اليه ثبتت مكانتك ودامت كرامتك لدى وقرب مكانك من مكانى جاز أن ينسخ الامر بعد فعله ووجب أن يديم بعد نسخه ما ضمنه وانما لم يثبت ملك بنى اسرائيل لانهم عصوه فى ايام حياته وبعد وفاته وحرفوا وغيروا وبدلوا فزال عند ذلك ملكهم وضربت عليهم الذلة (١) كما قال تعالى :

" واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " (٢) .

وكما قال تعالى :

" ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " (٣) .

خطأ التأويل :

واذ قد تبين بالامرين السابقين خطأ اسناد ما استدلوا به الى موسى عليه السلام لكن على فرض التسليم صحة ذلك الاسناد فقد أخطأوا من حيث التأويل حيث زعموا ان مراد موسى عليه السلام بذلك نفى النسخ على كل حال ولزوم العمل بشريعته وان ظهرت البينات على يد من يدعوا الى نسخها وتبديلها وهو انما أراد - اذا

---

(١) انظر التمهيد فى الرد على الملحدة للباقلانى ص ١٤٢ - ١٤٣

(٢) سورة البقرة ٦١

(٣) سورة آل عمران ١١٢

سلمنا بصحة الاسناد - ان ذلك لازم ما لم تظهر المعجزات على يد داع يدعو الى خلافها وتبديلها لانه قد قيد في العقل وجوب تصديق من ظهرت الاعلام على يده والمصير الى حكم قوله وسقوط العمل بما أخبر بنسخه وازالته كما أنه قد قيد في عقولنا وجوب سقوط فرض العمل بالشريعة مع الموت والعدم والعجز والم يكن ذلك في سياق اللفظ فهو مقيد في العقل .

وكذلك معنى قوله " هذه شريعة مؤبدة ما دامت السموات والارض "ونحو هذا اللفظ مما تسندونه الى موسى عليه السلام فان المعنى يكون : ما لم يبعث الله نبيا تظهر الاعلام على يده يدعو الى نسخها وتبديلها كما أنه كثيرا ما يعبر بالتأبيد والدوام عن طول الزمان (١) فان في التوراة أيضا : " ان هذه البلاد يسكنونها أبدا " ، وقد خرجوا من هذه البلاد (٢) فعبر بالابدية عن طول الزمان .

ثم ألا يمكن أن يقال ان مراد نبي الله موسى عليه السلام هنا - على فرض صحة الاسناد - الا يصح أن يكون مراده ما جاء في رسالته من العقائد والاخلاق وهما ما اتفقت عليه جميع الرسالات السماوية السابقة لدعوته واللاحقة : " ان الدين عند الله الاسلام " (٣) .

" وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا " .. (٤)

" .. من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون " (٥) .

---

(١) انظر كتاب التمهيد محمد بن الطيب الباقلاني ص ١٤٠ ، وانظر شرح المقاصد للتفتازاني ج ٢ ص ١٤١

(٢) انظر الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم ج ١ ص ١٠٩ - ط ٢

(٣) آل عمران ١٩

(٤) الاسراء ٢٣

(٥) المائدة ٣٢

الجـواب عن الوجه الثانـى :

أما استدلالهم على أن موسى عليه السلام نفى نسخ دينه بقولهم :

اما ان يكون موسى قد صرح بدوام دينه أو بعدم دوامه أوسكت عنهما . . . ،

(فنختار منه أنه صرح بدوامه الى ظهور الناسخ على لسان نبى يأتى من بعده وانما لم ينقل ذلك تواترا ، اما لقلة الدواعى منهم الى نقله لما فيه من الحجة عليهم لا لهم

واما لقلة الناقلين فى بعض الطبقات المعتبر كثرتها فى التواتر لان اليهود جرت لهم وقائع ردتهم الى أقل القليل ممن لا يحصل التواتر بنقله كما فى زمن بختنصر فانه قتلهم وأفناهم الا من شذ منهم (١)) .

وبهذا يتضح سقوط دعوى نفى نسخ شريعة موسى عليه السلام .

وقد أورد الباقلانى فى كتابه التمهيد اعتراضا قد يعترض به هؤلاء تعزيـزا لشبهتهم التى يقصدون بها انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته ، ولا تتم الفائدة فى الرد على شبه هؤلاء وسد الطرق التى يتذرعون بها أورد هـذا الاعتراض والجواب عله بنصه . قال الباقلانى :

(وان هم . . . قالوا :

" ما الذى يدل عندكم على منع نبى بعد نبيكم " عليه السلام ؟

قيل لهم : الخبر الوارد عنه صلى الله عليه وسلم وهو ما نقلته كافة الامة من قوله : " لا نبى بعدى " وقد نقلوا ذلك عن سلفهم والخلف عن سلف حتى يتصل ذلـك بمن شاهد النبى صلى الله عليه وسلم أنه أكد هذا القول وعرّاه عن كل قرينة توجب

---

(١) شرح المواقف للشريف الجرجانى ج ٨ ص ٢٦٢ طبعة أولى

تخصيصه وقرنه بكل ما أوجب العلم بعموم مراده للنفي لسائر الانبياء بعده ممن ينسخ شريعته وممن لا ينسخها من العرب وغيرها وفي عصره وبعد وفاته والى أن يرث الله الارض ومن عليها .

فان قالوا : فمثل هذه الدعوى بعينها حكينا لكم عن موسى عليه السلام فلم تقبلوها فان كان ما قلتموه من هذا حجة لكم فهو أيضا حجة لنا .

فيقال لهم : الفرق بين خبرنا وخبركم الذى ادعيتم على موسى ثلاثة أمور :

أحدها : ان ما نقلناه لكم هو لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم غير مفسر ولا منقول بتفسير ونقل يمكن دخول الغلط والتحريف فى مثله وليس كذلك سبيل خبركم لانه منقول من لغة الى لغة .

الثانى :أن نبينا صلى الله عليه وسلم لما قال : "لا نبى بعدى" تلا قوله تعالى : " وخاتم النبيين" وعراه مما يوجب تصديق نبى بعده وأمر بتكذيب كل مدع لنبوة معه وبعد موته وأكد ذلك وقرنه بما تقع الضرورة عنده الى مراده .

وموسى عليه السلام قرن خبره ... بالامر لكم بتصديق الرسل بعده وقد صدقتم يوشع وحزقيل واليشع وداود وسليمان وصدقت العيسوية منكم أبا عيسى الاصبهانى وأنتم تنتظرون المسيح الى اليوم وتنتظرون رسلا تأتيكم الى وقتنا هذا ونبينا صلى الله عليه وسلم منع من ذلك ووقف عليه وأكده ...

والامر الثالث : ان الله تعالى عندنا وعندكم لا يبطل الحجج بعضها ببعض ولا يقلب العلوم ولا يغير حقائق الامور ، فلو كان موسى قد وقفكم على منع نسخ شريعته توقيفا اضطركم به الى مراده ونفى وجوه سائر الاحتمال عنه لكان لا يخبر

بذلك الا عن الله سبحانه ولو أمره الله بذلك ووقفه عليه والزمه توقيف خلقه عليه واعلامهم اياه لم يجز أن يظهر المعجزات على يد من يدعوالى نسخها وتبديلها وفى ثبوت نقل المسلمين للقرآن وغيره من الاعلام وثبوت الاعجاز فيما نقلوه عن نبيهم والنقل الذى يحج مثله دليل على كذب مدعى توقيف موسى عليه السلام على ما قلتم (١)) .

(١) التمهيد لابى بكر محمد بن الطيب الباقلانى ص ١٤٣ - ٤٤ ا طبعة سنة ١٣٦٦ هـ

ب — موقف النصارى من رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بشريعة الاسلام الخالدة الصافية النقية وأيد ببراهين النبوة التى تقف العقول امامها حائرة وتخرس الالسنة عن النيل منها ، وتقطع الطريق امام المنكرين لها .

ولكن ليس الدليل وحده هو الذى يهدى النفوس الضالة والقلوب الشاردة والعقول الحائرة فان روح التعصب والحسد تقلب احيانا على بعض القوم وتغلب فيهم على عقولهم التى قد تميل بهم الى الحق .

وهذه هى حالة النصارى من رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم — الا من هدى الله منهم فاسلموا — اما الذين تمسكوا بنصرانيتهم المحرفة ووقفوا فى وجه الرسالة المحمدية موقف عناد وتصلب وجدل لا موقف من له شبهة استولت على النفوس كما هو حال اخوانهم اليهود فان لهم نفس الموقف من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم غير ان لهم شبهة من دينهم تمسكوا بها واحتجوا بها تتلخص فى انكارهم للنسخ ووقوعه وعليه يبنون انكارهم لاى رسالة بعد رسالة موسى — كما تقدم — وقالوا عن محمد وعيسى عليهما السلام ليسا نبيين وان الذى اظهراه من المعجزات اما ان يكون لا اصل له او يكون من سبيل الحيل والمخاريق ، وان المسيح — الذى اخبروا بنبوته لم يأت بعد وانه سيأتى وانه نبى صادق . (١)

ولم يسغ للنصارى ان يتمسكوا بنفس شبهة اليهود هذه اذ يكون فى ذلك حجة عليهم لا لهم من قبل اليهود فعمدوا الى الطعن فى نفس الرسالة المحمدية وانكروا نبوته اصلا محتجين بانه لو كان نبيا لأتى بآية على نبوته كآيات موسى وعيسى عليهما السلام

---

(١) انظر كتاب التمهيد لمحمد بن الطيب الباقلانى ص ١٣١ سنة ١٣٦٦ هـ

فانكارهم مبني على قدحهم في معجزته (١) وقد ذكر الشيخ رحمة الله الهندي هـذا القدح ضمن المطاعن التي أوردها النصارى على ديننا حيث قالوا :

(من شروط النبوة ظهور المعجزات على يد من يدعيها وما ظهرت معجزة على يد محمد كما يدل عليه ما وقع في سورة الأنعام :

(... ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين) (٢)

وكذا ما وقع في تلك السورة :

(... وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون " . (٣)

وكذا ما وقع في سورة بني اسرائيل :

(وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) (٤)

وكذا بعض الآيات الاخر " . (٥)

وحين انكروا نبوته بهذا الزعم قالوا عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم :

انه مجموعات ملفقة ممن سبقوه اطلع عليها ونسبها لنفسه . (٦)

---

(١) انظر الوحي المحمدي محمد رشيد رضا ص ٥٣ ط ٦ .

(٢) سورة الانعام آية ٥٧ .

(٣) " " " ١٠٩ .

(٤) " الاسراء ٩٠ ـ ٩٣ .

(٥) اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي ج ٢ ص ٣٦٠ .

(٦) انظر كتاب دفاع عن العقيدة والشريعة محمد الغزالي ص ٩٢ ط ٣ .

الجــــواب على دعـوى النصـارى هـذه :

نستطيع تلخيـــص دعواهم التى انكروا بها رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى امور ثلاثة :

١) زعمهم انه لم تظهر معجزة على يد محمد صلى الله عليه وسلم .

٢) استدلالهم على هذه الدعوى فى حق محمد صلى الله عليه وسلم ببعض الآيات .

٣) زعمهم ان ما جاء به محمد لم يكن الا مجموعات ملفقة اطلع عليها ممن سبقـه ونسبها الى نفســه .

الجـــواب عن الامر الاول :

يكفينا فى ابطال هذا الزعم الرجوع الى الدليل الثالث من دلائل نبوة محمـــد صلى الله عليه وسلم التى ذكرتها فى الفصـــل السا بق ففيها ما يثبت اتيانه صلى اللـــه عليه وسلم على دعواه النبوة بمعجزات تحدى بها المنكرين وقد ذكرت بعض الا مثلـــة لتلك المعجزات .

الجـــواب عن الامر الثانى :

استدلوا ببعض الآيات من القرآن الكريم على انه لم يكن لمحمد آيات ولكن هذه الآيات لا تصح دليلا لهم على مدعاهم :

فعـــن قوله تعالى :

" قل انى على بينة من ربى وكذبتم به ما عندى ماتستعجلون به ان الحكم الا للـــه يقص الحق وهو خير الفاصلين . قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الامر بينـــى وبينكم والله اعلم بالظالمين " . (١)

فقد استدلوا بجزء من هذه الآية وهو قوله تعالى :

" ما عندى ما تستعجلون به "

والجواب من وجهيـــن :

الوجـــه الاول :

ان علماء التفسير لم يتفقوا فى تفسيرهم للآية على ان المراد بالذى يستعجلون به هو الآيات .

---

(١) سورة الانعام اية ٥٧ ــ ٥٨

فللعلماء في ذلك اقوال ثلاثة : (١)

١ ــ ان المراد به العذاب اي ما عندي ما تستعجلون به من العذاب وذلك ان النبي عليه السلام كان يخوف العصاة بنزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استهزاء وتكذيبا ويقولون : يا محمد ائتنا بما تعدنا يعني من نزول العذاب .

٢ ــ وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه قوله تعالى :
(يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق ، الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد) (٢) .

٣ ــ وقيل المراد بذلك الآيات والبينات التي طلبوها واقترحوها على محمد صلى الله عليه وسلم مثل قولهم :
(او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملئكة قبيلا) (٣) . ومثل
(... اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء)

ويمكن الجمع بين هذه الاقوال بأن هذه الامور قد حصل استعجالهم لها وطلبوا تحقيقها من الرسول صلى الله عليه وسلم مبالغة من المشركين في انكارهم واستهزائهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم من الكثرة بحيث يستعجل بعضهم حصول العذاب والبعض حصول الساعة والآخر حصول البينات فاستدلالهم بالآية هنا مغالطة منهم حيث استدلوا بها على ما يناسب دعواهم وأغفلوا الجوانب الاخرى .

---

(١) انظر تفسير الخازن ج ٢ ص ١٤٠
وفتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ١٢٢
(٢) سورة الشورى آية ١٨
(٣) سورة الاسراء آية ٩٢

الوجـــه الـــثاني :

اننا لو نظرنا في الآية من الوجهة التي استدل بها النصارى على ما يناسب دعواهم وهو قولهم ان محمدا لم يأت بمعجزة بدليل هذه الآية ما رأينا لهم دليلاً قاطعاً وذلـك لان المشركين طلبوا من محمد صلى الله عليه وسلم آيات تدل على نبوته وقد رأوا منـه دلائل كثيرة قبل طلبهم هذا ومن هذه الآيات القرآن الكريم فقد تحداهم على ان يأتوا بمثله او بمثل بعضه بل تحداهم ان يأتوا ولو بآية واحدة .

ومنها : انشقاق القمر حيث طلبوا منه ان يريهم آية يحسونها باعينهم فأراهم القمـــر شقيـــن .

روى البخاري عن انس بن مالك رضي الله عنه : ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم انشقاق القمر " (١) .

ومع حصول هذه الآيات الكبرى المعجزة والمدهشة فقد كذبوا بنبوة محمد واسندوا هذه الآيات والمعجزات الى السحر والكهانة ... الخ .

فلما ان طلبوا آيات اخر وشرطوها بان قالوا :

" اسقط السماء علينا كسفا وامطر علينا حجارة او اصعد الى السماء ونحن نراك واحضـر لنا كتابا من عند الله نقرؤه وائت معك باربعة من الملائكة يشهدون لك ... الخ " لـم يجبهم الله تعالى الى ما طلبوا لما في ذلك من استحقاق الهلاك لهم والتعذيـب وامر نبيه بان يقول لهم :

" ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين " .

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٥١

فالله سبحانه يأمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يقول للجاحدين : لو أن عندى ماتستعجلون به لم أمهلكم لما لاقاه منهم من الانكار والتكذيب بعد ما جاءهم به من البينات ولكن الله حليم فهو الذى اليه الامر وهو أعلم بما يستحقونه من العذاب ويعلم الوقت المناسب لانزال هذا العذاب بهم ثم هو يعلم سبحانه ان فى هؤلاء المنكرين من سيهتدى ويؤمن فلذلك أخر العذاب عنهم ثم ان سنة الله تعالى جرت انه متى اقترح المعاندون المكذبون آية ثم لم يؤمنوا بها بعد حصولها استوجبوا العذاب واستؤصلوا به (١) .

وكذا الآيات الاخرى التى استشهدوا بها ظاهرها يفهم منه نفى اظهار الآية لكن المقصود من نفى اظهار الاية لهم لم يكن لان النبى لم يأت بآية على الاطلاق بل المنفى انما هو اجابة طلبهم البينات التى اقترحوها من عند انفسهم (٢) لان طلبهم هذا لو أجيبوا اليه لم يحصل منهم الايمان به بل دافع هذا الطلب هو العناد والمماطلة والسخرية .

ثم لو كان يجاب طلبهم هذا لانفتح باب للمعاندين المستهترين - وما اكثرهم - اذ كل منهم لن يؤمن الا أن يأتيه محمد صلى الله عليه وسلم بمعجزة يقترحها مخالفة للمعجزات التى قد جاء بها من قبل : وصدق الله العظيم :

" وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون " (٣) .

الجواب عن الامر الثالث :

ان هذا الزعم الذى يورده النصارى ومن حذا حذوهم قديما وحديثا من ان ماجاء

---

(١) انظر تفسير الخازن ج ٢ ص ١١٩ و ١٤٠
(٢) انظر اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى ج ٢ ص ٣٦٢
(٣) سورة العنكبوت ٤٨ - ٤٩

به محمد صلى الله عليه وسلم هو مجموعات ملفقة ممن سبقه اطلع عليها ونسبها لنفسه هذا الزعم باطل وقديم لا زال المنكرون لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم يتوارثونه جيلا عن جيل . وقد نزل القرآن الكريم بابطال هذا الزعم ورده ، قال تعالى :

(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) . (١)

قال الشوكاني رحمه الله في تفسيره لهذه الآية الكريمة :

(اى ما كنت يا محمد تقرأ قبل القرآن كتابا ولا تقدر على ذلك لانك امي لا تقرأ ولا تكتب "ولا تخطه بيمينك " اى ولا تكتبه لانك لا تقدر على الكتابة قال مجاهد : " "كان اهل الكتاب يجدون في كتبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يخط ولا يقرأ فنزلت هذه الآية " .

" اذا لارتاب المبطلون " اى لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط لقالوا : لعله وجد ما يتلوه علينا من كتب الله السابقة أو من الكتب المدونة في أخبار الامم فلما كنت أميا لا تقرأ ولا تكتب لم يكن هناك موضع للريبة ولا محل للشك أبدا بل انكار من أنكر وكفر من كفر مجرد عناد وجحود بلا شبهة .

وسماهم " مبطلين " لان ارتيابهم على تقدير انه صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب) (٢) . فقد فسره الشوكاني رحمه الله على تقدير وقوع هذا الادعاء منهم لكن ابن كثير رحمه الله يذكر في تفسيره للآية انهم قالوا : ذلك حيث قال في تفسير الآية :

(اى لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول انما تعلم هذا من كتب قبله

---

(١) سورة العنكبوت ٤٨ - ٤٩

(٢) فتح القدير محمد بن علي الشوكاني ج ٤ ص ٢٠٧ ط ٢

مأثورة عن الانبياء مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه امى لا يحسن الكتابة) (١) .

وفى هذه الآية بين الله تعالى أن محمدا صلى الله عليه وسلم امى لا يقرأ ولا يكتب والمعاندون يعرفون ذلك حق المعرفة . :

فقوم محمد يعرفون ذلك من واقع معرفتهم الشاملة المستقصية عن محمد صلى الله عليه وسلم منذ ولد والى ان أعلن نبوته .

وأهل الكتاب يعرفون ذلك من نفس الطريق التى يعرفه بها قومه ومن كتبهم التى ورد ذكر ذلك فيها - كما تقدم فى قول مجاهد السابق - ومع ذلك فهم يتجاهلون هذه الحقيقة ويزعمون أن هذا الذى جاء به محمد تلقاه عن الكتب السابقة وذلك اما بواسطة بحيرى الراهب او بواسطة غيره من أحبار ورهبان الشام اثناء رحلاته اليها او بواسطة ورقة ابن نوفل او من حداد رومى كان مقيما بمكة . (٢)

ولكن لو تتبعنا قصة لقاء محمد ببحيرى اثناء رحلته مع عمه ابى طالب لرأينا فترة اللقاء كانت وجيزة جدا وكان معه قوم من العرب ومحمد وقتئذ حدث لم يبلغ مبلغ الرجال بدليل ان القوم عندما دعاهم بحيرى لتناول الطعام تركوا محمدا فى رحالهم لصغر سنه فقال بحيرى : يا معشر قريش لا يتخلفن احد منكم عن طعامى فقالوا له : يا بحيرى ما تخلف عنك احد ينبغى له ان يأتيك الا غلام وهو احدث القوم سنا فتخلف فى رحالهم فقال : لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم فكيف يتسنى لمحمد فى هذا السن وفى هذا الوقت الوجيز أن يتلقى كل هذه الامور العظيمة التى جاء بها .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابي الفداء اسماعيل بن كثير ج ٣ ص ٤١٧

(٢) انظر نبوة محمد فى القرآن للدكتور حسن ضياء الدين ص ٢١٤ ط ١

وفي رحلتيه الى الشام وهو في الخامسة والعشرين من عمره لم يتجاوز سوق مدينة بصرى لانجاز مهامه التجارية بصحبة من كان معه من قومه ولو كان تلقى عن أحد حينئذ لنقل ذلك الينا نظرا لطبيعة سير القوافل وملازمة الأصحاب في الغربة .

وعن لقائه بورقة بن نوفل فكتب السير تحدثنا انه تم هذا اللقاء حين نزل على محمد - عليه افضل الصلاة والسلام - ملك الوحي في غار حراء فرجع الى زوجه خديجة وأخبرها بما وقع له فاصطحبته الى ورقة هذا وقد بلغ من الكبر عتيا وعمي فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال محمد صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم ؟! قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا .

فنرى ان ورقة يعرب عن يقينه التام بأن محمدا هذا هو النبي الذي بشرت به الكتب التي اطلع عليها ورقة ويتمني لو كان فيها شابا يخوض غمارها مع محمد صلى الله عليه وسلم ويمضي برفقته لينال من الأجر والثواب ثم يتمنى لو يمهل له في الأجل ليحضي بالدخول في هذا الدين الذي سيأتي به محمد فأين مقام التعليم والتلقي الذي حظي به محمد في هذا اللقاء من ورقة ولم ينقل ان محمدا صلى الله عليه وسلم رآه قبل ذلك (١) . ولم يلبث ان توفي بعد ذلك بيسير .

وأما عن زعم تلقي ذلك عن حداد رومي رقيق عند بعض أهل مكة كان يصنع السيوف فيكفينا تكذيبا لهذا الادعاء قوله تعالى :

" قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين . ولقد

---

(١) انظر نبوة محمد في القرآن للدكتور حسن ضياء الدين ص ٢١٤ - ٢٢١ وانظر الوحي المحمدي للسيد محمد رشيد رضا ص ٧٢

نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبيـــن " (١) .

فكيف يتعلم محمد هذا القرآن العربى الذى هو فى أعلى درجات الفصاحة والبلاغة من غـلام أعجمى سوقى جاهل . لا يقول هذا من له ادنى مسكة من العقل والفهم (٢).

وأنقل هنا مسألتين ذكرهما فضيلة الدكتور حسن ضياء الدين فى كتابه : نبوة محمد فى القرآن : بعد مناقشته لهذا الادعاء وهاتين المسألتين هما خلاصة الجـــواب فى هذا الادعاء قال :

(وعماد هذه المناقشة .. مسألتان :

اولاهما : ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتلق عن احد من العلماء قبل النبوة ولا بعدها وان الذين لقيهم لم يتصل بهم صلة تمكنه من التلقى الوفير المجــــدى بل انه لم يسمع ممن لقيهم قبل النبوة شيئا من هذه الأحاديث البتة .

وأما الذين التقى بهم بعد النبوة وسمع منهم وسمعوا منه كوفد نصارى نجـــران وبعض اليهود كعبد الله بن سلام فقد التقوا به فى المدينة — بعد ثلاث عشـرة سنة من حمله أعباء الدعوة — ولم يكن منهم الا أن سألوه وأخذوا عنه وآمنـوا به فكان عليه السلام معلما لهم وواعظا ومنذرا ومبشرا .

اضف الى ذلك ان كل لقاء لم يكن سرا مكتوما بل كان علنا مشهودا .

ثانيهما : ان نقرر هل الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم — نظير ما كان عندهـــم ام لا ؟ لا شك ان البون بين ما فى الكتاب المقدس وبين القرآن شاسع وان الفرق بين ظاهر ... (٣)) .

---

(١) النحل ١٠٢ — ١٠٣

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٥٨٦

(٣) نبوة محمد فى القرآن للدكتور حسن ضياء الدين عتـــر ص ٢٢١ ط ١ سنة ١٣٩٣هـ

البـــــاب الثانــــــى

عالمية الرسالة المحمديـــة

تمهيـــــــد :

الفصل الاول : أ - معنى العالمية لغة واصطلاحا .

ب - المراد بكون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عالمية .

الفصل الثانى : الدلائل على أن الرسالة المحمدية عالمية .

أ - الأدلة النقلية .

١ - من القرآن الكريم .

٢ - من السنة المطهرة .

ب - الاجمـــاع .

جـ - المنهج الذى سلكه الرسول فى تبليغ الدعوة وسار عليه صحابته من بعده .

الفصل الثالث : الشبه الواردة على خصيصة العالمية والرد عليها .

تمهيــــــد :

قبل البحث في عالمية الرسالة المحمدية نلقي نظرة سريعة في الرسالات السابقة على ارسال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يتبين لنا منها كيف كانـــت العالمية خاصية تفردت بها رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد أرسل الله تعالى عددا من الرسل قبل ارسال نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وحصرهم غير معلوم من القرآن الكريم قال تعالى :

" ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك" (١)

وقال تعالى :" ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك " (٢)

وقد وردت السنة بذكر عددهم كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال :

قلت يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قلت كم الرسل منهم ؟ قال ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير .

وفي رواية : والرسل ثلثمائة وخمسة عشر (٣) "

وقد ورد من أسماء هؤلاء في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبيا .

قال تعالى :" وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشـاء ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبـــل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحي وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطـــا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم

---

(١) سورة النساء آية ١٥٠

(٢) سورة النساء آية ١٦٤

(٣) رواه الامام احمد وابن راهويه في مسنديهما من حديث ابي امامـــه واخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث ابي ذر وزعم ابن الجوزي انه موضوع وليس كذلك وانما قيل ان في سنده ضعفا جبر بالمتابعة . نبوة محمد في القرآن حسن ضياء الدين عتر ص ٤٨ ط اولى

الى صراط مستقيم" (١) .

ففى هذه الآية الكريمة ورد ذكر ثمانية عشر نبيا ، وورد ذكر سبعة غيرهم فى آيات من القرآن الكريم وهم :

آدم وهود وصالح وشعيب وادريس وذا الكفل وخاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وبتقصى الآيات الواردة فى القرآن الكريم والتى ورد فيها ذكر الأنبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نجد أنه لم يرد فيها ما يشعر بعالمية رسالة اى من هؤلاء الرسل عليهم السلام بل كل الآيات تدل على اختصاص رسالة كل نبى بقومه . قال تعالى :

" ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات . . ." (٢)

فعن نوح أخبر تعالى بأنه أرسل الى قومه خاصة :

لقد أرسلنا نوحا الى قومه " (٣)

" انا أرسلنا نوحا الى قومه أن انذر قومك " (٤)

وعن هود أخبر تعالى بأنه بعث الى قومه عاد :

قال تعالى : " والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون " (٥) .

وعن صالح قال تعالى :

" والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره" (٦) .

---

(١) سورة الأنعام ٨٣ - ٨٦
(٢) الروم ٤٧
(٣) الأعراف س٩ ٥
(٤) نوح ١
(٥) الأعراف ٦٥
(٦) الأعراف ٧٣

وعن شعيب قال تعالى :

" والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من آله غيره " (١)

وعن موسى عليه السلام قال تعالى :

" ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور " (٢)

وكذا عن عيسى عليه السلام فانه ارسل الى بنى اسرائيل كما قال تعالى :

" ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم " (٣)

قال ابن كثير رحمه الله :

" وقد كانت هذه سنته فى خلقه أنه ما بعث نبيا فى أمة الا أن يكون بلغتهم فاختص كل نبى بابلاغ رسالته الى أمته دون غيرهم واختص محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة الى سائر الناس " (٤) .

وقد يعترض على خصوصية سائر الرسالات قبل محمد صلى الله عليه وسلم بأن نوحا عليه السلام بعد خروجه من السفينة كان مبعوثا الى كل من فى الأرض لانه لم يبق الا من كان مؤمنا وقد كان مرسلا اليهم .

وأجيب عن ذلك بان هذا العموم الذى فى رسالته لم يكن فى أصل البعثة وانما وقع لأجل الحادث الذى حدث وهو انحصار الخلق فى الموجودين معه بهلاك سائر الناس وعموم رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انما هو فى أصل البعثة .
ثم ان هناك أمر آخر يدل على عدم عالمية دعوة نوح انه لم يبعث الى الجن كما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اليهم (٥) .

---

(١) سورة الاعراف ٨٥
(٢) " ابراهيم ٥
(٣) " آل عمران ٤٩
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٥٢٢
(٥) انظر عمدة القارى شرح صحيح البخارى محمود احمد العينى ج ٤ ص ٨ وانظر لوائح الانوار البهية للسفارينى ج ٢ ص ٢٧٩ .

الفصـــل الأولـــ

أ - معنـــى العالميـــــة

أولا : المعنى اللغوى :

العالمية كلمة منسوبة الى العالم :

والعالم : اسم جنس جامد على وزن " فاعل " يدل على العدد الكثير ولا واحد للعالم من لفظه .

وهو مشتق :

١ - اما من العلامة : لانه علامة ودليل على صانعه فيكون " عالم : اسما لما سوى الله تعالى ويطلق على كل مجموع متجانس من المخلوقات كعالم الانسان وعالم الحيوان وعالم النبات ويجمع على " عالمون " من باب التغليب وليس جمع مذكر سالما حقيقة وانما ملحق به .

٢ - واما أن يكون مشتقا " من العلم " لانه اسم يقع على ما يعلم فلا يطلق الا على ما يعقل وهم الانس والجن ا والملائكة والشياطين ولا يطلق على غير ما يعقل من المخلوقات ويجمع على " عالمون " حقيقة لما يعقل ولكنه ليس جمع مذكر سالما حقيقة وانما ملحق به (١) .

---

(١) انظر لسان العرب لجمال الدين ابن منظور مجلد ١٢ حرف الميم فصل العين . والقاموس المحيط للفيروزأبادى
ضياء السالك الى اوضح المسالك وشرح بن عقيل فى باب ما الحق بجمع المذكر السالم
و مجموع الحواشى البهية على شرح العقائد النسفية حاشية ملا احمد ج ١ ص ٨٦ طبعة مطبعة كردستان العلمية بمصر سنة ١٣٢٩ هـ

ثانيا : المعنى الاصطلاحي :

اختلف في ذلك على أقوال أشهرها :

قال جماعة منهم قتادة والزجاج :

المراد بالعالم" : الخلق كله اى كل موجود سوى الله عزوجل فالله سبحانه خالق وما سواه مخلوق .

وقال ابن عباس ومجاهد : المراد به : الجن والانس .

وقال الفراء وأبو عبيد :

العالم عبارة عما يعقل وهم الانس والجن والملائكة والشياطين . فلا يقال للبهائم عالم لان هذا الاسم دال على ما يعقل .

والقول الراجح عندى هو القول الاول .

وقد رجح هذا القول القرطبي في تفسيره (١) واستدل عليه بالآية الكريمة :

" قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين " (٢)

وانما جمع على هذه الصيغة التي تأتي للعقلاء تغليبا وتشريفا لجانب العقلاء على غيرهم من سائر المخلوقات ويؤيده ما أخرج ابن جبير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى " رب العالمين " قال : اله الخلق كله السموات كلهن ومن فيهن والارضون كلهن ومن فيهن ومن بينهن مما يعلم

---

(١) انظر الجامع لاحكام القرآن لابى عبد الله محمد بن احمد القرطبي ج ١ ص ١٣٨ الطبعة الثانية طبعة دار الكتب المصرية

(٢) سورة الشعراء آية ٢٣ - ٢٤

وما لا يعلم . (١)

وذكر ابن كثير في تفسيره نحو هذا الحديث عن ابى روق عن الضحاك عن ابن عباس (٢) .

ب - المراد بكون الرسالة المحمدية عالمية :

المراد بذلك أن الاسلام الذى هو رسالة الله التى أرسل بها على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس هو شامل لجميع الجنس البشرى على امتداديه المكانى والزمانى . :

- المكانى : بحيث أن الاسلام يلزم كل انسان يعقل على وجه الارض ، فمن قامت عليه الحجة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يؤمن استحق عقاب الله على عصيانه فلا تختص هذه الرسالة بجنس ولا نوع ويلزم كل انسان عاقل على وجه المعمورة أن يؤمن بها وأن يقوم بالدعوة اليها ونشرها وتبليغها الى من لم تكن بلغته .

- والزمانى : فكل ما انقضى جيل فان الجيل الذى يأتى بعده مخاطب به مكلف أن يعمل بتعاليمه وان لا يصدق اى دعوى للنبوة بعد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان يعتقد هذه الرسالة ويحملها سالمة من التحريف والتشويه والابتداع الى الجيل الذى يليه الى أن تقوم الساعة .

---

(١) انظر فتح القدير للشوكانى ج ١ ص ٢١ الطبعة الثانية طبعة البابى الحلبى

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٢٤ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

الفصـــل الثانـــى

الأدلة على عالمية الرسالة المحمديــة

تقرر فيما سبق أن الاسلام عالمى بامتداده الزمانى والمكانى وقبل البدء فى الاتيان بالأدلة على عالمية الرسالة المحمدية رأيت أن أشير الى أن الامتداد الزمانى تكمن ادلته فى خصيصة الخلود والختم التى هى من خصائص الرسالة المحمدية . وسيأتى الحديث عنها -ان شاء الله -فى باب مستقل .

والاستدلال على أن الاسلام دين عام عالمى شامل لكافة أفراد الجنس البشرى على وجه الأرض يعتمد على أمور منها :

١ - الأدلة النقلية :

أ - من القرآن الكريم

ب - من الاحاديث المطهرة

٢- الاجمـــاع

٣ - المنهج الذى سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم وسار عليه صحابته رضوان الله عليهم من بعده فى تبليغ الدعوة .

والى بيان هذه الأدلـــة .

أولا : الأدلة النقلية :

الأدلة النقلية على عالمية الدين الاسلامى كثيرة فاض بها القرآن الكريم كما فاضت بها السنة المطهرة :

أ - فمن القرآن الكريم :

فى القرآن الكريم أساليب متعددة يعلم منها عموم الرسالة . ومن هذه الاساليب :

١ - آيات تصرح بعموم الرسالة لجميع العالمين بلفظ " العالمين " .

ومن هذه الآيات قوله تعالى :

" . . . قل لا اسئلكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين " (١) "

وقوله تعالى :

" وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين " (٢)

وقوله تعالى :

" وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " (٣)

وقوله تعالى :

" تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا " (٤)

وقوله تعالى :

" قل ما اسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين " (٥)

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٠

(٢) سورة يوسف آية ١٠٤

(٣) سورة الأنبياء آية ١٠٧

(٤) سورة الفرقان آية ١

(٥) سورة ص ٨٥ - ٨٦

وقوله تعالى :

" وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين" (١)

وقوله تعالى :

" ان هو الا ذكر للعالمين " (٢)

ووجه الدلالة من هذه الآيات الكريمات كلها انها قد وردت بما يعلم منه الارسال الى العالمين و "ال" فيه تفيد الاستغراق واستغراقه للجنس العاقل اكثر فهو يشمل جميع أفراد الجنس البشرى دون اختصاص طائفة عن أخرى بهذه الرسالة .

٢ - آيات يفهم منها أنه صلى الله عليه وسلم مرسل الى جنس " الناس" دون تفريق بين عربى وعجمى ولا بين أمى وكتابى وغير ذلك من الفروق بين البشر :

ومن هذه الآيات :

قوله تعالى :

(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) (٣)

وقوله تعالى :

" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ... (٤) "

---

(١) سورة القلم آية ٥١ - ٥٢
(٢) سورة التكوير آية ٢٧
(٣) سورة البقرة آية ٢١
(٤) سورة النساء آية ١

وقوله تعالى :

" . . . وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا " (١)

وقوله تعالى :

" يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والأرض وكان الله عليما حكيما " (٢)

وقوله تعالى :

" قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون " (٣)

وقوله تعالى :

" هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر أولوا الألباب (٤)

والمراد بالناس فى جميع هذه الآيات هم الموجودون عند الخطاب من بنى آدم ويدخل من سيوجد بدليل خارجى وهو الاجماع على أنهم مكلفون بما كلف به الموجودون ، أو تغليب الموجودون على من لم يوجد " (٥) .

ولا يصح تخصيص الناس أهل مكة فقط دون سائر البشر او تخصيص العرب أو طائفة معينة بل الخطاب فى ذلك لعموم ولد آدم لعدم مايقتضى التخصيص وللعموم فى الناس ولما يفيده التأكيد بالمصدر فى قوله تعالى " وأرسلناك للناس رسولا " ولما يفيده الحال فى قوله تعالى : " انى رسول الله اليكم جميعا " وفى

---

(١) سورة النساء ٧٩

(٢) سورة النساء ١٧٠

(٣) سورة الأعراف ١٥٨

(٤) سورة ابراهيم ٥٢

(٥) انظر فتح القدير للشوكانى ج ١ ص ٤١٧

قوله (١) "وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (٢)

٣ - توسيع دائرة الانذار والتبليغ وشمول الحجة على من بلغته رسالة الاسلام :

أ - قال الله تعالى :

(... وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون" (٣)

والمقصود بأم القرى هى مكة المكرمة وخصها بالذكر هنا لكونها أعظم القرى شأنا ولأن بها أول بيت وضع للناس ولكونها قبلة هذه الأمة ومحل حجهم .

والمراد بانذار ام القرى : انذار أهلها

والمراد بـ " من حولها " جميع أهل الأرض (٤)

فالآية هنا صريحة فى عموم الرسالة وعالميتها .

ب - وقال تعالى :

" قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ..." (٥)

جـ - وقال تعالى :

" هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الألباب " (٦)

---

(١) انظر فتح القدير للشوكانى ج ١ ص ٤٨٩ وج ٣ ص ١١٥
(٢) سورة سبأ آية ٢٨
(٣) سورة الأنعام آية ٩٢
(٤) انظر فتح القدير للشوكانى ج ٢ ص ١٣٩ طبعة بيروت
(٥) سورة الانعام آية ١٩
(٦) سورة ابراهيم آية ٥٢

فالانذار يعم كل من بلغ اليه أمر رسالة الاسلام من موجود ومعدوم سيوجد في الأزمنة المستقبلة والآيات تدل على شمول الأحكام الاسلامية لمن سيوجد ولمن بلغته كما شملت من كان موجودا وقت النزول " (١)

٤ - جعل ميزان التفاضل بين الناس هو " التقوى " بعد ارجاع الناس الى الاصل الواحد : أب واحد هو آدم ، أم واحدة هي حواء .

قال الله تعالى :

" يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير " (٢)

وهذه الآية دليل قوي على عالمية الرسالة المحمدية ووجه الدلالة منها :

أ - أن الخطاب موجه فيها لجنس الناس - كما تقدم بيانه - وهذا الخطاب يتوجه للقليل والكثير من الناس سمع بعض العلماء رجلا يقول : من أنا حتى يعاقبني الله فقال له أنت الذي لو أمات الله جميع الخلائق وبقيت أنت لكان قوله تعالى : " يا ايها الناس " خطابا لك . (٣)

ب - ان هذا الجمع الهائل من البشر على اختلاف شعوبه وقبائله يرجع في الحقيقة الى أب واحد وأم واحدة " من ذكر وانثى " وكلهم جعلهم الله على قدر مشترك من العقل والمعرفة فليس هناك ما يبرر خروج شعوب أو قبائل أو جنس أو لون أو فرد من هذا المجموع على التعاليم التي بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم ما دام أن الأصل واحد والخطاب موجه الى هذا المجموع وما دام ان وسائل التعارف موجودة .

جـ - ان الله تعالى قرر في هذه الآية ان هؤلاء الشعوب والقبائل على كثرتها وتفرقها في البلاد ترجع الى أصل واحد وان التعارف بينها ممكن فهو

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ١٠٥

(٢) سورة الحجرات آية ١٣

(٣) تلبيس ابليس لابن الجوزي ص ٣٩١ ؟

بعد ذلك يقرر تعالى أن الميزان الأساسي للفاضل في هذا المجموع هو التقوى والتقوى لا تكون الا باتباع التعاليم التي جاءت في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي لا يقبل الله عملا الا عن مؤمن بهذه الرسالة .

" ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين " (١)

وفي هذه الأمثلة لبعض أساليب القرآن الكريم التي بها نتبين عالمية الدعوة الاسلامية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الأمثلة ما يكفينا عن التطويل الذي يصعب وراءه استيعاب الأساليب التي تبين مبدأ العالمية في القرآن الكريم .

ب - الأدلة على عالمية الاسلام من السنة المطهرة :

في السنة النبوية المطهرة وردت أحاديث كثيرة تصرح بعالمية رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

ومن هذه الأحاديث :

١ - أخرج الصحيحان عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي :

نصرت بالرعب مسيرة شهر .

وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وايما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل .

وأحلت لي الغنائم

وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة

وأعطيت الشفاعة (٢)

ورواية مسلم هي :

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٥

(٢) هذا نص رواية البخاري في صحيحه ج ١ ص ١١٩ مطابع الشعب

"عن جابر بن عبد الله الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى :

كان كل نبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود .

وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى .

وجعلت لى الأرض طيبة طهورا ومسجدا فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان .

ونصرت بالرعب بين يدى مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة (١)"

فقول النبى صلى الله عليه وسلم : وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة دليل صريح وقاطع على عموم رسالته لكافة الناس وقد أكد هذا العموم فى رواية البخارى بقوله "عامة" وفى رواية مسلم بقوله " الى كل أحمر وأسود .

٢ - وفى مسند الامام احمد عن ابن عباس مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى ولا أقوله فخرا :
بعثت الى الناس كافة الأحمر والأسود ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا وأعطيت الشفاعة فأخرتها لامتى فهى لمن لا يشرك بالله شيئا" (٢)

قيل المراد بالأحمر : البيض من العجم وغيرهم

وبالأسود : العرب لغلبة السمرة فيهم وغيرهم من السودان .

وقيل المراد بالأسود : السودان .

وبالأحمر : من عداهم من العرب وغيرهم .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ١٥٤ مطابع الشعب

(٢) مسند الامام احمد الحديث رقم ٢٧٤٢ ج ٤ طبعة ١٣٧٥ دار المعارف بمصر .

وقيل الأحمر : الانس .

والاسود : الجن .

والجميع صحيح فقد بعث الى جميع (١) هوءلاء على أى معنى حملنا عليه لفظ الأحمر والأسود ، وهذا الحديث أيضا دليل واضح على عالمية الرسالة المحمدية .

٣ - وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب و أحلت لى الغنائم وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بى النبيون مثلى ومثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كمثل رجل بنى قصرا فأكمل بناءه وأحسن بنيانه الا موضع لبنة فنظر الناس الى القصر فقالوا ما أحسن بنيان هذا القصر لو تمت هذه اللبنة الا فكنت أنا اللبنة الا فكنت أنا اللبنة . (٢)

٤ - وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد ابن جبير عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع بى من أمتى من يهودى أو نصرانى فلم يوءمن بى لم يدخل الجنة . (٣)

٥ - وفى صحيح مسلم رحمه الله :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ١٥٦ مطابع الشعب

(٢) مسند الامام احمد ج ٢ ص ٤١٢ وبهامشه كنز العمال دار صادر للطباعة والنشر بيروت

(٣) مسند الامام احمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٩٦ دار صادر للطباعة والنشر بيروت

ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار (١) .

ويعلم من هذه الأحاديث وجوب دخول جميع الناس فى طاعة رسول اللـه من سمع به ممن هو موجود فى زمان الرسول وبعد مماته .

وانما خص بالذكر هنا "اليهود والنصارى" تنبيها على من سواهما وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب فاذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له أولى (٢) .

واكتفى بهذا القدر من هذه الاحاديث التى تصرح بعالمية رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسيأتى فى خصيصة "ختم النبوة بالنبوة المحمدية" أحاديث تفيدنا بمفهومها عالمية الرسالة لم أذكرها هنا خشية التكرار .

ثانيا : الاجمـاع :

أجمع الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون لهم باحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين من أهل السنة والجماعة وغيرهم الى أن رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الانس والجن (٣) "

ثالثا : المنهج الذى سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوته وسار عليه خلفاؤه من بعده فى تبليغ الدعوة :

ان المنهج الذى سار عليه النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوته ونهج منهجه

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص ٣٦٧ مطابع الشعب

(٢) انظر شرح النووى لصحيح مسلم ج ١ ص ٣٦٩ مطابع الشعب

(٣) انظر الخصائص الكبرى لجلال الدين السيوطى ج ٣ ص ١٢٧ طبعة مطبعة المدنى ١٣٨٦ هـ .
وانظر ايضاح الدلالة فى عموم الرسالة مطبوعة ضمن رسائل مجموعة الرسائل المنيرية ج ٢ ص ٩٩ طبعة بيروت
وانظر الموافقات فى أصول الشريعة لابى اسحاق الشاطبى ج ٢ ص ٢٤٦ الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ

فى ذلك خلفاؤه الراشدون وصحابته وأتباعهم لدليل عملى على عالمية الرسالة التى بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم :

فقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه من نعمة النبوة ويسر بذلك الى من يطمئن اليه من أهله وأصدقائه (١) وتتابع دخول الناس من رجال ونساء فى هذه الدعوة الجديدة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم حتى انتشر ذكر الاسلام بمكة وتحدث به .

ثم ان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه وأن ينادى الناس بأمره وان يدعوا اليه قال الله تعالى :

" فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين " (٢)

وقال تعالى :

" وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٣)

وقال تعالى :

" وقل انى أنا النذير المبين " سورة الحجر ٨٩

وامتثالا لهذا الأمر الالهى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج بنفسه الى قبائل العرب قبيلة قبيلة وكانت العرب لم تزل تحج البيت الحرام فيأتيهم صلى الله عليه وسلم فى منازلهم بمنى وعكاظ ومجنة وذى المجاز فلا يجد أحدا الا دعاه الى الله ولما رجع الى مكة من الطائف حج نفر من الأنصار فانتهى النبى صلى الله عليه وسلم الى فريق منهم فقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله (٤) .

---

(١) انظر سيرة النبى لابن هشام ج ١ ص ٢٤٨

(٢) سورة الحجر آية ٩٤

(٣) سورة الشعراء آية ٢١٤ و ٢١٥

(٤) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ج ١ ص ١٣٧-١٤٢ .

وعلى أثر هذا اللقاء حدثت بيعتا العقبة الاولى والثانية وبايعوه في الثانية على الايواء والنصرة . ولقد شعر الأنصار بعظم المسئولية وعلى أي شيء تكون البيعة فلقد قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري اخو بني سالم بن عوف : (يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال انكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فان كنتم ترون انكم اذا نهكت أموالكم مصيبة واشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله -ان فعلتم -خزي الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الأموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا بذلك ؟ قال : الجنة قالوا : ابسط يدك فبسط يده فبايعوه " (١)

لقد علموا أن الدعوة ليست اقليمية تستهدف قبيلة أو لونا أو جنسا أو غير ذلك بل ميدانها كل الأرض وأهلها كل الناس كما صرحت لهم بذلك الآيات المكية أذ الآيات التي صرحت بعالمية الدعوة كلها مكية نزلت بمكة المكرمة ولم يكن منها آيات مدنية الا آية الختم .

ويهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة على ضوء هذه البيعة من الأنصار ورسخت في أذهان المؤمنين الآيات الناطقة بعالمية الدعوة .

باشر الرسول صلى الله عليه وسلم تطبيق ذلك عمليا يوم أن سنحت له الفرصة بعد الحديبية حيث ارسل رسله ورسائله الى الملوك والأمراء في كل أرض يدعوهم الى الاسلام ويحملهم اثم أتباعهم ان لم يبلغوهم (٢) .

---

(١) سيرة النبي لابن هشام ج ٢ ص ٦٥

(٢) انظر الدعوة الاسلامية ووسائلها للدكتور احمد احمد غلوش ص ١٠١

وكان صلى الله عليه وسلم لا يفصل في دعوته هذه ورسائله بين متمسك بشرع تقدم أو عابد صنم أو غير ذلك .

ولقد شرح لهم في هذه الرسائل عقيدة الاسلام بايجاز بليغ وكان هؤلاء الرسل على هيئة مايسمى اليوم بالمبعوث "الدبلوماسى" الخاص(١) . وقد بعث في يوم واحد ستة نفر وذلك في المحرم سنة سبع من الهجرة وقد كانت وجهة كل منهم على النحو التالي :

١ - عمرو بن امية الضمرى بعثه الى النجاشى فعظم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم وشهد شهادة الحق .

٢ - دحية بن خليفة الكلبى الى قيصر ملك الروم واسمه هرقل وهم بالاسلام وكاد ولم يفعل .

٣ - عبد الله بن حذافة السهمى الى كسرى واسمه "ابرويز بن هرمز . أنوشروان فمزق كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم مزق ملكه فمزق الله ملكه وملك قومه" .

٤ - حاطب بن أبى بلتعه بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى المقوقس واسمه جريج بن مينا ملك الاسكندرية عظيم القبط فقال خيرا وقارب الأمر ولم يسلم وأهدى للنبى صلى الله عليه وسلم "مارية واختيها سيرين وقيسرى .....
فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
"ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه" .

٥ - وبعث شجاع بن وهب الأسدى الى الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك البلقاء ..." .

---

(١) انظر الاسلام ضرورة عالمية للدكتور زاهر عزب الزغيبى ص ١٢٨ .

٦ - سليط بن عمرو الى هوذة بن علي الحنفي باليمامة فأكرمه وقيل بعثه الى هوذة والى ثمامة بن اثال الحنفي قلم يسلم هوذة واسلم ثمامة بعد ذلك .

فهؤلاء الستة هم الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم واحد .

٧ - وفي شهر ذي القعدة سنة ثمان بعث عمرو بن العاص الى جيفر وعبد الله بني الجلندي الازديين بعمان فأسلما .

٨ - وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين فأسلم .

٩ - وبعث المهاجر بن أمية المخزومي الى الحرث بن عبد كلال الحميري باليمن فقال : سأنظر في أمري .

١٠ - وبعث ابا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل الى اليمن عند انصرافه من تبوك داعيين الى الاسلام فاسلم عامة أهلها طوعا من غير قتال . ثم بعث بعد ذلك علي بن أبي طالب الى اليمن ووافاه بمكة في حجه الوداع .

١١ - جرير بن عبد الله البجلي الى ذي الكلاع الحميري وذي عمرو يدعوهما الى الاسلام فأسلما ...

١٢ - عمرو بن أمية الضمري بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم الى مسيلمة الكذاب .

وغير هؤلاء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الدعوة الى الاسلام (١) .

ثم انه بعد هذه البعوث وهذه الرسائل التي بعثها النبي صلى الله عليه وسلم الى تلك الأقطار والأمصار يدعو أهلها للدخول في الاسلام نراه بعد ذلك يتسود

---

(١) مختصر من زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ج ١ ص ٣٠ طبعة بيروت وانظر" خاتم النبيين لابي زهرة ج ٣ تحت عنوان : بعث الرسائل الى الملوك تتذكر الاستاذ أبو زهره أغلب نصوص هذه الرسائل واكتفى عن ذكرها بالاحالة له .

الغزوات ويسير السرايا لازالة الحواجز التى تقف دون انتشار هذه الرسالة العالمية وتتسع هذه الغزوات حتى تجاوزت حدود الجزيرة العربية حين وقعت غزوة موءته بين المسلمين وبين الرومان يساعدهم عرب الشام بسبب فتنتهم للموءمنين وقتلهم لبعضهم مما كان سببا فى ارهاب من يهم بالدخول فى دعوة الاسلام وبسبب قتلهم لرسول رسول الله الى ملك الروم فكان لابد أن يقف النبى صلى الله عليه وسلم أمام هذا الغدر بقوة وأن يفسح المجال أمام رسالة الله لتصل الى كل انسان خاصة وأنه أصبح له من القوة والمنعة ما يمكنه من تبليغ الدعوة امتثالا لأمر الله تعالى (١) . وكان على ثقة بأن الله تعالى سيعلى دينه وأن جميع العوائق التى امامه ستذوب وأن شيئا ما لن يثبت أمام امتداده وأن السلطات التى تناوئه وترهب أتباعه ستتداعى سلطة بعد سلطة ، وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة فقال تعالى : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " (٢) .

وقال تعالى :

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) (٣) .

وبعد هذه المراحل الهامة فى تاريخ انتشار الدعوة الاسلامية واكتمال الدين الذى ارتضاه الله لنا :

---

(١) انظر خاتم النبيين لابى زهرة ج ٣ ص ٩٠١ الطبعة الاولى
(٢) سورة الصف آية ٩
(٣) سورة النور آية ٥٥

" ... اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا .. " الآية (١) .

بعدها ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى وتؤول الدعوة وأمورها ومسئولية السير بها على نفس النهج الذى علمهم اياه الرسول قولا وعملا الى صحابته من بعده فساروا بها على نفس النهج الذى سلكه الرسول وكانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأرض ستخضع للاسلام وأن ملك كسرى وقيصر سيتلاشى بين أيديهم لقد سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم " اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذى نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله " (٢)

فانطلقوا بعد موت الرسول الى هذه الامبراطوريات الشاهقة وكأنهم على موعد مع الفتح ما خالجتهم ريبة فى أن النصر مكتوب - باذن الله لهم .

انه ليس ملك كسرى وقيصر فقط بل العالم أجمع سوف يهتدى الى الاسلام ويستريح الى هديه (٣) كما روى احمد وغيره عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال :

" ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله هذا الدين يعز عزيزا ويذل ذليلا عزا يعز الله به الاسلام وذلا يذل الله به الكفر " (٤) .

---

(١) سورة المائدة ٣

(٢) مسند الامام احمد بن حنبل ج ٢ ص ٢٣٣ دار صادر بيروت وذكره الشافعى فى "الام" ج ٤ ص ٩٤ دار الشعب للطباعة والنشر

(٣) انظر دفاع عن العقيدة والشريعة للاستاذ محمد الغزالى ص ٨٤ ط ٣ وانظر الام للشافعى ج ٤ ص ص ٩٧ - ٩٢ الطبعة الاولى بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق ١٣٢٢ .

(٤) مسند الامام احمد ج ٤ ص ١٠٣ دار صادر بيروت

الفصـــل الثالـــث

الشبه الواردة على خصيصة العالمية والرد عليها

الشبهة الاولى : زعم خصوصيتها للعرب

تقدم فى مبحث موقف أهل الكتاب من رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنهم ينقسمون فى ذلك الى قسمين :

قسم ينكرها بالكلية ويزعم أن محمدا لم يكن رسولا ولم يكن مبعوثا من الله وقد تقدم الكلام فى الرد على مزاعم هؤلاء .

والقسم الآخر وهوما أرجأنا الكلام فيه هناك لمناسبته هنا وهذا القسم تتزعمه طائفة العيسوية من اليهود (١) وقد تبعهم فى هذا الزعم طوائف من النصارى ويزعمون أن الرسالة التى جاء بها محمد خاصة بالعرب . (٢)

ويمكن تحديد أدلتهم التى يعتمدون عليها فيما يلى :

١ - يقولون بأن الدعوة التى جاء بها محمد عربية فى جوانبها المتعددة :

أ - فرسولها محمد - صلى الله عليه وسلم - عربى كما قال عنه القرآن :

" ... فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى ...) الآية (٣)

والأمى أى العربى .

---

(١) تنسب هذه الطائفة الى أبى عيسى اسحاق بن يعقوب الأصفهانى ظهر فى زمن المنصور وابتدأ دعوته فى زمن آخر ملوك بنى أمية مروان بن محمد فاتبعه بشر كثير من اليهود وادعوا له آيات ومعجزات وزعم أنه نبى وأنه رسول المسيح المنتظر خالف اليهود فى كثير من أحكام التوراة .
انظر الملل والنحل للشهرستانى تصحيح وتعليق احمد فهمى محمد ج ٢ ص ٢٣ ط ١

(٢) انظر مجموعة الحواشى البهية على شرح العقائد النسفية ج ١ ص ص ٩٠ ١ طبعة ١٣٢٢ ه

(٣) سورة الاعراف آية ١٥٨

ب - وقد ظهر في أمة العرب لقوله تعالى :

" هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين " . (١)

والأميون هم العرب ويذكرون فى مقابل أهل الكتاب .

جـ - وكتاب الدعوة هو القرآن وقد أنزل بلسان عربى :

" انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " (٢)

" نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين " (٣)

٢ - آيات من القرآن الكريم استدلوا بها وتخيلوها تساعد فى زعمهم هذا :

ومن هذه الآيات :

قوله تعالى :

" وأنذر عشيرتك الأقربين " (٤)

وقوله " وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها .. " (٥)

وقوله : " لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون " (٦)

قالوا ان هذه الآيات تخصص الدعوة بأهل الرسول وعشيرته الذين أمر بانذارهم وقالوا : ان هؤلاء قد سكنوا فى أم القرى وبعض القرى حواليها وهم أقوام ما أتاهم رسل من زمن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام .

---

(١) سورة الجمعه آية ٢
(٢) سورة يوسف ٢
(٣) سورة الشعراء ١٩٣ - ١٩٥
(٤) سورة الشعراء ٢١٤
(٥) سورة الشورى ٧
(٦) سورة القصص ٤٦

٣ - ادعوا أن العالمية لم تكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأنها لم تظهر الا في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لدرجة أنهم يسمونه بالمستعمر العربي ويزعمون أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - لم يدع في حياته غير العرب ولم يأمر أتباعه بدعوة أحد من غير العرب ، وحاولوا تأويل النصوص القرآنية الدالة على العموم بأنه عموم مخصص بأمة العرب و "الغافلون" هم العرب و "الكافة" هم العرب والجميع هم جميع العرب . (١)

---

(١) انظر الدعوة الاسلامية ووسائلها للدكتور احمد احمد غلوش ص ٩٦
والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ج ١ ص ٢٧
وما بعدها .
وأصول الدين عبد القاهر بن طاهر البغدادي ص ١٦٣ - ١٦٤ ط ١

الجواب على هذه الشبهة :

الجواب عن استدلالهم الأول على خصوصية الدعوة بالعرب :

ان دليلكم على خصوصية الدعوة بأمة العرب بكون نبيها عربيا وظهر فى أمة العرب وأتى بكتاب بلغة العرب لا يصح وذلك لما يأتى :

أما من حيث كون النبى عربيا :

فان الله تعالى عندما أراد أن ينعم على الأمة برسالة عالمية خاتمة وافية بحاجات البشر الدينية والدنيوية كان من كمال هذه النعمة الجليلة أن جعلها بهذا اللسان العربى وذلك لان أمر اختيار الرسل للرسالة أمر موكول الى علم الله المحيط بمن يليق بهذا الأمر الكونى الخطير من عباده :

"الله أعلم حيث يجعل رسالته" (١)

وقد جعلها الله تعالى حيث علم واختار لها أكرم خلقه وأخلصهم وجعل الرسل هم ذلك الرهط الكريم حتى انتهت الى محمد خير خلقه وخاتم أنبيائه ، فكمال "الذات المحمدية" كمال لم يتحقق فى أى انسان غيره نسبا وخلقا وابتعادا عن الوثنية التى كان يغص فيها العالم .

ولهذا التأهيل الذى ترشح به محمد صلى الله عليه وسلم لحمل الرسالة يقول جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يقف مخاطبا نجاشى الحبشة وكذلك يقوله المغيرة بن شعبة لكسرى :

"ان الله بعث فينا رسولا منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه وأمانته ..." .

انهم يعرفون كل شىء عن محمد صلى الله عليه وسلم والأوصاف التى تؤهله لأن

---

(١) سورة الأنعام ١٢٤

يكون الرسول للرسالة الخاتمة ليس ذلك لفصاحته وبلاغته العربية فحسب بل لكونه ذلك الانسان الذى اجتمعت فيه خصال الفضيلة والخير وهى خصال لا تختص بعربى أو أعجمى بل هى مشاع بين البشر اكتملت كلها فى محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا الاعتراض الذى يعترض به هؤلاء على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لكونه عربيا يتكلم بلسان عربى ويقولون يلزم من ذلك أن يكون رسولا للعرب دون غيرهم هذا الاعتراض اعتراض فيه من التعصب الأعمى والأنانية ما تناسوا معه الأواصر الأخرى التى تربط العربى بغيره كأخوة الأب الواحد والأم الواحدة التى ترجع اليها هذه الكتل البشرية على اختلاف ألوانهم ولهجاتهم وطباعهم وهم جميعا على كل حال من أحوال التفرق موضع تكليف بأوامر الله واجتناب نواهيه .

بل ان هذا الرسول - صلى الله عليه وسلم - العربى كان من أصول دعوته عدم التفرقة بين بنى البشر فهو انما جاء ليجمعهم على كلمة واحدة ولذلك ذكرهم بأنهم أمة واحدة وأصلهم واحد لا فرق بين عربى وأعجمى يقول تعالى :

" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ... " (١) الآية .

وقال تعالى :

" يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير" (٢) .

ويضاف الى هذه الأمور أننا لو نظرنا الى أحوال العالم - كما سيأتى بيانه - لرأينا أن غالبية العالم تحكمه حكومات لها قوانين وأنظمة ومبادئ ولها مفكرون يقننون لها الأنظمة وينفذونها ويرشدون الشعب الى الفضيلة والنظام وينشرون

---

(١) سورة النساء آية ١

(٢) سورة الحجرات آية ١٣

بينهم الوعى والثقافة ويدافعون عن آراء الحكومة واتجاهاتها فلو فرض أن الرسول العام أرسل وبعث فى احدى هذه الدول كدولة الفرس أو الروم فان لنا أن نتخيل ماذا سيكون رد الفعل عند الدولة الأخرى ان قدر لدعوته القبول فى الدولة التى بعث فيها ؟ لا شك أنه سيعتبر حركة مضادة لها ولمفكريها ولآرائها ومعتقداتها وستجابه دعوته على مستويات حكومية منظمة وتسير لها الجيوش وتغلق دونها الحدود ، لكن لو نظرنا الى الجزيرة العربية والى الحجاز بالذات فى ذلك الوقت الذى بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم لرأينا أنه لا حكومة ولا قوانين وأن الأمر يعود الى كبار القبيلة وأعيانها فقط ولرأينا أن الجهل مطبق فى جميع نواحى الحياة سواء كان فى الناحية الاعتقادية أو التشريعية أو غيرها فكون محمد صلى الله عليه وسلم يبعث فى هذا المجتمع المتفكك المتناقض ويخرجه من الظلمات الى النور ومن الفوضى الى النظام ومن العصبيات والقبلية الى ظل الاسلام ونظامه الذى غطى على هذه العصبيات أقول ان كونه يبعث فى هذا المجتمع أدعى للقبول وأقرب للنجاح وأبعد عن سوء الظن فقد بقى صلى الله عليه وسلم يدعو فى هذا المجتمع ويهدم من عاداته الركيكة المذمومة ويشرع وينظم حتى كون منهم مجتمعا نظاميا اسلاميا يحب النظام ويحارب الفوضى ويحب العلم ويبغض الجهل وفهمت دعوته فهما واضحا خاليا من التعقيدات والآراء الفلسفية التى توجد فى الممالك المجاورة كالفرس والرومان فأصبح لهذه الدعوة دولة تضم أمة واحدة مسلمة يتكون أفرادها من هداهم الله الى الايمان بمحمد عربى كان أو عجمى من أجل هذه الدعوة يحيون ويموتون فلم يخضع صلى الله عليه وسلم طيلة حياته لقوة أو سلطان غير سلطان الله تعالى وقوته .

وربما ساعد على تخيلنا هذا أنه عندما فكرت قريش فى القضاء على دعوته وهومنها والقضاء على الدعوة لا يكون الا بالقضاء عليه فلو أقدم على هذه المهمة شخص لقامت ثارات بين قريش ولنقضت عليها فبنى عبد المطلب لن يرضوا بأن يذهب دم ابنهم هدرا كما أن قريشا لو قام بهذه المهمة فرد من سواها لما رضيت أن يذهب دم ابنها هدرا

بدافع العصبية الدم ، اذا فهي لم تجد حلا للقضاء على هذه الدعوة التـــي أقلقتهم الا بأن يسلموا أمرهم لمحمد ويعطوه كل مايطلب من الملك عليهـــم والتزوج بما شاء من بناتهم والأخذ من مالهم ان هو تنازل عن دعوته (١) هذه وأني لهم أن يتنازل عنها ولهذا كان جوابه : والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته " (٢)

ولو كان هناك سلطة عليا وحكومة مسيطرة ما أقدمت على هذه التنازلات العظيمة لفرد أعزل لا يملك قوة مادية يرهب بها أعداءه وينشر بها دعوته .

ومن احتجاجهم بقوله تعالى :

" كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا .. (٣)

وبقوله :" لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهـــم آياته " (٤)

فهو كقوله تعالى :" لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكـــم بالمؤمنين رؤوف رحيم" (٤) .

وفي عموم الخطاب هنا قولان :

- فانه اما أن يكون خطابا لجميع الناس ويكون المراد حينئذ :

"انا بعثنا اليكم رسولا من البشر اذ كنتم لا تطيقون ان تأخذوا عن ملـــك

(١) انظر سيرة النبي لابن هشام ج ١ ص ٢٩٣
(٢) انظر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد رضا ص ٨٧ طبعة ١٣٦٥ هـ
(٣) سورة البقرة آية ١٥١
(٤) سورة آل عمران ١٦٤
(٥) سورة التوبة ١٢٨

من الملائكة فمن الله عليكم بأن أرسل اليكم رسولا بشريا قال تعالى :

" وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون" (١) .

- واما أن يكون الخطاب للعرب :

وعلى التقديرين فانما تضمن ذكر انعامه على المخاطبين بارساله رسولا من جنسهم وليس فى هذا ما يمنع أن يكون رسولا الى غيرهم فانه ان كان خطابا للانس كلهم فهو أيضا مرسل الى الجن وليس من جنسهم فكيف يمتنع اذا كان الخطاب خطابا للعرب بما امتن به عليهم أن يكون امتن على غيرهم بذلك فالعجم أقرب الى العرب من الجن والانس وقد أخبر فى الكتاب العزيز ان الجن لما سمعوا القرآن آمنوا به (٢) قال الله تعالى :

" واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لمابين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين " (٣) .

---

(١) سورة الانعام ٩

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ج ١ ص ١٦٥

(٣) سورة الأحقاف ٢٩ - ٣٢

وأما من حيث اختيار الأمة العربية لتكون مهبطا للوحى :

أما من حيث اختيار الأمة العربية لذلك فذلك ليس دليلا على اختصاصها بالرسالة وأنه لم يبعث الا اليها فهو مرسل لجميع البشر . واستدلالهم بالآية الكريمة : " هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم " ونحوها فهو استدلال فى غير محله ذلك أن هذه الآية وأمثالها فى القرآن الكريم لا تدل على اختصاص رسالته بالعرب وانما فيها اثبات رسالته اليهم كما أن فى القرآن الكريم اثبات رسالته الى قريش (١) وليس هذا منافيا لكونه مرسل الى الأميين كما أن فى القرآن الكريم اثبات رسالته الى أهل الكتاب لقوله تعالى " يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا (٢) "

فليس التخصيص للذين أوتوا الكتاب منافيا لذلك التعميم .

واذا أمعنا النظر وحاولنا التماس بعض الحكمة التى من أجلها اختيرت الأمة العربية لتكون منطلقا للرسالة العامة فانا نرى العرب جمع لهم من المزايا التى تؤهلهم لان تنبعث الرسالة العامة على يديهم وتنطلق من بلادهم ، ومن هذه المزايا ما يأتى :

أولا : أن الرسالة الخاتمة العامة فى حاجة الى دعاة يذهبون بها الى الأمم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وهى لا تنجح ولا تنتشر فى الأرض ولا يعظم أمرها فى القلوب الا بمقدار ما يكون للداعى من براعة فى فنون البيان وفصاحة اللسان .

---

(١) وهو قوله تعالى فى سورة الزخرف آية ٤٤ " وانه لذكر لك ولقومك " . وقومه هم قريش .

(٢) سورة النساء آية ٤٧

ومن المعروف أن العرب قبضوا على زمام البلاغة وحسن التصرف فى القول ما لم تبلغه أمة من الامم فاقتضت حكمة الله أن يكون ظهور هذا الدين العام فى ديارهم حتى يجد رجالا تحقق فيهم أهم شرط من شروط القيام بالدعوة الموجهة الى أمم مختلفة وطبقات متفاوتة وهو فصاحة اللسان وحكمة البيان . (١)

على أن هذه الفصاحة وذلك البيان موجود فى فطرة العربى لم تكن مكتسبة بطريق التعلم والتتلمذ كغيرها من العلوم بل ان هذه الميزة الحميدة يكتسبها العربى من مجتمعه الذى يعيش فيه كما يكتسب الطباع والعادات ويألفها كما يألف المناخ الذى يعيش فيه مجتمعه .

واذا رجعنا الى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لعلمنا ان الرسول صلى الله عليه وسلم هو أفصح العرب قد أوتى جوامع الكلم فى حين أنه أمى لا يقرأ ولا يكتب ولعلمنا أن جل أصحابه الذين آمنوا به قد بهرهم ما أوتى من البلاغة والفصاحة والبيان فى توضيح الحق والدعوة اليه ، ولما فى القرآن الكريم من قوة الاعجاز والحجج الدامغة ولهذا سارعوا الى الايمان به والوقوف معه ، وكان بعضهم يرى فى نفسه زعما أنه لا يجارى فى فصاحته وبيانه حتى يسمع محمدا صلى الله عليه وسلم فيدهش لما يسمع ولا يملك الا أن يسارع للايمان والتصديق بما جاء به الا من غلبت عليهم أنفسهم فبقوا على كفرهم واسندوا ما سمعوا من محمد صلى الله عليه وسلم الى السحر أو الكهانة أو الجنون . ونضرب مثلا لذلك :

---

(١) انظر كتاب محمد رسول الله وخاتم النبيين للامام محمد الخضر حسين ص ٢٦ ، سنة ١٣٩١ هـ .

قدم الطفيل بن عمرو الدوسي مكة وكان رجلا شريفا شاعرا لبيبا فسارعت اليه قريش تحذره محمدا وأن قوله كالسحر يفرق بين المرء وأهله بل بين المرء ونفسه وأنهم يخشون عليه وعلى قومه مثل ما أصابهم بمكة وأن الخير في أن لا يكلمه ولا يستمع اليه . وذهب الطفيل يوما الى الكعبة وكان محمد صلى الله عليه وسلم هناك فسمع بعض قوله فاذا هو كلام حسن فقال في نفسه :

واثكل أمي والله اني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان حسنا قبلته وان كان قبيحا تركته واتبع محمدا صلى الله عليه وسلم الى بيته وأظهره على أمره وما دار بنفسه فعرض محمد عليه السلام عليه الاسلام وتلا عليه القرآن فأسلم وشهد شهادة الحق ورجع الى قومه يدعوهم الى الاسلام فأسلم أكثرهم - وليس الطفيل هذا الا مثلا من كثير . (١)

وقد فكرت قريش والدعوة لا تزال في عهدها الأول في مكة المكرمة فكثرت في سلاح الدعاية ضد محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلم من أهل مكة من أسلم متأثرين ببيانه العظيم ودعوته الحكيمة وقد قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم مبادأة العرب في الموسم فاجتمع نفر من قريش الى الوليد بن المغيرة يتشاورون ماذا عسى أن يقولوا في شأن محمد للعرب القادمين الى موسم الحج حتى لا يختلف بعضهم على بعض ويكذب بعضهم بعضا واقترح بعضهم ان يقولوا : ان محمدا كاهن فردّ الوليد هذا الرأي ان ليس ما يقول محمد بزمزمة (٢) الكاهن ولا بسجعه . واقترح آخرون أن يزعموا أن محمدا مجنون فردّ الوليد هذا الرأي بأنه لا تبدو عليه لهذا الزعم ظاهرة . واقترح غيرهم أن يتهموا محمدا بالسحر فردّ الوليد بأن محمدا لا ينفث في العقد ولا يأتي من عمل السحرة شيئا .

---

(١) انظر حياة محمد لمحمد حسين هيكل ص ١٧٢ الطبعة الثالثة عشرة
(٢) الزمزمة : الكلام الخفي

وبعد هذا الحوار اقترح عليهم الوليد أن يقولوا للحاج :

ان هذا الرجل ساحر البيان وأن ما يقوله سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته وانطلقت قريش فى الموسم تحذر الحاج الاستماع الى هذا الرجل وسحر بيانه حتى لا يصيبها ما أصاب مكة فتكون فتنة تصلى نارها جزيرة العرب جمعاء . (١)

وهكذا قدر الله نجاح الدعوة فى بدء أمرها بقوة الحجة والبيان وسخر الله سبحانه وتعالى لنبيه رجالا امتلأت قلوبهم بالعقيدة وألسنتهم بالفصاحة والبيان أرسلهم رسول الله الى ملوك وامراء العالم ليبلغوا الرسالة ويؤدوا الأمانة فنجد منهم من يقف أمام نجاشى الحبشة وكسرى الفرس وقيصر الروم وغيرهم من ملوك وأمراء العالم ويشرح لهم الدعوة التى جاء بها محمد فى عبارات قليلة ومعان سامية رفيعة بهرت لب المخاطبين وأدهشتهم .

فهذا سلاح البيان والحجة الذى يحمله العربى ويتأثر به أكثر من غيره قد حقق دوره الفعال فى الدعوة الى الاسلام قال تعالى :

" ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين " (٢) .

ثانيا : ان الاسلام لا يقتصر على مجرد الدعوى والارشاد بل يقصد الى تنفيذ أوامره وأحكامه بين الامم وازاحة كل عقبة تقف فى سبيله وهذه المزية تستدعى أن يكون أول القائمين بالدعوة اليه والجهاد فى سبيل تنفيذ وتبليغ ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ذوى اخلاق عظيمة من نحو الشجاعة والصبر على المشاق وقلة التعلق بالترف وزخارف الحياة .

---

(١) انظر حياة محمد لمحمد حسين هيكل ١٦٩ - ١٧١ الطبعة الثالثة عشرة
(٢) سورة النحل آية ١٢٥

واذا نظرنا الى العرب نجد أنهم امتازوا بأخلاق سامية فاقت فيها غيرها من الأمم فقد امتازت العرب بالشجاعة والاستهانة بالموت فى سبيل ما يعتقدون (١) الى جانب ما كان فى العرب من خلال الكرم والنجدة وحماية الجار والعفو عند المقدرة وما الى ذلك من خلال تقوى فى النفس كلما قرب صاحبها من حياة البادية وتضعف وتضمحل كلما أوغلت فى أسباب الحضارة .

وهذه الخلال تحتاج اليها الدعوة كثيرا وقد كان لها دورها العظيم فى بدء الدعوة قبل الهجرة . :

ففى حصار المسلمين فى شعب عامر لولا أنه كان من أهل مكة رجال لديهم على المسلمين عطف يحملون اليهم الطعام فى الشعب الذى احتموا به لهلكوا جوعا وقد ضرب هشام بن عمرو أروع الأمثلة فى الكرم فى هذه البأساء فقد كان يأتى بالبعير وقد حمله طعاما فيسير به جوف الليل حتى اذا استقبل فم الشعب خلع خطامه ثم ضرب على جنبه فيدخل البعير الشعب عليهم .

ولما ضاق صدرا بما يحتمل محمد وأصحابه من الأذى مشى الى زهير بن أميه وأقنعه بنقض صحيفة الحصار . (٢)

فهذا الخلق العظيم من رجل لم يسلم بعد فكيف بمن دخل الاسلام ؟ !

لقد ضرب الانصار امثلة رائعة لذلك فقد ناصفوا المهاجرين فى كل ما يملكون وأظهروا لهم من كرم الضيافة ما تقبله المهاجرون مغتبطين ذلك أن المهاجرين تركوا مكة وتركوا فيها كل ما يملكون من مال ومتاع ودخلوا المدينة ولا يكاد الكثيرون منهم يجدون قوتهم (٣)

---

(١) انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين محمد الخضر حسين ص ١٢٦ ط ١٣٩١ هـ

(٢) انظر حياة محمد صلى الله عليه وسلم محمد حسين هيكل ١٨٢ ط ١٣

(٣) انظر حياة محمد صلى الله عليه وسلم محمد حسين هيكل ص ٢٢٣ ط ١٣

وقد ساء يهود المدينة هذا الكرم الذى يبذله الأنصار لاخوانهم المهاجرين فكان اناس منهم كحى بن أخطب يأتون الى رجال من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون لهم : لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر فى ذهابها ولا تسارعون فى النفقة فانكم لا تدرون علام يكون (١) فأنزل الله تعالى فيهم :

" الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله .. (٢) "

اى من التوراة التى فيها تصديق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (٣) .

ولا شك أن اليهود لم يلجئوا الى هذا التحريض للانصار ضد محمد ودعوته الا لما رأوا من الدور الكبير الذى يؤديه هذا البذل فى سبيل خدمة الاسلام ونشره ولو أن الدعوة وجدت فى غير الجزيرة العربية لما وجدت مثل هذا العطاء والسخاء الذى كان دافعه الكبير هو ما جبلت عليه نفوس العرب من خلق الكرم والشهامة والشجاعة .

---

(١) اى لا تدرون على أى حال ينتهى اليه أمر هذا الدين الى نصر أم هزيمة

(٢) سورة النساء آية ٣٧

(٣) انظر سيرة النبى لابن هشام ج ٢ ص ٢١٨

ثالثا : أن أحوال العالم كانت تهيء الجزيرة العربية لان تكون موطنا للرسالــة الخاتمة الى العالم أجمع وذلك أن العالم كان يعيش فى ظروف وأحوال مختلفة :

فمن الجزيرة العربية :

كانت هناك أمور تجعل منها مكانا صالحا لان تكون مبدأ انطلاقة الرسالة الخاتمة . ومن هذه الأمور :

١ - الموقع :

تعتبر الجزيرة العربية سرة العالم لأنها تقع فى وسطه وتتصل بكل أجزائه وأقاليمه ، ففى شرقها توجد الدولة الفارسية وما يليها من دول الشرق وفى شمالها توجد الدولة الرومانية وفى غربها توجد مصر والحبشة وما يليهما من دول افريقيـــا وفى جنوبها الشرقى توجد الهند .

وقد ساعد التغلب على عوائقها الطبيعية من مرتفعات وبحار أن العربى كان على خبرة كاملة بشعابها وطرق مواصلاتها فكثيرا ما جابها راكبا ابله فى قوافل التجارة وأسواق العرب ، وأيضا فلقد ركب العربى البحر الى الهند والى الحبشة .

ومن هنا كانت الجزيرة العربية ذات موقع مناسب لنزول الرسالة الخاتمة وتبليغها الى العالم بارسال الرسل والكتب واستقبال الوفود وبعث الجيوش الى كل مكان من المعمورة (١) .

٢ - الحالتين : الفكرية والاجتماعية لسكان الجزيرة العربية :

أما عن حالة العرب الفكرية :

فأصدق تصوير لهذه الحالة هو قوله تعالى :

---

(١) انظر الدعوة الاسلامية . للدكتور أحمد أحمد غلوش ص ٣٧ - ٣٨ ط ١

" هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين (١) " .

فهذه الآية تبين حالتهم الفكرية والثقافية التى كانوا عليها وهى تتلخص فى الأمية والضلال المبين ، لقد كان دينهم الشرك اذ قد كانوا يؤمنون بالله وأنه اله عظيم خالق للأكوان مدبر للسموات والأرض ولكن ظنوا انه لا يوجد أحد من البشر يحظى عند الله بقبول مباشر للدعاء بغير واسطة فبحثوا لهم عن وسطاء يتوسلون بهم الى الله وأشركوهم فى الدعاء وقاموا نحوهم ببعض العبادات ثم مع مرور الزمن تحولت عقيدتهم الى الاعتقاد فى قدرة هؤلاء الشفعاء على النفع والضر .

لقد تعددت هذه الأصنام فكان لكل قبيلة صنم بل كان لكل بيت صنم . بل بلغ من سخافة عقولهم أن يعمد أحدهم الى أن يصنع صنم من الحلوى فيعبده فاذا جاع أكله :

وروى البخارى عن أبى رجاء العطاردى قال :

كنا نعبد الحجر فاذا وجدنا حجرا هو خير منه القيناه وأخذنا الآخر فاذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طفنا به ... الحديث (٢) .

وقال الثعلبى :

كان الرجل اذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر الى أحسنها فاتخذه ربا وجعل ثلاثا اثافى لقدره واذا ارتحل تركه " .

وكان لهم آلهة شتى من الملائكة والجن والكواكب (٣) .

---

(١) سورة الجمعه آية ٢
(٢) صحيح البخارى ج ٥ ص [illegible] مطابع الشعب
(٣) انظر الدعوة الاسلامية دعوة عالمية للأستاذ على عبد الحليم محمود ص ٦٩

ومع هذا الشرك لا ينكر وجود آثار تديّن فى حياة العرب :

اما على بقايا ملة سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتكاد تنحصر هذه الآثـــار فى مراسم الحج والعمرة وما يتعلق بالبيت الحرام الذى كانوا يقدسونه .

واما على الملل الأخرى، فقد وجدت اليهودية فى بعض اماكن من الجزيرة العربية فبعضها كان فى الشمال بتيماء وخيبر وفدك ويثرب ووادى القرى والبعض الآخـــر كان باليمن وبنجران .

كذلك النصرانية كانت منتشرة فى بعض انحاء الجزيرة وكان الرهبان ودعـــاة المسيحية فى نشاط دائب يجوبون الصحـــراء العربية ويترددون على أســـواق العرب ويغشون مجتمعاتهم داعين الى المسيحية . (١)

ولكن هذه الديانات كلها لا تكاد تمت الى حقيقة الدعوة التى جاء بها ابراهيم أو موسى أو عيسى عليهم السلام بصلة اذ قد دخلها التشويه والتحريف والتعطيل مما غير عقيدتها وطمس معالمها فلم يبق منها الا اليسير .

ورغم كثرة هذه الطرق التى سلكها العربى فى عبادته لله بطريق الواسطة صنم كانت أو جن أو ملائكة أو كواكب أو بطريق تلمس آثار الأقدمين رغم هذا كلـه فالعربى بحكم تفكيره وتلمسه لطريق الخير لم يأنس لشىء من هذه الطرق ولا يزال يتلمس الصواب فى الكيفية التى يعبد الله بها ويدل على ذلك ظاهرة تمردهم علـى عبادة الأصنام أن عبادتهم لها لم تكن جدية نابعة من وجدان وعقيدة ثابتة وكانـوا عندما يسألون عن سبب عبادتهم لها يجيبون بقولهم :

" ... ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى (٢) .... الآية"

" ... انّا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون" (٣)

---

(١) انظر كتاب الاسلام ظهوره وانتشاره فى العالم لحامد عبد القادر ص ٣٢

(٢) سورة الزمر آية ٣

(٣) سورة الزخرف آية ٢٢

ولم يكن هذا التمرد على الأصنام مقتصرا على العقلاء المرموقين أمثال ورقة ابن نوفل وأمية بن الصلت وقس بن ساعده الذين تقدم ذكرهم في هذه الرسالة وكيف أنهم دعوا الناس الى أن يلتمسوا لهم عن دين صحيح غير عبادة الأصنام والطرق التي كانوا يعبدون الله بها لم يكن ذلك مقتصرا عليهم بل شمل ذلك الأعراب في بواديهم حيث أدرك بعضهم ان تلك الهياكل لا قيمة لها ولا اثر لها في حياتهم .

وهذه أمثلة لذلك :

- كان لكنانة صنم يقال له "سعد" بساحل جده فأقبل رجل من كنانة بإبله ليقفها عليه تبركاً به فلما دنا من الصنم وكان عليه أثر دماء نفرت الابل وذهبت في كل وجه وتفرقت فأسف صاحبها لذلك وغضب على صنمه (سعد) وتناول حجرا فرماه به وقال : "لا بارك الله فيك الها انفرت على ابلي" ثم خرج في طلبها حتى جمعها وانصرف وهو يقول :

أتينا الى سعد ليجمع شملنا   فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد الا صخرة لا تقوى لها   ترجى فلا تدعى لغي ولا رشد

- وكان في مزينة صنم يقال له "نهم" وكان له سادن يسمى "خزاعي بن عبد نهم" فلما سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ثار على الصنم وانشأ يقول :

ذهبت الى نهم لأذبح عنده   عشيرة نسك كالذي كنت أفعل
فقلت لنفسي حين راجعت عقلها   أهذا اله ؟ ابكم ليس يعقل
أبيت فديني اليوم دين محمد   اله السماء الماجد المتفضل (١)

ومن هنا نعلم أن وصف القرآن الكريم لهم في الآية السابقة ب "الضلال المبين" انما ذلك لبعدهم عن الايمان بالخالق وعدم استجابتهم للحق لما جاءهم

---

(١) انظر كتاب أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ للدكتور ابراهيم شعوط ص ٣١ - ٣٢ ط ٤.

ومن هنا أيضا ندرك حاجة هؤلاء الى الهداية الى طريق الصواب فى عقيدتهم والذى يتلمسونه هم بأنفسهم وندرك حاجتهم فى أن يكونوا أول من يستفيد من هذه الرحمة العالمية الشاملة رحمة الله للعالم بالاسلام .

وأما عن حالتهم الاجتماعية والخلقية :

أصدق تصوير لهذه الحالة هو قوله تعالى :

"واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها .. كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون".

فالعرب على كثرة أعدادهم وسعة بلادهم كانوا متفرقين ليس لهم هدف موحد يدافعون عنه بعضهم يأكل بعضا وفخر كل قبيلة هو فى قتال أختها وسفك دماء أبطالها وسبى نسائها وسلب أموالها تسوقها المطامع الى المعامع ويزين لها السيئات حب الشهوات لقد بلغوا من التضعضع فى بعض الأخلاق ما كاد التاريخ معه أن ينسى كل خلق جميل لهم ومن ذلك قتلهم لبناتهم تخلصا من عار حياتهن أو تنصلا من نفقات معيشتهن .

وبالجملة فقد كانت ربط النظام الاجتماعى قد تراخت عقدها فى كل أمة وانفصمت عراها فى كل طائفة لقد صور لنا المفسر التابعى الجليل قتادة رضى الله عنه ما كان عليه العرب قبل الاسلام وما صاروا اليه بعد أصدق تصوير قال :

(كان هذا الحى من العرب اذل الناس ذلا واشقاه عيشا وأبينه ضلالة وأعراه جلودا وأجوعه بطونا مكعومين (٢) على راس حجر بين الاسدين فارس والروم

---

(١) آل عمران ١٠٣

(٢) كعم فم البعير وغيره اى شد فاه لئلا يعض ومنه قيل كعمه الخوف فهو مكعوم : أمسك فاه

لا والله ما فى بلاد هم يومئذ من شىء يحسدون عليه من عاش منهم عاش شقيا ومن مات ردى الى النار يؤكلون ولا يأكلون والله ما نعلم قبيلا يومئذ من حاضر الأرض كانوا فيها أصغر حظا وأرق فيها شأنا منهم حتى جاء الله عز وجل بالاسلام ...) (١) .

هذا عن الناحيتين الفكرية والاجتماعية واذا أمعنا النظر فى هاتين الناحيتين رأينا لهما أثرهما الواضح فى نواحى الحكم والسياسة والدولة وهذه النواحى التى هى من أعظم نواحى الدولة الحضارية لم يكن للعرب اية سمة منها فلم يكن للعرب دولة ولا حكومة ولا جيش وأعظم شاهد يدلنا على افتقارهم فى هذه النواحى : حادثة زحف أبرهة الحبشى على جزيرة العرب حتى وصل الى مكة المكرمة دون أن يجد فى طريقه مقاومة ذات شأن يذكر أو معارضة ذات بال تؤثر لقد حدث هذا ولو كان لديهم حكومة لعقدت جلسة تتخذ فيها القرارات المناسبة الكفيلة برد العدوان وصد الطغيان والاستعداد لملاقاة العدو واستعدادا يضمن لهم النصر ويدفع عنهم اللائمة ،كل الذى حفظه التاريخ هو أنهم تناصحوا أن ينصرفوا الى الجبال والشعاب والأودية وتركوا بيوتهم بل تركوا بيت الله الحرام الذى هو عزهم وفخرهم الذى يفخرون به (٢) .

ولهذا التأخر والاضطراب الذى ساد الجزيرة العربية فى جميع نواحى الحياة : الفكرية والاجتماعية والسياسية والعسكرية مع وقوعها بين دول متحضرة قد اجتمعت كلمة كل منها وتضافرت جهود أفرادها فى صالح الأمة تحت قيادة واحدة هى فى الفرس مثلا تحت قيادة الأكاسرة وفى الروم ان تحت قيادة القياصرة

---

(١) تفسير الطبرى ج ٧ ص ٨٧ - ٨٨ طبعة المعارف

(٢) انظر الرسالة المحمدية وشواهدها محمود عبد الوهاب فايد ص ١٠٢ الطبعة الأولى

وأصبح هدف كل أمة من هذه الأمم وطمحها هو فى أن تستولى على هذه المساحات الشاسعة من جزيرة العرب وتضمها الى مملكتها .

لهذا كله أصبح لدى العرب شعور بالحاجة الى التجمع تحت راية واحدة أسوة بأمة الفرس والروم ولم يحل دون تحقيق ذلك الا العصبيات التى كادت آثارها السيئة أن تقضى على العرب أجمع كما يشهد بذلك تاريخ أيامهم المشهورة .

اذا فمن المناسب جدا أن تكون هذه الدعوة أول ماتكون فى جزيرة العرب لما فى الدعوة من مبادىء تتناسب وفطرة العربى من حيث أن العربى قد شابت فطرته عقائد وعادات يمقتها بمجرد استيقاظ عقله وتنبيهه الى النهج القويم ، (ولأنه لم يكن عندهم من التقاليد الدينية المسيطرة على القلوب والارادات ولا من أمشاج الفلسفة البشرية الشاغلة للعقول والأفكار ولا من الاستبداد السياسى والاستعباد الروحانى السالبين لاستقلال الأفراد والجماعات ما يصرفهم عن فقهه وتدبره والاهتداء به أو يأفكهم عن الدعوة اليه وحمايته والجهاد بالأموال والأنفس فى سبيل اقامته (١)) .

وقد دل على ذلك تراجعهم السريع عن عبادة الأصنام واستسلامهم السريع للاله العظيم بمجرد معرفتهم أنه لا واسطة بين العابد والمعبود فالله هو الخالق وما سواه مخلوق .

وكذا تركهم للعصبيات بمجرد معرفتهم أن الناس امة واحدة لا تفاضل بينها الا بالتقوى والعمل الصالح فلا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى . ونرى أن الدعوة الاسلامية لقربها من قلب العربى ولبه لم تمكث الا ما يقارب من ثلاثين عاما حتى عمت الجزيرة العربية وتجاوزتها الى جيرانها بل

---

(١) الوحى المحمدى محمد رشيد رضا ص ٢٧ الطبعة السادسة

طرقت أبواب العالم كله لما وجدته عند العرب من التأييد العظيم والاستماتة في سبيلها .

ولا شك أن الدعوة لقيت كغيرها من الدعوات أعداء كثيرين وأوذي الرسول وكذا أصحابه بضروب الايذاء وأقيم في وجهه ما كان يصعب تذليله من العقبات لولا عناية الله ، وقد بقيت في أول الأمر في مكة وحدها ثلاث عشرة سنة وذلك بسبب ما قد تأثر به أهل مكة من الحضارات بسبب احترام العالم كله لهم لقربهم وسدانتهم لبيت الله الحرام ، فقد عرفوا أن الاستجابة للدعوة تسبب لهم فقد هذا المركز الذي تحظى به بين قبائل العرب التي كانت تحج لبيت الله وأيضا يزيدهم حماسا وتشجيعا على المعارضة ما كان يوغر بهصدورهم أقوام من أديان أخر ولهذا نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يهاجر وينتقل بدعوته الى المدينة مع المؤمنين الذين كانوا آمنوا به وهو في مكة ويحقق الله انتصار الدعوة المحمدية حتى انضم اليها سكان القفار العربية في وحدة لم يعرفها تاريخهم ولم يعهد لها نظير في ماضيهم .(١)

ومن أحوال العالم خارج حدود الجزيرة العربية قبل الدعوة :

واذا اتجهنا خارج حدود الجزيرة العربية فاننا نجد أن الأرض المعمورة تكاد تتقسمها امبراطوريات أربع :

الامبراطورية الرومانية في أوربا وطرف من آسيا وافريقية .

والامبراطورية الفارسية وتمد سلطانها على قسم كبير من آسيا وافريقية .

والامبراطورية الهندية .

والامبراطورية الصينية .

---

(١) انظر رسالة التوحيد للامام محمد عبده ص ١٤٥ الطبعة الرابعة

وتكادان تكونان مغلقتين على أنفسهما ومعزولتين بعقائدهما واتصالاتهما السياسية وغيرها وهذه العزلة كانت تجعل الامبراطوريتين الأوليين هما ذواتا الأثر الحقيقي في الحياة البشرية . (١)

ولو نظرنا في هذا العالم كله لما وجدنا الا انحلالا في العقائد واضطرابا في الأحوال ، ولنلقي نظرة على الامبراطوريتين الرومية والفارسية باعتبارهما الدولتين المتحضرتين والمنفتحتين على العالم آنذاك :

فالامبراطورية الرومانية كانت امبراطورية عظيمة موحدة ثم دخلها التفكك والانقسام فانقسمت نهائيا (٢) منذ سنة ٣٩٥م الى امبراطوريتين : شرقية وعاصمتها القسطنطينية وغربية وعاصمتها روما وكانت علامات الضعف وامارات التفرق بادية في كل منهما بسبب تنازع الاحزاب السياسية والفرق الدينية واختلاف الحكام وكثرة اغارات البرابرة على الامبراطورية الغربية حتى سقطت في أيدي المغيرين سنة ٤٧٦م واستمر الضعف يدب في الامبراطورية الشرقية وكثرت بها الفرق الدينية وعقدت بها عدة مجامع لتحرير العقيدة المسيحية والفصل في الخارجين على المذهب الملكي الرسمي ومع ذلك لم تحسم الخلافات ولم تنته المنازعات بل طغت الفرق بعضها على بعض ، وتعصب كل لعقيدته واستمات في الدفاع عنها فكثر الاضطهاد وانتشر الفساد وشاعت المظالم وخضعت العقيدة المسيحية للرأي ودخلها بعض العناصر الفلسفية فبعدت عن العقيدة الصحيحة التي أتى

---

(١) في ظلال القرآن سيد قطب المجلد الخامس ص ٣١٤٢ الطبعة الثالثة ١٣٩٧ هـ

(٢) حدث أول تقسيم للامبراطورية الرومانية بعد وفاة قسطنطين الاكبر سنة ٣٢٣ - ٣٣٧ م فقد قسمت بين اولاده ثم اتحدت بعد ثم انقسمت مرة أخرى الى أن تم تقسيمها ٣٩٥م .

بها السيد المسيح عليه السلام وكان الأباطرة المسيحيون يستخدمون نفوذهم السياسي للانتصار لبعض المذاهب دون بعض وارغام الناس على اعتناق عقيدة معينة . (١)

يقول المؤرخ الانجليزى " ويلز" ما خلاصته :

" ولم تكن هذه الخلافات والمنازعات الدينية الا مظاهر لانفجار العقل البشرى وغليان الدم الانسانى ولم تكن تلك الآراء المستحدثة لتتفق مع تعاليم المسيح الأولى المسطورة فى الكتاب المقدس وقد بالغ المسيحيون الأولون فى تعصبهم لمذاهب حتى صارت العقيدة تباع وتشترى وكان من يعتنق عقيدة ما تروج تجارته ويحصل على رغباته ومايحتاج اليه من معونة .." (٢) .

ويقول المؤرخ نفسه :

لقد أدت هذه الخلافات الدينية الى خصومات اجتماعية ومنازعات دولية كما كانت الخصومات التجارية أو الزوجية تجر الى خصومات مذهبية فاذا اختلف تاجر وزميله اعتنق مذهبا دينيا غير مذهبه واذا ارادت زوجة اغضاب زوجها اعتقدت عقيدة مخالفة لعقيدته وكان معظم البرابرة المغيرين على الدولة الرومانية يفضلون مذهب "اريوس (٣) " المخالف لمذهب الاباطرة اذ لم تستطع عقولهم ان تستسيغ العقيدة الرسمية المعقدة واذا سألت عن سبب ذلك كله اخبرت بأنه ينحصر فى تأويل ماورد فى بعض كلام السيد المسيح من أنه ابن الله كلمة قالها - فى زعمهم -

---

(١) انظر الاسلام ظهوره وانتشاره فى العالم حامد عبدالقادر ص٧٨ ط ٢

(٢) المرجع السابق ص٧٩

(٣) أريوس " قسيس مصرى كانت دعوته الى التوحيد وينكر التثليث وكان أحد الزعماء الدينيين الذين حضروا مجمع نيقيه سنة ٣٢٥م فى عهد الامبراطور قسطنطين وجهر بعقيدته فى هذا المجمع الا أنه حورب وطرد من هذا المجمع ومن يشاركه الرأى ثم قتل .

ولم يبين حقيقتها ولم يشرح مغزاها فأخذوها على ظاهرها وذهبوا مذاهب شتى فى فهمها ، وأخذوا يتساءلون أاله المسيح أم مخلوق لله وهل هو نفس الاله أو هو شىء آخر ..؟ (١) .

هكذا نرى أن الحياة فى الامبراطورية الرومانية كانت تسير الى الهلاك والانحطاط حتى ما كان منها يتعلق بالعلوم والمعارف :

يقول المؤرخ السابق :

" وقد ظهر لكثير من الناس فى تلك الايام المظلمة أن العلوم والمعارف وكل مايرغب فى الحياة ويجعلها مما يعتد به كان سائرا فى طريق الفناء" (٢) .

ويجمع المؤرخون على أن تلك البلاد التى كانت تدعى حماية المسيحية كانت فى الوقت نفسه مباءة لمفاسد متعددة ومتنوعة تأباها الانسانية وتقشعر منها الأبدان ويتبرأ منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان (٣) .

<u>وفى فارس :</u>

لم تكن الامبراطورية الفارسية بأوفر حظا ولا أحسن حالا من جارتها قبيل البعثة المحمدية فقد كانت فى حروب دائمة داخلية وخارجية وكانت تنافس الامبراطورية الرومانية فى امتلاك آسيا وبسط النفوذ على سكانها وكثيرا ما كان مقدسوا النار يهزمون عبدة المسيح وينهبون أموالهم ويأسرون منهم وأحيانا كانت تدور الدائرة على الفرس فيغلبهم الروم فيأسرون وينهبون منهم ، وكذلك كانوا لا يكفون عن المقاتلة الا قليلا .

---

(١) المرجع السابق ص ٨٠
(٢) " " "
(٣) " " "

وكان الفرس لا يعبدون الاله الحق ولم تتمكن الأخلاق الفاضلة من نفوسهم وكان الأكاسرة يضطهدون الفرق الدينية التى كانت تعتنق مذاهب غير مذهبهم وكانوا يطاردونهم ويلحقون بهم الأذى .

وفى أوائل القرن السادس الميلادى ظهر مزدك بأفكاره التي يدعو فيها الى المساواة فى الملكية واعتبار الأموال والنساء مشتركة بين الناس جميعا كالماء والنور والنبات ، وادعى أنه خليفة لزرادشت وثار عليه عقلاء الفرس وأخيرا حكم عليه بالاعدام فأعدم هو وكثير من أتباعه ولكن مبادئه لم تعدم معه اذ مالبثت ان انتشرت فى فارس وما جاورها من البلاد وكان لها تأثيرها السيء فى النفوس .

وقد كان لهذه الشرور المنتشرة فى مملكة الفرس آثارها الظاهرة فى تدهور أخلاق الشعب الفارسي واضطراب أحواله الاجتماعية العامة ولم يخفف من حدتها الا حزم أنوشروان العادل حيث أمر برؤوس المزدكية فقتلوا وقسمت أموالهم فى أهل الحاجة وتتبع المزدكية وأفحش فيهم القتل .

ثم تتابع تدهور الأوضاع فى فارس ونشوب حروب بينهم وبين الرومان حتى ضعفت وبلغ أمر الامبراطورية الفارسية الى غاية الضعف فوجد العرب المسلمون الطريق سهلا أمامهم فى فتح الفرس ونشر الاسلام بينهم وكان الفتح العظيم لفارس فى عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب . (١)

وهكذا كانت الأحوال فى العالم المتمدين قبل البعثة المحمدية وهى أحوال تتطلب الانقاذ السريع والعلاج الحاسم (٢) .

وباستقراء هذه الحالات يعلم المنصف انه لو كانت بداية الدعوة ونزولها فى أى من

---

(١) انظر كتاب : الاسلام ظهوره وانتشاره فى العالم حامد عبد القادر ص ٨٤ - ط ٢

(٢) انظر دفاع عن العقيدة والشريعة للاستاذ محمد الغزالى ص ١٩٢ - ١٩٤ ط ٣ وفيها ذكر فضيلته صورة عن أحوال العالم قبل البعثة المحمدية

هاتين المملكتين لعدت من الدعوات والمبادىء التى وجدت فيها ولما قدر لها أن تجتاح جميع تلك العقبات من العقائد الباطلة والطوائف المتعددة بقدر النجاح الباهر الذى حققته الله لها فى جزيرة العرب لما هيأه لها فيها من الظروف المناسبة اذ لو ظهر نبى كمحمد بفكرة جديدة فى أى من الدولتين المتحضرتين لاعتبره حكامها ضدهم وعلى حساب مركزهم ولوجد فى طريقه كثيرا من المتاعب الشاقة التى قد يصعب اجتيازها ، لما كان للدولة من قوة البطش وهيبة السلطان ولو فرض أن تلك الدولة التى ظهرت فيها الدعوة - فرضا - لأمر ما احتضنت الدعوة وتبنت أمر الحماية لها والوقوف معها فلا شك أن الدعوة ستجد بجانبها جيشا منظما ومؤازرة قوية ولكنها ستجد مقابل ذلك حكاما يحاولون توجيهها على مقتضى رغباتهم وأهوائهم ، ولفقد الداعى بذلك عنصرا أساسيا فيه وهو الحرية : حرية الداعى وحرية الدعوة ، ثم ستعتبره القوة المضادة للدولة التى ظهر فيها دعوة مضادة معادية تبنتها تلك الدولة ضدها .

والتاريخ يمدنا بشواهد تقوى هذا التصور :

(فالرومان جرت على اخضاع اليهود حين فرضوا عليهم عبادة " الامبراطور" فى هيكلهم ووضع الشارة الرومانية على محاربيهم فلم يفرضوا عليهم ذلك هداية لهم أو اعترافا بمساواتهم بل فرضوه لاخضاعهم وتحريم كل معبود فى الدولة غير معبودهم) (١) .

وكذا الأمر فى فارس فكان هناك عقيدة الزرادشتية الساسانية التى كان جل أمرها تحقيق أهداف الملوك وطغيان الكهنة وكذا المانوية والمزدكية فقد كان وجودها يخضع لنفوذ السلاطين ورغباتهم حتى أن الفرس صدقوا دعوى ملوكهم من أن دما الهيا يجرى فى عروقهم وأن فى طبيعتهم عناصر علوية مقدسة فأنزلوهم منزلة الالهة وقدموا لهم القرابين وأنشدوا لهم أناشيد الطاعة والعبودية " (٢)

---

(١) مطلع النور عباس محمود العقاد ص ١٦٢ طبعة المدنى
(٢) انظر مقارنة الاديان للدكتور احمد شلبى ج ٣ ص ٤٢ - ٤٣

أما استدلالهم على خاصية الرسالة بالعرب بأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي :

الرد على ذلك : أن كون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عربيا أميا وكونه بعث من بلاد العرب يستلزم أن تكون دعوته وكتابه بلغة القوم الذين يخاطبهم ولا يصح بأي وجه اعتبار اللغة مبررا لادعاء قصر الشريعة المحمدية على أصحاب اللسان العربي وذلك لما يأتي :

١ - أن من يقول : ان محمدا مبعوث الى العرب دون غيرهم مع ما ظهر من عموم رسالته وشمولها لكافة الناس قول متناقض ظاهر الفساد لأنه يلزم من اقرارهم بارساله الى العرب اقرارهم بأنه مرسل الى جميع الخلق ان الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا يكذب وقد انزل عليه في القرآن الكريم الأمر بأن :

" قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ... (١)"

ونزل قوله تعالى : (٢)

" وما أرسلناك الا كافة الناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (٣)

٢ - أنه جرت سنة الله تعالى ان لا ينزل الكتاب الا بلسان الذى أنزل عليه ولسان قومه الذين يخاطبهم أولا وكان هذا الجارى على جميع رسله :

" وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم "

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٨

(٢) سورة سبأ آية ٢٨

(٣) انظر الجواب الصحيح لابن تيمية ج ١ ص ١٧١
ولوائح الأنوار البهية السفارينى ج ٢ ص ٢٧٩
والفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم ج ١ ص ١١٤ ط ٢

فالتوراة انما أنزلت باللسان العبرى وحده اذ أن موسى عليه السلام لم يكن يتكلم الا بالعبرية فكذا رسالة محمد كانت بلسان قومه :

" انا أنزلناه قرآناعربيا لعلكم تعقلون" (١) .

" نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين" (٢)

ويلاحظ أن الله تعالى لم يقل وما أرسلنا من رسول الا الى قومه بل الرسول يبعث الى قومه وغير قومه كما تقول النصارى : ان عيسى عليه السلام أو الحواريين بعثوا الى غير بنى اسرائيل وليسوا من قومهم .

وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم بعث الى قومه وغير قومه لكن انما يبعث بلسان قومه ليبين لهم ثم يحصل البيان لغيرهم بأن يتعلم الغير لغة الرسالة أو يترجم له معانى الرسالة بلغته ولو لم يبين الرسول لقومه أولا لم يحصل مقصود الرسالة لا لهم ولا لغيرهم وهذا كما يحصل فى الأمور الدنيوية نرى أن الرجل يكتب كتابا فى الطب أوغيره من العلوم ثم يترجم الى اللغات الأخرى لينتفع به أقوام آخرون . (٣)

فلا يصح اشتراط كون الرسول يعرف كل لغات العالم اذ الرسول بشر محدود الطاقة والقدرة كما قال الله تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم :

" قل انما انا بشر مثلكم يوحى الىّ ..." (٤) .

ولا يصح أيضا اشتراط اللغة الواحدة لكل الأجناس اذ قد خلقهم الله مختلفين فى الأوطان والجنس واللغة والبديل فى هذه الحالة انما هوالترجمة . وقد رأينا

---

(١) سورة يوسف آية ٢

(٢) سورة الشعراء ١٩٣ - ١٩٥

(٣) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيميه ج ١ ص ١٩٤ - ٢٠١ .

(٤) سورة الكهف ١١٠

وخاصة في العصور الحديثة ان الانسانية كلها تتعامل في مجمع واحد بلغاتهـا المختلفة فلا يتعثر التفاهم ولا يضيع المراد والترجمة والمترجمون يقومون بدور توصيل الدعوة ونشرها وقد شرع لنا الرسول صلى الله عليه وسلم الترجمة وترك لنا ما يفتح باب الترجمة للناس حيث قال لزيد بن ثابت رضي الله عنه : أتحسن السريانية انها تأتيني كتب بها ؟ قال : قلت لا قال فتعلمها . فتعلمتها في سبعة عشـر يوما " (١) .

٣ - أن الأحكام الواردة في الشريعة المحمدية عامة لكل الناس لم يخص العرب بشيء منها الا بكون القرآن الكريم نزل بلغتهم بل انه نزل بلغة قريـش كما ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لابن مسعود رضي الله عنه : (أقرئ الناس بلغة قريش فان القرآن نزل بلسانهم" .

وكما قال عثمان بن عفان للذين يكتبون المصحف من قريش والأنصار : (اذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة قريش فان القرآن نزل بلسانهم) (٢) .

فلو كان يصح اعتبار اتفاق الذين ارسل اليهم في اللهجة واللسان لصـح من غير قريش الاحتجاج بأنهم غير مأمورين بالاسلام لان القرآن لم ينزل بلغتهم .

ولا يصح ادعاء أن العرب خصوا بحكم لأن الدعوة شاملة للثقلين الانس والجن علـى اختلاف أجناسهم وقد علق الشرع الأحكام باسم :

مسلم وكافر ومؤمن و منافق وبر وفاجر ومحسن وظالم

وغير ذلك من الأسماء المذكورة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

---

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ج ١ ص ١٩٤ - ٢٠١ .

(٢) انظر صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٢٤ مطبعة الشعب

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(وليس فى القرآن ولا الحديث تخصيص العرب بحكم من أحكام الشريعة ولكن بعض العلماء ظن ذلك فى بعض الأحكام وخالفه الجمهور كما ظن طائفة منهم أبو يوسف أنه خص العرب بأن لا يسترقوا وجمهور المسلمين على أنهم يسترقون كما صحت بذلك الأحاديث الصحيحة حيث استرق بنى المصطلق وفيهم جويرية بنت الحارث ثم أعتقها وتزوجها واعتق بسببها من استرق من قومها . وقال فى حديث هوازن : اختاروا احدى الطائفتين اما السبى واما المال .

وفى الصحيحين عن ابى أيوب الأنصارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من قال : لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات كان كمن اعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل .

وفى الصحيحين أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كانت سبية فى سبى هوازن عند عائشة فقال : اعتقيها فانها من ولد اسماعيل . وعامة من استرق الرسول صلى الله عليه وسلم من النساء والصبيان كانوا عربا . وذكر هذا يطول ولكن عمر بن الخطاب لما رأى كثرة السبى من العجم واستغناء الناس عن استرقاق العرب رأى أن يعتقوا العرب من باب مشورة الامام وأمره بالمصلحة لا من باب الحكم الشرعى الذى يلزم الخلق كلهم ...

وكذلك ظن من ظن أن الجزية لا تؤخذ من مشركى العرب مع كونها تؤخذ من سائر المشركين ... وكذلك من قال من العلماء أنه حرم على جميع المسلمين ما تستخبثه العرب وأحل لهم ما تستطيبه وجمهور العلماء على خلاف هذا القول كمالك وأبى حنيفة وأحمد وقدماء الصحابة لكن الخرقى وطائفة منهم وافقوا الشافعى على هذا القول

وأما احمد نفسه فعامة نصوصه موافقة لقول جمهور العلماء وما كان عليه الصحابة والتابعون أن التحليل والتحريم لا يتعلق باستطابة العرب ولا باستخباثهم بل كانوا يستطيبون أشياء حرمها الله كالدم والميتة والمنخنقة والموقوذة والمتردية ... وكانوا بل خيارهم يكرهون أشياء لم يحرمها الله حتى لحم الضب كان النبى صلى الله عليه وسلم يكرهه وقال : " لم يكن بأرض قومى فأجدنى اعافه " ، وقال مع هذا انه ليس بمحرم وأكل على مائدته وهو ينظر وقال : لا آكله ولا أحرمه " (١)

وقد أوردت هذا النص مع طوله لشموله على جملة الأحكام التى قيل باختصاصها بالعرب دون غيرهم وقد رأينا رد الشيخ عليها لكونه لا يصح فى الرسالة المحمدية أن يكون شىء من أحكامها مختص بأمة دون أمة أو جنس دون جنس بل الناس فيها سواسية لا فرق الا بالتقوى .

٤ - (ليس فهم كل آية من القرآن الكريم فرضا على كل مسلم وانما يجب على المسلم أن يعلم ما أمره الله به وما نهاه عنه بأى عبارة كانت وهذا ممكن لجميع الأمم ولهذا دخل فى الاسلام جميع أصناف العجم من الفرس والترك والهند والصقالبة والبربر ومن هؤلاء من يعلم اللسان العربى ومنهم من يعلم ما فرض الله عليه بالترجمة) . (٢)

وللعلماء رحمهم الله آراء فى القدر الواجب تعلمه من اللغة العربية على من أسلم من غير العرب ، وأكتفى عن الخوض فى هذه الآراء بايراد جزء من كلام للامام الشافعى رحمه الله عن هذا الموضوع ورد فى كتابه المشهور " الرسالة" :

---

(١) ايضاح الدلالة فى عموم الرسالة لابن تيمية ص ١٠٧ مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ج ١ ص ٢٠٠

قال رحمه الله :

" ... فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به ألا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك وما ازداد من العلم باللسان الذى جعله الله لسان من ختم به نبوته وأنزل به آخر كتبه كان خيرا له (١)"

وقد علق الشيخ محمد رشيد رضا على هذه الفقرة من كلام الشافعى بقوله :

" ولا تحسبن أن هذا مذهب له خالف فيه غيره من أئمة المسلمين كلا انه اجماع لا اختلاف فيه . (٢)

الجواب عن استدلالهم الثانى على خصوصية الدعوة بالعرب :

ان الآيات الكريمة التى استشهدوا بها على دعواهم هذه تكاد أن تكون حجة عليهم لا لهم ، فمن قوله تعالى :

" وأنذر عشيرتك الأقربين "

لو نظرنا الى وقت نزولها لرأيناه فى المرحلة الاولى من الدعوة وطبيعى أن أى دعوة أريد لها أن تكون عالمية لا تكون كذلك الا بعد أن تبدأ تدرجا باصلاح أقرباء الداعى وخاصته ثم بالمجتمعات القريبة منه وتتوسع قليلا قليلا حتى تبلغ الى هدفها المنشود ، وكذلك كانت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم بدأت تدرجا ،ألا ترى فى هذه الآية ان الله تعالى أول ما بدأ بالرسول صلى الله عليه وسلم نفسه فنهاه

---

(١) راجع الرسالة للامام محمد بن ادريس الشافعى ص ٤٥ - ٥٠ ط أولى

(٢) راجع تفسير المنار للأستاذ محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٣١٠ - ٣١٢ - ط ٢ مطبعة دار المنار

عن أن يعبد الها آخر مع الله تعالى ثم بعد ذلك يكلفه بانذار أهله يقول تعالى :
(فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين ، وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين " (١) .
وذلك أنه اذا تشدد على نفسه - صلى الله عليه وسلم - أولا ثم على الأقرب فالأقرب ثانيا لا يكون لأحد مطعن عليه البته وكانت دعوته أوقع في النفوس وأبعد في التأثير ولهذا الأمر الالهي نرى الرسول صلى الله عليه وسلم ينفذ ما أمر به :
روى البخاري ومسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت :
" وأنذر عشيرتك الأقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى : يا بني فهر يا بني عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبولهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت "تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب" (٢) .

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت :
لما نزل " وأنذر عشيرتك الأقربين " قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال : يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم ." (٣)

فهاتان الروايتان وغيرهما مما في معناهما تبينان كيف تلقى رسول الله

---

(١) سورة الشعراء ٢١٣ - ٢١٥
(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير في تفسيره لسورة الشعراء وسورة تبت . ورواه مسلم في كتاب الايمان حديث رقم ٣٢٠ المجلد الأول طبعة الشعب
(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الايمان حديث رقم ٣١٧ بالمجلد الأول

صلى الله عليه وسلم الأمر وكيف أبلغه لعشيرته الأقربين ونفض يده من أمرهم ووكلهم الى ربهم فى أمر الآخرة وبين لهم أن قرابتهم له لا تنفعهم شيئا اذا لم ينفعهم عملهم وأنه لا يملك لهم من الله شيئا وهو رسول الله .

فالآية الكريمة ليس فيها دليل لهم على ماذهبوا اليه من أنها دليل على قصور الشريعة على العرب اذ أنها تدل على منهج البداية فى الدعوة اذ منهجها التدرج فالله لم يأمر نبيه فى الآية الكريمة بانذار كافة العرب الذين يدعى هؤلاء قصور الشريعة عليهم بل أمره بانذار الأقربين .

وقد أخذت الدعوة على مقتضى هذا التدرج بالتوسع فدعا قريشا وما جاورها وحضر الأسواق التى يجتمع فيها مع أهل مكة غيرهم من العرب فدعاهم ثم انتقل بالدعوة الى المدينة المنورة ومنها أرسل رسله الى أمراء القبائل ثم الى ملوك وأمراء العالم وهذا هو الطريق الطبيعى لاى دعوة أريد لها الانتشار والشمول وغريب كيف يتلمس هؤلاء الأدلة ويتلمسون لها التأويل الذى يظنونه يساعدهم على مدعاهم ويغضون أبصارهم بل عقولهم عن تلك الأدلة القاطعة الصريحة فى أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لكافة الناس .

ومن الآية الثانية وهى قوله تعالى :

" لتنذر أم القرى ومن حولها " (١)

فليس لهم فيها أيضا دليل على قصر الشريعة على العرب ذلك أن أم القرى هى مكة المكرمة والخلاف فى مفهوم قوله تعالى " ومن حولها " فمفهومه عند هؤلاء لا يتعدى البرارى والجبال المحيطة والقريبة من مكة ولكنه -على ما قال المفسرون جميعهم يتسع حتى يشمل العالم كله عربهم وعجمهم أبيضهم وأسودهم .

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٢

ولو سلمنا لهم مفهومهم هذا فان الآية لم تقصر الانذار على أهل مكة لأن معنى انذار أم القرى أى انذار أهلها وانذار من حولها ممن يصح فى حقه الانذار ولا يدل ذلك على قصر حكم الانذار عليهم بأى وجه من وجوه التأويل وقد ورد الأمر بانذارهم وانذار غيرهم فى آيات كثيرة منها قوله تعالى :

" وأوحى الىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ "..(١)

" وتنذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ..."(٢)

" لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ..."(٣)

" هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر أولوا الألباب " (٤) .

ومن قوله تعالى :

" لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون "

فقد علمنا أن محمدا صلى الله عليه وسلم أرسل الى قومه خاصة والى الناس كافة خلاف الأنبياء السابقين صلوات الله عليهم أجمعين فقد كانوا يبعثون الى أقوامهم خاصة ، وكون القرآن الكريم يخص قوم محمد بالذكر بأنه أرسل لينذرهم فى مثل هذه الآية فذلك لا يدل على انحصار ميدان التبليغ بأرض قومه وعلى من يتكلم بلسانه فان القوم الذين أرسل الرسول لانذارهم فى هذه الآية هم نفس القوم الذين عناهم الله فى الآية السابقة فى قوله " لتنذر أم القرى ..." أى تنذر أهلها وأهلها هم قوم محمد صلى الله عليه وسلم فان اقتصر فى قوله تعالى "لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك" على قوم محمد وهم أهل مكة لأنهم هم الذين لم يأتهم نذير من زمن اسماعيل عليه السلام فقد عطف عليهم انذار غيرهم فى قوله فى الآية السابقة : " ومن حولها " كما فهمنا معنى ذلك فى الرد على استدلالهم فى الآية وقد ورد فى القرآن

---

(١) سورة الأنعام آية ١٩ (٢) سورة الكهف آية ٤
(٣) سورة يس الآية ٧٠ (٤) سورة ابراهيم ٥٢

الكريم دعوته لاناس معينين من غير قومه كقوله تعالى :

"قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم "..(١)

وكقوله تعالى :

" يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم ..."(٢)

وورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بتبليغ الدعوة الى قومه خاصة والى العرب كافة والى أهل الكتاب والى الناس كافة ، وكذلك ورد في النقول المتواترة عن سيرته صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى في دعائه لأهل الكتاب وأمره لهم بالايمان وجهاده لهم .

وبعد فكيف مع هذا كله يزعم هؤلاء أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث الا الى العرب وأنه استمر على ذلك حتى مات ويعمدون الى آيات من كتاب اعترفوا انه من عند الله العزيز الحكيم ثم يؤولونها على مقتضى رغباتهم وشهواتهم معتمدين في ذلك على علمهم القاصر وبصيرتهم العمياء وأن هذا بلا شك لدليل على فساد نظرهم وعقلهم أو على عنادهم ومكابرتهم للحق .

الجواب على دليلهم الثالث :

لقد زعموا أن الدعوة المحمدية بدأت خاصة ولم تظهر فيها فكرة العالمية الا في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لدرجة أنهم لهذا يسمونه بالمستعمر العربي .(٣)

---

(١) آل عمران ٦٤
(٢) النساء ٤٧
(٣) في حاشية كتاب الدعوة الى الاسلام تأليف سير توماس. و. أرنولد ترجمة حسن ابراهيم حسن وزميلاه ط ٣ ص ٤٩ ورد ما يلي :

وهذا زعم باطل ان الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ الدعوة وهي تحمل صفة العالمية نظريا وطبقها الرسول صلى الله عليه وسلم عمليا .

فهناك نصوص كثيرة في القرآن الكريم والسنة المطهرة تصرح بهذه العالمية كقوله تعالى في أول سورة الفرقان :

" تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا "

وكقوله تعالى :

(وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ... "

وقد عمد هؤلاء الى تخصيص هذه الآيات وما في معناهما بأن المراد بـ " العالمين " و " الكافة " و " جميعا " هم العرب فقط وتلك ولا شك جرأة منهم على كتاب الله يدفعها التعصب للباطل ولا يساعدهم في ذلك لغة ولا عقل فضلا عن أن يكون لهم دليل موضوعي سليم يساعدهم على دعواهم هذه .

= من الغريب أن ينكر بعض المؤرخين أن الاسلام قد قصد به مؤسسة في بادىء الأمر أن يكون دينا عالميا برغم هذه الآيات البينات ومن بينهم السير وليم ميور اذ يقول : ان فكرة عالمية الرسالة قد جاءت فيما بعد وان هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التي تؤيدها لم يفكر فيها محمد نفسه وعلى فرض أنه فكر فيها فقد كانت الفكرة غامضة فان عالمه الذي كان يفكر فيه انما كان بلاد العرب كما أن هذا الدين الجديد لم يهيأ الا لها وأن محمدا لم يوجه دعوته منذ بعث الى أن مات الا للعرب دون غيرهم وهكذا نرى أن نواة عالمية الاسلام قد غرست ولكنها اذا كانت قد اختمرت ونمت بعد ذلك فانما يرجع هذا الى الظروف والأحوال اكثر منه الى الخطط والمناهج .

وفى السنة المطهرة قال صلى الله عليه وسلم :

" ان الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها (١) .

والأرض هنا كل اليابسة ولا يمكن أن يكون مراده بها أرض العرب فقط كما يزعم هؤلاء وقد ورد عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حديث نتبين منه الجهات التى سيصل اليها هذا الدين وكأنه فيه يرسم الخارطة التى سيسير عليها فى نشر الدعوة ويرسمها لخلفائه من بعده .

قال ابن اسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسى أنه قال : ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت علىّ صخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منى فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان علىّ نزل فأخذ المعول من يدى فضرب ضربة لمعت تحت المعول برقة قال ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى قال ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى قال : قلت بأبى أنت وأمى يارسول الله ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك ياسلمان ؟ قال : قلت : نعم . قال : أما الأولى : فان الله فتح علىّ بها اليمن وأما الثانية فان الله فتح علىّ بها الشام والمغرب . وأما الثالثة فان الله فتح علىّ بها المشرق . (٢) .

وقد كان المنهج الذى سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم وسار عليه فى دعوته يحمل طابع العالمية - كما عرفنا فيما مضى - فقد دعا قومه أولا وخص منهم العشيرة والأقارب ثم عمم الدعوة وخرج بها الى غير قريش من القبائل العربية فى مواسم

---

(١) رواه مسلم - تقدم .

(٢) سيرة النبى صلى الله عليه وسلم لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٦ تحقيق الدكتور محمد خليل هراس .

المنهج وغيرهما ثم تجاوز العرب الى الدول الكبرى فى آسيا وافريقيا فدعا الى الدخول فى الاسلام كسرى وهرقل والنجاشي والمقوقس ، وكما واجه صلى الله عليه وسلم بدعوته عباد الأصنام واجه أهل الأديان وبخاصة اليهود والنصارى قال تعالى :

" وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا .." (١)

أما زعمهم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى فكر فى جعل الدعوة الاسلامية عالمية ولهذا حمل السيف ونشر الدعوة فهذا زعم باطل اذ عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أشد الصحابة حرصا على الدين وتمسكا بالمنهج الذى حدده الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وسار عليه وما كان لعمر ولا لغيره أن يدعى للاسلام ما ليس له فعمر لم يفعل ما فعل من تسيير الجيوش الى الشام وفارس والروم ومصر الا تنفيذا لاوامر الرسول لهم بتبليغ الدعوة وتكميلا لما بدأه صلى الله عليه وسلم فى حياته ثم خليفته الأول أبوبكر الصديق رضى الله عنه وانما كانت الفتوحات الاسلامية خارج الجزيرة العربية أكثر فى عهد عمر منها فى عهد أبى بكر لكون أبى بكر رضى الله عنه أشغله عن ذلك كثرة المشاغل الداخلية من ردة وفتن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ورغم كثرة هذه الفتن الداخلية فقد سير فى أول خلافته جيش اسامة الذى أعده الرسول صلى الله عليه وسلم فى حياته لفتح الشام وسير جيش خالد فى أواخر خلافته وبعد أن استلم عمر الخلافة من أبى بكر استلمها وقد هدأت الأوضاع الداخلية فى الجزيرة العربية فنظر عمر رضى الله عنه الى الفتوحات الخارجية لا استعمارا كما يسميه هؤلاء بل تبليغا للدعوة التى حملهم اياها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اذ كل الآيات المصرحة بعالمية هذه الرسالة توجب القيام بهذا الواجب. والكمال الذى وصف الله به هذه الدعوة كمال ذاتى لها فلا نقص فيها يستدعى الاكمال ولا قصور يستدعى الاضافة ولا محلية أو زمانية تستدعى

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٠

التطوير أو التدوير فهذا الدين المكتمل الذى ارتضاه الله لعباده وبه أتم النعمة عليهم لا بد أن ينشر ويعمم على العالم لينعم العالم البشرى بهذه النعمة التى لم يشهد لها مثيلا من قبل وما كان ليهنأ لعمر بال وقد سنحت له الفرصة ليبلغ هذا الدين العالمى الشامل الى جهات كثيرة من العالم الذى لا يزال يتخبط فى ضلاله وخرافاته وما كان ليهنأ له بال وهو يقرأ قوله تعالى : " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " (١) .
وقوله تعالى : " وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين " (٢) .
ما كان ليهنأ له بال حتى ينفذ أوامر الله وأوامر رسوله فى مثل قوله صلى الله عليه وسلم : " ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله هذا الدين بعز عزيز ويذل ذليلا عزا يعز الله به الاسلام وذلا يذل به الكفر " (٣) .
وفى مثل خبره صلى الله عليه وسلم : " انكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فاذا فتحتموها فأحسنوا الى أهلها فان لهم ذمة ورحما أو قال ذمة وصهرا ... " (٤) .

ففتوحات عمر رضى الله عنه لم تكن بأى حال من الأحوال ناتجة عن حب السيطرة والاستعمار أو حب المال أو تحقيق هدف من الأهداف التى كان الاستعماريون يسعون اليها ويستبدون من أجلها الشعوب ويقتلونهم ويشردونهم

---

(١) سورة التوبة آية ٢٩
(٢) سورة البقرة آية ١٩٠
(٣) مسند الامام احمد ج ٤ ص ١٠٣ دار صادر بيروت
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٥ ص ٤٠٥ طبعة الشعب

ان عمر فى هذه الفتوحات كان متبعا لا مبتدعا وكان يسير على المنهج الذى نهجه الرسول صلى الله عليه وسلم وأمر أتباعه بأن يسيروا عليه كما يروى مسلم رضى الله عنه فى صحيحه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال :- اغزوا باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال " أو خلال " فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فان أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء الا أن يجاهدوا مع المسلمين فان هم أبوا فسلهم الجزية فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ... الحديث (١) .

هذا هو منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المنهج الذى سار عليه خلفاؤه من بعده وسار عليه القادة العظماء من المسلمين كأمثال خالد ابن الوليد فهذا كتابه الى أهل فارس وهو يمثل النموذج الصادق لهذا الاقتداء يقول فيه :

" بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد الى مرازبة فارس أما بعد : فأسلموا تسلموا والا فاعتقدوا منى الذمة وأدوا الجزية والا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر" (٢) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى المجلد الرابع ص ٣٣١ طبعة دار الشعب

(٢) تاريخ الطبرى محمد بن جرير الطبرى ج ٣ ص ٣٧٠ الطبعة الثانية دار المعارف بمصر

ولو أمعنا النظر فى ما كتبه عمر رضى الله عنه لنصارى الشام لرأينا ما يسكت هؤلاء الزاعمين لقسوة عمر وزعمهم أنه حمل السيف لينشر الاسلام به فقد فتح الله عليه بيت المقدس ودخلها المسلمون ولو كان للسيف مكان فى يد عمر وهو الفاتح الظافر ولو كان له تعطش الى الدماء لما أبقى على أحد ينكر أن محمدا رسول الله ولأعمل السيف فى رقاب الكافرين كما يفعل ذلك المستعمرون الحقيقيون الذين يسعون لاستبداد الشعوب من أجل مآرب شخصية ومادية لكن عمر لما قبل أهل ايليا اعطاء الجزية أعطاهم مقابل ذلك الأمان لأنفسهم وكنائسهم وصلبانهم وأموالهم وان لا يكرهوا على دينهم (١) شأنه فى ذلك شأنه فى كل الفتوح الاسلامية التى تمت فى عهده وشأن سائر الخلفاء الفاتحين .

الشبهة الثانية :

" دعوى انتشار الاسلام بالسيف " .

يزعم كثير من أعداء الاسلام أن الاسلام دين قام بحد السيف وانتشر بالاكراه المتعنت وصوروه على أنه دين حرب وقتال وأن اعتماده على السيف كان سببا مباشرا فى سرعة انتشاره وذيوعه على وجه لم يسبق له مثيل فى التاريخ .

وزعموا أن آية : " لا اكراه فى الدين (٢) .. " منسوخة حيث كان محمد لا يكره أحدا فى وقت ضعفه وقلة نصرته وهو فى مكة فلما قوى واشتد وأصبح له قوة وجيش تغير الحكم ونسخت الآية بآيات أخرى مثل : " وقاتلوا المشركين كافة .. " (٣) ومثل : " فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد " (٤)

---

(١) انظر نص الأمان الذى أعطاه عمر لهم فى تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٦٠٩ ط ٢

(٢) سورة البقرة ، ٢٥٦

(٣) سورة التوبة ، ٣٦

(٤) سورة التوبة ٥

وهذه الشبهة ليست وليدة اليوم بل هى قديمة من أعداء الاسلام (١) واتخذها المستشرقون وسيلة لمحاربة الاسلام والطعن فيه وهذا جولد تسيهر يقول فى كتابه العقيدة والشريعة :

(انه من الواضح أننا لا نستطيع أن نطبق فى العصر المدنى على عمل محمد المثل القائل : الكلمة أقوى من السيف . فمنذ تركه مكة تغير الزمن ولم يصر واجبا بعد : الاعراض عن المشركين (كما فى) سورة الحجر ٩٤ أو دعوتهم كما يقول القرآن : " بالحكمة والموعظة الحسنة " سورة النحل ١٢٥ ، بل حان الوقت لتتخذ كلمته لهجة أخرى : (فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد " سورة التوبة ٥ . " وقاتلوا فى سبيل الله " سورة البقرة ٢٤٤ .... ثم يقول : فهو الآن يعمل السيف فى العالم ولا يكتفى ب " عصاه التى يضرب بها الأرض . ولا بنفثات شفتيه لابادة الكفرة بل هو نفير الحرب الذى كان ينفخ فيه وهو السيف الدامى الذى رفعه لاقامة مملكته ... (٢)) .

والجواب على هذه الشبهة :

ان أصحاب هذا القول ينقسمون الى قسمين :

قسم خالطهم حسن النية لكن فاتتهم الحقيقة حيث نظروا الى هذه الدعوى على أنها قضية مسلمة فقد فهموا أن شريعة الاسلام وشريعة السيف شىء واحد . ومن المؤسف أن بعضا من المسلمين قد يفهم هذا الفهم الخاطىء كما أورد الأستاذ

---

(١) انظر هداية الحيارى لابن القيم ص ٤٨٥ واظهار الحق لرحمة الله الهندى ج ٢ ص ٢٤١ و ج ١ ص ٢٤

(٢) العقيدة والشريعة فى الاسلام للمستشرق اجناس جولد تسيهر نقله للعربية محمد يوسف موسى وزميلاه ط ٢ ص ٢٤

العقاد في مقدمة كتابه : عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم أمثلة لذلك حيث روى عن بعضهم القول بأن بطولة محمد صلى الله عليه وسلم انما هي بطولة سيف ودماء (١) .

وقسم عرفوا الحقيقة لكنهم يضمرون العداء للاسلام فغيروا الحقائق وقلبوها لتلائم أهواءهم العدائية من دس وكيد للاسلام وهؤلاء ليسوا طلاب حق ولا باحثين عن حقيقة - كما رأينا في النص السابق لجولد تسيهر .

وسيتبين لنا فيما يلي خطأ فهم القسم الأول وبطلان قول القسم الثاني وكذبهم على الاسلام وعلى رسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم وذلك على ضوء الأدلة من القرآن الكريم ومن سنة رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم ومنهجه الذي سار عليه ثم بشهادة التاريخ وأقوال بعض المنصفين .

أولا : من القرآن الكريم :

في القرآن الكريم مواطن استدلال كثيرة كل منها يدحض هذا الزعم ويبطله ولكني سأقتصر على نوعين من هذه الآيات كفيل كل منها بالوفاء بالغرض المنشود :

النوع الأول :

هي الآيات التي تبين أن الدعوة تكون بالحكمة والموعظة الحسنة وأنه لا يجوز اكراه أحد على الدخول في الاسلام وترك دينه . ومن هذه الآيات :

قوله تعالى :

"ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين " (٢)

" ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " (٣) .

(١) انظر موسوعة العقاد الاسلامية الجزء الثاني مجموعة العبقريات ص ٢٠ ط ١

(٢) سورة النحل آية ١٢٥ (٣) سورة يونس آية ٩٩

" فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر " (١)

" لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم " (٢)

والتعبير فى هذه الآية الأخيرة يرد فى صورة النفى المطلق : (لا اكراه فى الدين) نفى جنس الاكراه فهو يستبعده من عالم الوجود والوقوع وليس مجرد نهى عن مزاولته والنهى فى صورة النفى والنفى للجنس أعمق ايقاعا وآكد دلالة .

وأريد أن أقف عند هذه الآية الكريمة لنعرف هل هى منسوخة - كما يتمسك بذلك أصحاب هذه الشبهة - أو هل هى محكمة ؟ :

لأهل التأويل فى الآية ثلاثة أقوال :

الأول : قيل انها نزلت فى قوم من الأنصار :

أ - روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : كانت المرأة من الأنصار تكون "مقلاة" - وهى التى لا يعيش لها ولد - فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته فى اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما أجليت بنوالنضير كان فيهم عدد من أولاد الأنصار فأرادت الأنصار استردادهم وقالوا هم ابناؤنا واخواننا فنزلت الآية : (لا اكراه فى الدين) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قد خير أصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم معهم .

ب - وقيل كان لرجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف يقال له أبوالحصين ابنان متنصران قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فى نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما أبوهما وقال : لا أدعكما حتى تسلما

---

(١) سورة الغاشية ٢١ - ٢٢

(٢) سورة البقرة ٢٥٦

فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أيدخل بعضى النار وأنا أنظر فأنزل الله تعالى : "لا اكراه فى الدين" فخلى سبيلهما .

الثانى : قيل نزلت فى أهل الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك أن العرب كانت أمة أمية ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام أو القتل ونزل فى أهل الكتاب : (لا اكراه فى الدين) يعنى اذا قبلوا الجزية فمن أعطى الجزية منهم لم يكره على الاسلام .

الثالث : قيل ان الآية منسوخة بآية القتال وأنه يجب أن يدعى جميع الأمم الى الدخول فى الدين الحنيف دين الاسلام فان أبى أحدهم الدخول فيه ولم ينقد له أو يبذل الجزية قوتل حتى يقتل وهذا معنى الاكراه (١) .

واذا أمعنا النظر فى هذه الأقوال - رأينا أنه لا منافاة بين الأول منهما والثانى ، فالقول الأول يذكر أن أولاد الأنصار كانوا على ملة أهل الكتاب فينطبق عليهم الحكم فى القول الثانى لكونهم وان كانوا من الأنصار الا أنهم من حيث العقيدة على ملة أهل الكتاب لكونهم قد دانوا بدين أهل الكتاب قبل ثبوت عقد الاسلام لهم .

وكذا القول الثانى والثالث الخلاف بينهما فى مفهوم - الاكراه - فأصحاب القول الثالث يقولون اننا اذا دعونا أهل الكتاب الى الاسلام فأبوا وامتنعوا عن دفع الجزية فانا مأمورون بقتالهم وهذا هو الاكراه فكيف ينهانا الله عنه ويأمرنا به فتكون الآية منسوخة بآية القتال وحكمها انما كان قبل الاذن بالقتال فلما نزل الاذن به فى قوله تعالى : "اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ." (٢) نسخ حكم : "لا اكراه فى الدين" (وهذا رأى ضعيف ومرجوح اذ كلا الآيتين

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٣١٠ . وتفسير الخازن للخازن ج ١ ص ٢٧١ ط ٢

(٢) سورة الحج آية ٣٩

محكمة لا نسخ فيهما اذ نسخ شيء من القرآن الكريم يحتاج الى نص قوي والنص الذي يحتج به هؤلاء هو ما روى الزهري قال : سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى ذكره : "لا اكراه في الدين" قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره أحدا في الدين فأبى المشركون الا أن يقاتلوهم فاستأذن الله في قتالهم فأذن له (١) وليس في هذا النص تصريح بالنسخ ولم يكن الحديث مرفوعا لكن ربما يقوى دعوى النسخ لهؤلاء ما ذكره ابن كثير رحمه الله في تفسيره حيث قال : (وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ... حتى قال هذه منسوخة بقوله : " فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم " (٢) .

والرواية الأولى على فرض أن فيها مايفيد النسخ فهو لا يبعد أن يكون رأيا لزيد ابن أسلم وقد قال عنه عبيد الله بن عمر : ما نعلم به بأسا الا أنه يفسر القرآن برأيه"

على أن هذه الرواية لا تفيد النسخ وانما تفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقاتل في مكة وانما قاتل في المدينة دفاعا عن النفس وليس لاكراه على الدين .

ثم ان الرواية الثانية عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وان كان مصرح فيهما بالنسخ الا أنه يكفي لتضعيفها قول البخاري رحمه الله تعالى عن عبد الرحمن بن زيد هذا : (عبد الرحمن ضعفه علي جدا) (٣) .

فلا يصح أن نقول بأن شيئا من هذا يقوم دليلا على نسخ آية من كتاب الله الكريم ، ثم ان أكثر العلماء أنكروا أن يكون شيء منها منسوخا . وقد رجح الامام الطبري القول الثاني معللا له بقوله :

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير الطبري ج ٣ ص ١٤ - ١٧ ط ٢

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٦٦ ٢

(٣) انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال لمحمد بن عثمان الذهبي القسم الثاني الترجمتين (٢٩٨٩ - ٤٨٦٨)

وانما قلنا هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب لانه من غير المستحيل أن يقال : لا اكراه لاحد ممن أخذت منه الجزية فى الدين ولم يكن فى الآية دليل على أن تأويلها بخلاف ذلك وكان المسلمون جميعا قد نقلوا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم أنه اكره على الاسلام قوما فأبى أن يقبل منهم الا الاسلام وحكم بقتلهم ان امتنعوا منه وذلك كعبدة الأوثان من مشركى العرب وكالمرتد عن دينه دين الحق الى الكفر ومن أشبههم وأنه ترك اكراه آخرين على الاسلام بقبول الجزية منه واقراره على دينه الباطل وذلك كأهل الكتابين ومن أشبههم كان بينا بذلك أن معنى قوله : (لا اكراه فى الدين) انما هو الاكراه فى الدين لاحد ممن حل قبول الجزية منه بأدائه الجزية ورضاه بحكم الاسلام ولا معنى لقول من زعم أن الآية منسوخة الحكم بالاذن بالمحاربة) (١).

وقد استطردت حول هذه الآية الكريمة لان أصحاب هذه الشبهة يظنون أو يوهمون أنه ليس فى القرآن الكريم ما يمنع الاعتداء والاكراه الا هذه الآية نعمدوا الى القول بأنها منسوخة عندما وجدوا مدخلا الى هذا القول فى كتب التفسير كما تبين لنا ضمن الأقوال السابقة عن الآية الكريمة .

<u>النـــوع الثانـــي</u> : آيات القتال التى وردت فى القرآن الكريم :

آيات القتال التى وردت فى القرآن الكريم تبين لنا فى جملتها الأسباب التى من أجلها كانت الحروب الاسلامية فى عصر النبوة واذا دققنا النظر فيها نراها تأمر المسلمين بقتال المعتدين الكف عدوانهم ولدرء المفاسد وتوطيد المصالح وتأمين العقيدة وهذه الآيات كثيرة فى القرآن الكريم ومنها :

قوله تعالى : (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) (٢)

---

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن محمد بن جرير الطبرى ج ٣ ص ١٤ - ١٦ ط ٢

(٢) سورة الحج آية ٣٩ - ٤٠

وقوله تعالى : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) (١)

وقوله تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) (٢) .

وقوله تعالى (... فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) (٣) .

وقوله تعالى (... وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين) (٤) .

ونلاحظ في هذه الآيات أنها لم تأمر المسلمين أن يبدأوا قتل المشركين بل أمرتهم أن يقاتلوهم وفرق بين القتل والمقاتلة (٥) وهذا يدل أن الاعتداء يبدأ به المشركون فاذا بدأوا كان واجبا رد هذا العدوان بدلالة اقتران أغلب الآيات بالأمر بعدم الاعتداء وبدلالة الآيات السابقة التي تبين أن طريق الدعوة هو بالحكمة والموعظة الحسنة .

وقد دأب كثير من المستشرقين على عادتهم في تمويه الحقائق فمثلا قولهم أن الاسلام أعلن الحرب وحمل السيف يستشهدون على ذلك بقوله تعالى في الآية الأخيرة من هذه الآيات : " وقاتلوا المشركين كافة " دون أن يأتوا بالجزء المكمل لهذه الآية وهو قوله تعالى : " كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين " .

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٠

(٢) سورة البقرة آية ١٩٣

(٣) سورة البقرة آية ١٩٤

(٤) سورة التوبة آية ٣٦

(٥) انظر الاسلام ظهوره وانتشاره في العالم حامد عبدالقادر ص ٣٠٣ ط ٢

ونقول لهؤلاء : ان تحميل هذا المقطع من الآية هذا المعنى هو مما لا تعين عليه دلالة النص ولا يلتقى معه المقطع الآخر من الآية نفسها :

أما من حيث دلالة النص : "وقاتلوا المشركين كافة" فلا يمكن أن يفيد العموم المطلق والا كان على المسلمين أن يشتبكوا فى حرب شاملة مع جميع المشركين فى كل أنحاء المعمورة والا كانوا فى حكم المخالفين لأمر الله الخارجين عن طاعته اذا هم لم يفعلوا ذلك ويحققوه ، ومحاربة المسلمين للمشركين على هذه الصورة أمر مستحيل لا يمكن أن يتحقق فى أى ظرف وفى أى حال . والتكليف به تكليف بما لا تسعه النفوس .

وأما من حيث أن المقطع الثانى من الآية : "كما يقاتلونكم كافة" هو متمم للمقطع الأول : "قاتلوا المشركين كافة" فهذا يدل على أن المسلمين ليسوا هم البادئين بالحرب ولا بقتال جماعى لجماعات المشركين وانما المشركون هم المعتدون اذ الآية تأمر المسلمين بأنه كما اعتدوا عليكم وبدأوكم بالعدوان فى جموع جمعوا لها الشيع والأحلاف فعلى المسلمين أن يجمعوا جموعهم وأن يقاتلوهم جميعا (١) .

ومن هنا نرى أن موقف الاسلام من الحرب ليس على الصورة المشوهة التى يرسمها المستشرقون وأتباعهم للفتوح الاسلامية حيث قالوا :

(ان المسلمين يفتحون ديار غيرهم وباحدى اليدين كتاب الله والسيف بالأخرى ويعرضون القرآن على المغلوب فان لم يقبله فصل السيف بينه وبين حياته)

ولكن الصورة التى يرسمها القرآن الكريم لنا غير هذه فهو يقرر حقيقة تؤيدها جميع آياته انه لا يريد الحرب للاعتداء ويقر أن السلام هو القاعدة الدائمة وأن الحرب ضرورة واستثناء :

---

(١) انظر شريعة القتال فى الاسلام عثمان السعيد الشرقاوى ص ١٢٥ ط ١ والدستور القرآنى للأستاذ محمد عزة دروزه ص ٢٤٥

(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) (١)

(وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم) (٢) .

فالاسلام لا يلجأ الى الحرب الا عندما تعوزه الوسائل السلمية وعندما توضع العراقيل في طريقه وحملت القوة عليه والقوة عادة لا تجابه الا بالقوة فهي لا تحارب بالبرهان والحجة ، واذا لجأ الى الحرب فلا يلجأ اليها من أجل الأسباب التي تثير في الأرض الحروب عادة فلا يصح أن يظن أن من بواعث الفتوح والحروب الاسلامية : العصبية للجنس أو اللون فان القرآن الكريم يقرر أن الناس كلهم من أصل واحد .

ولا يصح أن يظن أن من بواعثه وأهدافه العصبية الدينية بمعناها الضيق فالله سبحانه وتعالى يبين في كتابه الكريم أن مهمة الرسول هي تبليغ الدعوة وتوضيح مفاهيمها للناس كافة حيث يقول تعالى :

" وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد " (٣) .

وذلك ما لم يكفروا بالله ويحلوا ما حرم الله :

(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (٤) .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠٨
(٢) سورة الأنفال آية ٦١
(٣) سورة آل عمران آية ٢٠
(٤) سورة التوبة آية ٢٩

كما لا يصح أيضا أن يظن أن من بواعثه وأهدافه المطامع والمنافع من استعمار واستغلال والبحث عن الأسواق والخامات ولا حب الأمجاد أو حب المغانم الشخصية .

ان الحرب الوحيدة المشروعة التي يقرها الاسلام ويلجأ اليها المسلمون حين لا تجدى الوسائل السلمية هي من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا :

(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) (١)

ومن تحقيق كلمة الله :

١ - أن يصل هذا الخير الذى جاء به الاسلام الى الناس جميعا ولا يحول بينهم وبينه حائل فمن وقف في طريق هذا الخير أن يصل الى الناس كافة وحال بينهم وبينه بالقوة فهو اذن معتد على كلمة الله وازالته من طريق الدعوة هي تحقيق لكلمة الله لا لفرض الاسلام فرضا على الناس ولكن لمنحهم حرية المعرفة .

٢ - أن تحقق العدالة في الأرض قاطبة ويقيم القسط بين البشر عامة فمن بغى وظلم وجانب العدل فقد حاد عن كلمة الله وعلى المسلمين أن يقاتلوا لاعلاء كلمة الله ولدفع الظلم والبغى عن أنفسهم وعن كل مظلوم لا يملك له دفعا على أن لا يتجاوزوا ولا يعتدوا (٢) .

(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) (٣)

انه من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا كان الجهاد في الاسلام وكان حملهم للسيف من أجل تحقيق هذه الغاية .

---

(١) رواه الخمسة

(٢) انظر السلام العالمي والاسلام لسيد قطب ص ٢١ - ٢٥

(٣) النساء ٧٥

ثانيا : من السنة النبوية :

ان تتبع السنة والمنهج النبوى الذى كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوته وفى جهاده يرينا أن الدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة هى القاعدة التى سار عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وأن لجوءه الى الحرب لم يكن الا للضرورة التى كان وراءها أسباب وقفت فى وجه الدعوة واعترضت طريق كلمة الله أن تصل . فلقد أرسل محمد صلى الله عليه وسلم بدعوته العامة للناس جميعا وأمر أن يبلغ رسالة الله خالصة للناس بلامن ولا أجر وأن يسلك بالدعوة طريق الجدل بالحسنى والاقناع بالحجة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى غير قسوة ولا غلظة :

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهوأعلم بالمهتدين) (١) .

(نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) (٢)

وسار محمد صلى الله عليه وسلم بدعوته على هذا الأساس لا يبغى من الناس الا أن يستمعوا اليه فان صغت قلوبهم الى الايمان فليؤمنوا وان قست قلوبهم وران عليها الضلال فأمرهم الى الله تعالى .

ولكن الناس لم يسالموا محمدا صلى الله عليه وسلم كما سالمهم ولم يدعو للدعوة السلمية طريقها ولا لمعتنقيها المقتنعين بها حريتهم فآذوهم وأخرجوهم من ديارهم وأبنائهم وقاتلوهم وحالوا بين الدعوة وبين الأسماع بالقوة المادية المجردة من كل اقناع وأذاقوا المسلمين فى مكة سوء العذاب وفتنوهم فى أنفسهم وأموالهم وحرياتهم ، ولكن المسلمين كانوا مع هذا كله صامدين صابرين ماضين فى طريقهم :

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥

(٢) سورة ق آية ٤٥

(. . . فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) (١) .

وظلوا كذلك حتى أكرهوا على الهجرة وأخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . وأقاموا بالمدينة صابرين لامر الله تعالى راضين بقضائه وكانوا كلما همت نفوسهم بالرد على الظلم والانتقام من الظالمين ومقابلة الشر بمثله أمرهم الرسول بالصبر والمصابرة قائلا لهم "اصبروا فانى لم أومر بقتال" حتى نزل قوله تعالى (٢) "اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) (٣) .

والصوامع هي معابد الرهبان والبيع كنائس النصارى والصلوات كنائس اليهود وهذه الآية هي أول ما نزل في القتال وكان نزولها في السنة الثانية للهجرة وفي شهر صفر على وجه التحديد وقد تناولت هذه الآية الكريمة الاذن بالقتال وعللت الاذن بما منى به المسلمون من الظلم وما أكرهوا عليه من الهجرة والخروج من ديارهم بغير حق ، ثم بينت هذه الآيات أن ذلك الاذن موافق لما تقتضى به سنة التدافع بين الناس حفظا للتوازن ودفعا للبغى والطغيان وتمكينا لأرباب العقائد والعبادات من أداء عباداتهم لينتظم الأمر وتقوم الشرائع وتصان أماكن العبادات عن الهدم والتخريب ، ثم بينت أن الله تعالى انما ينصر من ينصره وهم أولئك الذين لا يتخذون من الحرب وسيلة للتخريب وأداة للفساد والافساد بل يتخذونها وسيلة لعمارة الأرض والدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤٦

(٢) انظر تفسير الخازن محمد بن ابراهيم الخازن ج ٥ ص ١٩ ط ٢ وبهامشه تفسير البغوى

(٣) سورة الحج ٣٩ - ٤١

وهذه الآيات ليس فيها شائبة من شوائب القهر والاكراه فى الدين بل هى على العكس تقرر فى وضوح لا لبس فيه أن التدافع بين الناس سنة من سنن الله فى الكون لا بد منه لحفظ النظام وبقاء العمران وأنه لولا هذا التدافع لفسدت الأرض وهدمت أماكن العبادات على اختلاف ألوانها وتباين أنواعها بتحكم الأقوياء الجبارين فى الأديان السماوية .

ولقد تغير موقف الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته وصحابته من مكة الى المدينة بعد أن أذن الله له بالقتال تغير موقفه من أولئك الذين كانوا يقفون فى طريق دعوته ، لكن هذا التغيير لم يكن كما يزعم الزاعمون أنه حمل للسيف فاما الاسلام أو القتل بل كان الموقف الجديد هو أن يقف فى وجه الاضطهاد والقوة بمثلهما لازالة هذه العوائق التى تقف فى وجه الدعوة وتعترض طريقها ، وقد كان منهجه مع أعدائه من أهل الكتاب : اما الاسلام واما الجزية واما القتال فلم يحمل السيف ابتداء ليكره أحدا على الاسلام ولم يكن الحرب وسيلته التى ينشر بها رسالة الله .

وجميع الحروب التى خاضها الرسول صلى الله عليه وسلم ما كانت الا لمجابهة قوة تريد أن تقف فى وجه دعوته وتصدها ، فمحاربته للفرس لان كسرى ارسل الى عامله على اليمن يأمره بقتل النبى صلى الله عليه وسلم وارساله رأسه اليه ، وكذا محاربته للروم لانهم أرسلوا طلائع جيشهم الى تبوك فبادرهم النبى صلى الله عليه وسلم بارسال سرية وعادت بغير قتال حين وجدت فى تبوك أن الروم لا يتأهبون للزحف على بلاد العرب ذلك العام ثم وقعت الحرب حين علم المسلمون أنهم يحرضون قبائل العرب فى العراق والشام على غزو الحجاز واعداد هم العدة لقتال المسلمين . (١)

---

(١) انظر حقائق الاسلام وأباطيل خصومه عباس محمود العقاد ص ٣٠٠ - ٣٠٤ ط ٣ .

ثالثا : شهادة التاريخ وأقوال المستشرقين :

لو تتبعنا صفحات التاريخ منذ بدء الدعوة المحمدية وانطلاقها من مكة المكرمة الى اليوم لرأينا أن تلك الجموع التى تدخل فى الاسلام لا تدخله الا نتيجة اقتناع ويقين لا اكراه ولا قسوة .

وفترة الوحى الأولى بمكة أعظم شاهد اذ طيلة ثلاث عشرة سنة والمسلمون فيها مضطهدون ومعذبون ومع هذا كله يزيد عدد الداخلين فى الاسلام ويكثر عدد المسلمين يوما بعد يوم ويسارع أهل المدينة لاجتذاب هذه الدعوة اليهم والفوز بحمايتها ويدعون اليها أبناءهم ونساءهم .

يقول الكاتب الغربى : (توماس كارليل" صاحب كتاب : **الأبطال** وعبادة البطولة ويسميه نقاد الغرب : نبى الكتاب" يقول :

(ان اتهام النبى محمد بالتعويل على السيف فى حمل الناس على دينه والاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم اذ ليس مما يجوز فى الفهم أن يشهر رجل **فرد** سيفه ليقتل به الناس أو يستجيبوا لدعوته فاذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا به طائعين مصدقين وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدروا عليها ..)(١)

ولو نظرنا الى صفحات التاريخ لصدر الاسلام لرأينا الحروب والوقائع فى هذه الفترة ليست الا على هدى من تعاليم القرآن المجيد التى تنهى عن الاعتداء وتأمر برد العدوان بمثله مع مراعاة العدل والاحسان ولرأينا أن الناس كانوا يدخلون فى دين الله أفواجا مقتنعين غير مكرهين ولا مجبورين على ذلك من أحد اذ قد تبين لهم الرشد من الغى ولهذا كانت فترة السلم التى تلت صلح الحديبية بين قريش والرسول

---

(١) نقلا عن كتاب شريعة القتال فى الاسلام : عثمان السعيد الشرقاوى ص ١٢٣ ط ١ وانظر ما يقال عن الاسلام لعباس محمود العقاد ص ١٣٦ ط ٢

صلى الله عليه وسلم أهم فترة انتشر فيها الاسلام وقد كانت هذه الفترة سنتين يقول عنها المؤرخون ان من دخل الاسلام فى خلال هاتين السنتين أكثر من دخله فى المدة التى تقرب من عشرين سنة منذ بدء الاسلام حتى ذلك الصلح .

ونتجاوز هذه الصفحات الكثيرة المليئة بالأحداث الى الفترة التى جاء فيها الصليبيون الى الشرق ابان ضعف الخلافة العباسية والفاطمية لمحاولة القضاء على الاسلام . يحدثنا التاريخ فى هذه الفترة أن كثيرا من هؤلاء الصليبيين قد دخلوا فى الاسلام وحاربوا فى صفوف المسلمين بمحض اختيارهم وقناعتهم .

يقول سيرتوماس . و . آرنولد فى كتابه الدعوة الى الاسلام :

(ويظهر أن أخلاق صلاح الدين وحياته التى انطوت على البطولة قد احدثت فى أذهان المسيحيين فى عصره تأثيرا سحريا خاصا حتى أن نفرا من الفرسان المسيحيين قد بلغ من قوة انجذابهم اليه أن هجروا ديانتهم المسيحية وهجروا قومهم وانضموا الى المسلمين .... وحدث فى مساء المعركة (١) ان ترك الملك ستة من فرسانه فدخلت فيهم روح شريرة وفروا الى معسكر صلاح الدين حيث أسلموا بمحض ارادتهم ...) (٢) .

وفى القرن السابع الهجرى هجم المغول على العالم الاسلامى وكان هجومهم وحشيا قاسيا مدمرا سفكوا الدماء وحطموا الحضارة الاسلامية وهدموا القصور والمساجد وأحرقوا الكتب ورموا بها فى النهر وقتلوا العلماء وامتدت أيديهم الى الخليفة فقتلوه وقتلوا أهله معه وأزالوا الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ وأصبحت للمغول اليد العليا وهوت أمامهم كل قوى المسلمين فى عاصمة الخلافة وما حولها ولكن سرعان ما جذب الاسلام اليه هؤلاء الفاتحين الغزاة وسرعان ما دخله

---

(١) يقصد معركة حطين بين جيش صلاح الدين الايوبى وبين الجيوش الصليبية التى هزم فيها الصليبيون .

(٢) الدعوة الى الاسلام تأليف سيرتوماس. و. آرنولد ترجمة الدكتور حسن ابراهيم وزميلاه ص ١١١ ط ٢

المضلل الذين ناجموه وعملوا على تقويضه ...

فهل بعد هذه الحقائق التاريخية يصح القول بأن الاسلام انتشر بقوة السيف لا بالحجة والاقناع . يقول الأستاذ العقاد في كتابه حقائق الاسلام وأباطيل خصومه : (وأيسر من استقصاء الحروب وأسبابها في صدر الاسلام ان نلقى نظرة عامة على خريطة العالم في الوقت الحاضر لنعلم أن السيف لم يعمل في انتشار هذا الدين الا القليل مما عمله الاقناع والقدوة الحسنة فان البلاد التي قلت فيها حروب الاسلام هي البلاد التي يقيم فيها اليوم أكثر مسلمي العالم وهي بلاد أندونيسية والهند والصين وسواحل القارة الافريقية وما يليها من سهول الصحارى الواسعة فان عدد المسلمين فيها قريب من ثلثمائة مليون ولم يقع فيها من الحروب بين المسلمين وأبناء تلك البلاد الا القليل الذي لا يجدي في تحويل الآلاف عن دينهم بله الملايين ونقارن بين هذه البلاد والبلاد التي اتجهت اليها غزوات المسلمين لاول مرة في صدر الدعوة الاسلامية وهي بلاد العراق والشام فان عدد المسلمين فيها اليوم قلما يزيد على عشرة ملايين يعيش بينهم من اختاروا البقاء على دينهم ....) (١) .

وقال الأستاذ العقاد : (وقد أنصف المستشرق جوستاف لوبون حين قال : (وسيرى القارئ حين نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم أن القوة لم تكن عاملا في انتشار القرآن فقد ترك العرب الفاتحون المغلوبين أحرارا في أديانهم فاذا حدث ان اعتنق بعض الأقوام من النصارى الاسلام واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين ولما كان عليه الاسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل والتاريخ أثبت أن

---

(١) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه عباس محمود العقاد ص ٣٠٥ ط ٣

الأديان لا تفرض بالقوة فانه لما قهر النصارى عرب الأندلس فضل هؤلاء القتل والطرد عن آخرهم على ترك الاسلام ولم ينتشر الاسلام بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها ...) .

وبعد :

فان الاسلام دين أمن وسلام ودين بناء لا دين هدم وذلك ما تشهد به نظرياته المقروءة ووقائعه التاريخية وشهدت به الأعداء ، لكن السلام الذى يدعو اليه هو السلام الذى تصان فيه الكرامة فلا تمتهن ويسلم فيه الشرف فلا يثلم وتصان فيه الحقوق فلا تهضم ، أما حين تمتهن الكرامة أويثلم الشرف وتغتصب الحقوق فان الاسلام يدعو الى الجهاد حتى تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى وفى ذلك يقول الحق سبحانه :

(فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم" صدق الله العظيم) سورة محمد آية ٣٥ .

البـــــاب الثالـــــث

صلاحية الرسالة المحمدية لكل زمان ومكـــــان

مقدمـــــة .

الفصل الاول :

الصلاحية فى العقائد

الفصل الثانى :

الصلاحية فى العبادات

الفصل الثالث :

صلاحية نظامه فى اصلاح المجتمع وتنظيم الحياة الاجتماعية

مقدمـــــــة :

الشرع بصفة عامة ليس الا استجابة ضرورية لشعور المجتمع بما يصلح من شأنه ويضع له قواعد حياته .

ويكتسب مثل هذا الشرع خاصية البقاء والصلاحية الى زمن أطول كلما كان فيه من القواعد ما يلبي حاجة المجتمع ويحل مشاكله الاجتماعية والاقتصادية ويقيه من الوقوع في معضلات الحياة وعللها وذلك يكون بمرونة قواعده الكلية وشمولها لصور جزئيـــة عديـــدة .

ولم تحظ البشرية على مدى تاريخها بشريعة تفي بأغراض الحياة ومشاكلها على الدوام على الرغم من كثرة المذاهب والدعوات الاصلاحية والافكار التي وجدت بغرض اصلاح المجتمع والنهوض به ومسايرته في تطوراته . وعندما اكتمل رقي الانسان وتأهل لتشريع عام يحمل عناصر الخلود والبقاء أتت رسالة الاسلام التي حملها الى البشرية جميعا أفضلها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأتت رسالة كاملة وافيـــة بمتطلبات الزمان الى قيام الساعة صالحة لكل مكان رغم اختلاف البيئات والعـــادات يقول ابن القيم رحمه الله تعالى تحت عنوان : (الرسول يبين كل شيء :

وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء الا ذكر للامة منه علما وعلمهم كل شيء حتى آداب التخلي وآداب الجماع والنـــوم والقيام والقعود والاكل والشرب والركوب والنزول والسفر والاقامة والصمت والكـــلام والعزلة والخلطة والغنى والفقر والصحة والمرض وجميع أحكام الحياة والموت ووصف لهم العرش والكرسي والملائكة والجن والنار والجنة ويوم القيامة وما فيه حتى كأنه رأي عين وعرفهم معبودهم والههم أتم تعريف حتى كأنهم يرونه ويشاهدونه بأوصاف كماله ونعوت جلاله وعرفهم الانبياء وأممهم وما جرى لهم وما جرى عليهم معهم حتى كأنهم كانوا بينهم

وعرفهم من طرق الخير والشر دقيقها وجليلها ما لم يعرفه نبي لأمته قبله ، وعرفهم صلى الله عليه وسلم من أحوال الموت وما يكون بعده في البرزخ وما يحصل فيه من النعيم والعذاب للروح والبدن ما لم يعرف به نبي غيره ، وكذلك عرفهم صلى الله عليه وسلم من أدلة التوحيد والنبوة والمعاد والرد على جميع فرق أهل الكفر والضلال ما ليس لمن عرفه حاجة من بعده اللهم الا الى من يبلغه اياه ويبينه ويوضح منه ما خفي عليه وكذلك عرفهم صلى الله عليه وسلم من مكايد الحروب ولقاء العدو وطرق النصر والظفر ما لو علموه وعقلوه ورعوه حق رعايته لم يقم لهم عدو أبدا وكذلك عرفهم صلى الله عليه وسلم من مكايد ابليس وطرقه التي يأتيهم منها وما يتحرزون به من كيده ومكره وما يدفعون به شره ما لا مزيد عليه وكذلك عرفهم صلى الله عليه وسلم من أحوال نفوسهم وأوصافها ودسائسها وكمائنها ما لا حاجة لهم معه الى سواه وكذلك عرفهم صلى الله عليه وسلم من أمور معايشهم ما لو علموه وعملوه لاستقامت لهم دنياهم أعظم استقامة ...

وبالجملة فجاءهم بخير الدنيا والآخرة برمته ولم يحوجهم الله الى أحد سواه) (١)

وهذه الرسالة الجليلة لها أهداف اصلاحية عامة جامعة لما تتطلبه الحياة الانسانية . وأول هذه الأهداف :

تحرير العقل البشري من الخرافة والتقليد

ويتحقق هذا الهدف بأول واجب من واجبات الاسلام وهو العقيدة الصحيحة وكمال الايمان بالله وحده عن طريق الدليل والبرهان والتفكير والنظر .

والهدف الثاني : تربية الفرد واصلاح نفسه وتهذيب أخلاقه حتى يتحرى الخير في عمله ولا يخضع لأهوائه وشهواته ، وهذا الهدف يتحقق في الاسلام بالعبادات

---

(١) اعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ج ٤ ص ٣٧٥

التى شرعها الله ليكون العبد على ذكر دائم لخالقه يرجو رحمة ربه ويخاف عقابه ويرعى حرمة اخوانه فى السر والعلن .

والهدف الثالث : اصلاح المجتمع وتنظيم الحياة الاجتماعية فى جميع صورها ولتحقيق هذا الهدف جاء الاسلام بنظام اجتماعى كامل يوضح علاقة الفرد بالفرد وعلاقة الحاكم بالمحكوم ، ويحدد الحقوق والواجبات بل ويحدد صلة الدولة الاسلامية بغيرها (١)

وعلى ضوء هذه الأهداف الثلاثة يكون حديثى فى هذا الباب حيث أتناول بعض جوانب هذه الأهداف كعلامات وأدلة على صلاحية هذه الرسالة الخاتمة للوفاء بمتطلبات الحياة ومسايرتها للتطور البشرى ورقيه لما تحمله نصوصها المحفوظة من العموم والمرونة .

---

(١) انظر الاسلام رسالة الاصلاح ، مناع القطان ص ٢٠

الفصـــل الأول
الصلاحيـــة فـــى العقائـــد

١ - اتفاق الرسالات السماوية فى الدعوة الى توحيد الله :

اتفقت جميع الأديان السماوية كلها فى الدعوة الى توحيد الله ، فما من الأنبياء أحد الا وقد دعا قومه الى التوحيد . (١)

قال الله تعالى عن نوح عليه السلام : (لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قـوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ...) (٢)

وقال هود عليه السلام لقومه عاد : (اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون) (٣)

وقال صالح عليه السلام لقومه ثمود : (اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكـم من الأرض واستعمركم فيها ...) (٤) الآية .

وقال شعيب عليه السلام لقومه مدين : (.. اعبدوا الله مالكم من اله غيره ..) (٥)

وقال تعالى : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغـوت ...)(٦) .

حتى كان آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم : دعا الى ما دعا اليـــه الأنبياء قبله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكـم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخـرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون " (٧)

---

(١) انظر : النبوة والأنبياء فى ضوء القرآن لابى الحسن الندوى ص٣٦ ط ٤
(٢) الاعراف ٥٩
(٣) الاعراف ٦٥
(٤) هود ٦١
(٥) هود ٨٤
(٦) النحل ٣٦
(٧) البقرة الآية ٢١ - ٢٢

ولهذا كان الاسلام دعوة جميع الأنبياء عليهم السلام ولم يكن هناك خلاف الا فى الشرائع اى فى طرق العبادة والقوانين وكان لكل أمة رسول خاص ، فلما أرسل الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أكمل به تعاليم الاسلام حيث أصبحت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم شاملة للناس جميعا وقد حوت جميع ما فى الرسالات السابقة من مبادئ وزادت عليها ماتحتاجه البشرية فى كل جوانب الحياة الى أن تقوم الساعة قال الله تعالى :

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ...) (١)

(وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لمابين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) (٢) .

وقد أصبحت كلمة " الاسلام " علما على الدين الذى جاء به صاحب الرسالة العظمى محمد بن عبدالله وتعارفت الأجيال هذه الحقيقة فاذا ذكر الاسلام عرف أنه الدين الذى يقوم على اتباع القرآن الكريم والسنة المطهرة . (٣) .

وسنلقى نظرة موجزة فى العقيدتين اليهودية والمسيحية وما وصلتا اليه من تحريف والحاد .

ثم ننظر بعد ذلك الى عقيدة التوحيد فى الاسلام حيث جاءت لتصحيح وازالة الاخطاء التى وقعت فى تلك الديانتين وأتت للناس بأسلوب فطرى يفهمه كل الناس على اختلاف أفهامهم وتفكيرهم :،

---

(١) سورة الشورى ١٣

(٢) سورة المائدة ٤٨

(٣) انظر عقيدة المسلم ، محمد الغزالى ص ١٣٧ ط ٤

٢- العقيدة في اليهودية والمسيحية المحرفتين :

كانت العقيدة الأصيلة لليهودية والمسيحية هي الايمان بالله الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد .. بمعنى أنها هي دعوة التوحيد التي جاءت في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كما صرح بذلك القرآن الكريم :

" نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل ..."(١) .

ولكن هاتين الديانتين الآن تختلف عن ذلك الأصل الذى نزل على موسى وعيسى عليهما السلام فقد دخلهما ما دخلهما من التحريف والانحراف عن ذلك الأصل (٢) ، فأصبحتا مليئتين بالتناقض والالحاد :

أ - ففي اليهودية :

فيما يتعلق بذات الله تعالى نتجاوز تلك المراحل التي طلبوا فيها من موسى عليه السلام رؤيتهم لله تعالى (٣) وعدم اطمئنانهم الى عبادة رب لا يرونه ومطالبتهم اياه أن يجعل لهم الها يحسونه (٤) وكيف أنهم ارتدوا الى عبادة العجل ، نتجاوز تفصيل ذلك وننظر في الاسفار الموجودة والصورة التي ترسمها هذه الأسفار عن الاله فهي تصور الله تعالى في صورة مجسمة وتصفه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والجهل .

فمن الاوصاف الحسية التي يصفون بها الاله :

انه كان يسير أمام جماعة بني اسرائيل في عمود سحاب :

---

(١) آل عمران ٣

(٢) سيأتي في باب ختم النبوة بحث مستقل وفيه أدلة عن التحريف الذى وقع في التوراة والانجيل

(٣) انظر الآيات ٥٥ - ٥٦ من سورة البقرة

(٤) انظر الآيات ١٣٨ - ١٤٠ من سورة الاعراف

فقد جاء في سفر الخروج : ١٣ : ٢٠ - ٢١

(وارتحلوا من سكوت ونزلوا في ايثام في طرف البرية وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق . وليلا في عماد نار ليضئ لهم (١))

ويصفونه بالتعب :

فيقرر سفر التكوين في الفقرات الاولى من الاصحاح الثاني :

ان الله بعد أن خلق السموات والارض في ستة أيام استراح في اليوم السابع وكان يوم سبت وأن الله قد بارك هذا اليوم من أجل ذلك فحرم فيه العمل (٢)

ويصفون الله تعالى أنه تصارع مع يعقوب :

ففي الفقرات ٢٤ - ٣٢ من اصحاح ٣٢ من سفر التكوين يقولون :

ان يعقوب لقي الله ذات ليلة وأخذ يصارعه حتى بزغ الفجر بدون أن يستطيع الله سبيلا الى التغلب على يعقوب وحينئذ ضرب حق فخذ يعقوب فانخلع ولما بلغ الوهن من الله مبلغه طلب الى يعقوب أن يخلى سبيله لانه قد طال أمد المصارعة وطلع الفجر ولكن يعقوب لم يقبل أن يطلقه الا اذا باركه فقبل الله شرطه وباركه وسأل عن اسمه فقال يعقوب فقال الله لن تسمى بعد الآن يعقوب بل تسمى "اسرائيل" لانك كنت قويا على الله (٣) .

---

(١) مقارنة الاديان لاحمد شلبي "اليهودية" ص ١٧٧

(٢) انظر الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام للدكتور على عبد الواحد وافى ص ٢٦ مطبعة دار العالم العربي

(٣) انظر الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام للدكتور على عبد الواحد وافى ص ٢٦ مطبعة دار العالم العربي

واليهود يزعمون أن لهم الها خاصا بهم وهو الاه اسرائيل وأنهم هم أولاده وأحباؤه وان لغيرهم من الأمم الهة أخرى وان الاههم في صراع مع هذه الالهة ولم يتخلص الههم هذا كل التخلص من صفات الحوادث بل ظل عالقا بهم في نظرهم بعض هذه الصفات فمن ذلك أن أحدث أسفار توراتهم المزعومة وهو سفر اللاويين يذكر في أكثر من موضع أن الضحايا المحرقة يرتاح لها الاله وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها وأنه يغضب كل الغضب اذا لم تقدم اليه أو اذا قدمت اليه في صورة غير الصورة المقررة في شريعتهم ...

وهذه النصوص واضحة الدلالة في أن اليهود لم يقدروا الله حق قدره في جميع أطوارهم التاريخية ..

أما عن عقيدة البعث واليوم الآخر عندهم :

فقد خلت أسفار العهد القديم الموجودة الآن من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه وليس هناك من فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر على الوجه الذي يقرره الاسلام :

يقول ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة :

" ان اليهود قلما كانوا يشيرون الى حياة أخرى بعد الموت ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا ولم ترد فكرة البعث في خلد اليهود الا بعد ان فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض" (١)

---

(١) قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٤٥
وانظر : الاسلام في مواجهة الماديين الملحدين عبد الكريم الخطيب ص ٦٣
ومقارنة الاديان لاحمد شلبي ج ١ ص ١٩٤ - ١٩٥

ب - العقيدة عند النصارى :

كانت المسيحية كما أسلفنا ديانة توحيد وكان المسيح عيسى بن مريم فيها انسانا من البشر أرسله الله الى الناس ولكن لم تمض بضع سنين على رفع المسيح عليه السلام حتى أخذت مظاهر الشرك والانحراف تتسرب الى معتقدات بعض الفرق المسيحية وكثرت الفرق وكثرت آراؤها واشتد الخلاف بين تلك الفرق والطوائف وكان الخلاف يدور حول شخص المسيح عليه السلام أهو رسول من عند الله فقط ؟ أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول فهو من الله بمنزلة الابن لانه خلق من غير أب ؟ .

وفى سنة ٣٢٥ م أمر قسطنطين امبراطور الرومان بأن يعقد مجمع دينى مسكونى أى يضم ممثلين لجميع الكنائس فى العالم المسيحى ، ومن أهم قضايا هذا المجمع : تقرير مبدأ صحيح يعتنقه المسيحيون فيما يتعلق بألوهية المسيح .
وانتهى ذلك المجمع الى عدة قرارات كان أهمها القرار الخاص باثبات الوهية المسيح وتكفير كل من يذهب الى أن المسيح انسان وتحريق جميع الكتب التى لا تقول بالوهية المسيح وتحريم قراءتها . ويذكر ابن البطريق نص هذا القرار فى العبارة الآتية :

ان الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه وأنه لم يوجد قبل أن يولد وأنه وجد من لا شىء أو من يقول ان الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الله الآب وكل من يقرأنه خلق أومن يقول انه قابل للتغيير (١) .

ولم يتعرض هذا المجمع الذى يعرف بمجمع نيقية - للعنصر الثالث من عناصرالالوهية فى العقيدة المسيحية الحاضرة وهو روح القدس ولم يبين حقيقة طبيعته أهوالاه أم

---

(١) انظر الاسفار المقدسة لعلى عبدالواحد وافى ص ١١٠
وانظر محاضرات فى النصرانية محمد أبو زهره ص ١٢٦

مخلوق فنشب خلاف كبير بين المسيحيين فمنهم من يقول بأن روح القدس ليس باله وانما هو محدث مخلوق لله ، ومنهم من يقول بألوهية روح القدس ولذلك عقد المجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١م وأقروا فيه القول بألوهية روح القدس .

وانتهت عقيدة المسيحيين الى عقيدة التثليث التى نتجت عن تلك المجامع وأصبحت هذه العقيدة كما جاءت فى كتاب : سوسنة سليمان لنوفل بن نعمة الله ابن جرجيس النصرانى :

(الايمان باله واحد آب واحد ضابط الكل خالق السماء والأرض وكل مايرى وما لا يرى وبرب واحد يسوع الابن الوحيد المولود من الآب قبل الدهور من نور الله اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو للآب فى الجوهر الذى به كان كل شىء والذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خطايانا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس وتألم وقبر وقام من الأموات فى اليوم الثالث على مافى الكتب وصعد الى السماء وجلس على يمين الرب وسيأتى بمجد ليدين الأحياء والأموات ولا فناء لملكه .

والايمان بالروح القدس الرب المحى المنبثق من الأب الذى هو مع الابن يسجد له ويمجد الناطق بالأنبياء) . (١)

ومع هذا التثليث فى الاله يصفونه بأنه اله واحد ويصفون ذلك بأنه لا منافاة بين القول بالتثليث وبين التوحيد ولم يعتمدوا فى اثبات هذه العقيدة على أى دليل عقلى بل كل اعتمادهم على ماعندهم من نقل يحملونه من أثقال المعانى ماتنوء به العبارات . واذا فكروا فى ربط قضية التثليث بالعقل أحسوا أن العقل لا يستسيغ ذلك التصور فيحاولون لذلك تجنب محاولة اثبات هذه العقيدة بالعقل (٢) ولذلك

---

(١) انظر محاضرات فى النصرانية لمحمد أبو زهره ص ١٠٢
والاسفار المقدسة لعلى عبد الواحد وافى ص ١١١
(٢) انظر محاضرات فى النصرانية لمحمد أبو زهره ص ١٠٩

كان مبدأهم :

(يجب أن تعتقد أولا ما يعرض على قلبك بدون نظر ثم اجتهد بعد ذلك فى فهم ما اعتقدت) (١) .

٣- التوحيد : وضوح أدلته ومكانته فى الرسالة المحمدية :

جاء الاسلام ليعالج قضايا العقيدة ويصحح تلك الأخطاء التى وقع الناس فيها فيما يتعلق بتوحيد الله تعالى وما يجب له تعالى من صفات الكمال واخلاص العبادة له وحده .

فبقى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم جل حياته ينقى عقيدة التوحيد من تلك الشوائب ، ويحطم الاصنام التى كانت تعبد من دون الله ، وقد اهتم القرآن الكريم وخاصة المكى منه بالحديث عن الله تعالى واظهار جلاله وكماله ومحاربته لجميع صور الشرك والقضاء على عقيدة تعدد الآلهة ومتابعة أوهام الناس فيها ليكشف ظلماتها ويدحض شبهاتها .

يقول الاستاذ الشيخ محمد عبده :

(أرأيت كيف نهض وحيدا فريدا يدعو الناس كافة الى التوحيد والاعتقاد بالعلى المجيد والكل ما بين وثنية مخرفة ودهرية وزندقة ؟ نادى فى الوثنيين بترك أوثانهم ونبذ معبوداتهم وفى المشبهين المنغمسين فى الخلط بين اللاهوت الاقدس وبين الجسمانيات بالتطهر من تشبيههم وفى الثنوية بافراد اله واحد بالتصرف فى الاكوان ورد كل شىء فى الوجود اليه - أهاب بالطبيعيين ليمدوا بصائرهم الى ما وراء حجاب الطبيعة فيتنوروا سر الوجود الذى قامت به .

صاح بذوى الزعامة ليهبطوا الى مصاف العامة فى الاستكانة الى سلطان معبود واحد

---

(١) مقارنة الاديان احمد شلبى (المسيحية) ص ٢٢٥

هو فاطر السموات والارض والقابض على أرواحهم فى هياكل أجسادهم ، تناول المنتحلين منهم لمرتبة التوسط بين العباد وبين ربهم الأعلى فبين لهم بالدليل وكشف لهم بنور الوحى أن نسبة أكبرهم الى الله كنسبة أصغر المعتقدين بهم وطالبهم بالنزول عما انتحلوه لانفسهم من المكانات الربانية الى أدنى سلم من العبودية والاشتراك مع كل ذى نفس انسانية فى الاستعانة برب واحد يستوى جميع الخلق فى النسبة اليه لا يتفاوتون الا فيما فضل به بعضهم على بعض من علم أو فضيلة ...

الى أن قال :

لكنه كان فى فقره وضعفه (صلى الله عليه وسلم) يقارعهم بالحجة ويناضلهم بالدليل ويأخذهم بالنصيحة ويزجرهم بالزجر وينبههم للعبر ويحوطهم مع ذلك بالموعظة الحسنة كأنما هو سلطان قاهر فى حكمه عادل فى أمره ونهيه أو أب حكيم فى تربية أبنائه شديد الحرص على مصالحهم رؤوف بهم فى شدته رحيم فى سلطته .(١)

وبعد هذا الجهاد المرير الذى جاهده رسول الله صلى الله عليه وسلم لاثبات عقيدة التوحيد وغرسها فى قلوب قد اشربت بحب الوثنية والشرك أصبحت عقيدة التوحيد عقيدة صافية واضحة خالصة لله تعالى موحدة له فى ذاته وأفعاله وتنزيهه عن مشابهة المخلوقين وأقام البراهين والأدلة على أن خالق الكون واحد ومدبر الارزاق واحد ، وكلها أدلة دامغة تخاطب فطرة الانسان وواضحة يفهمها العقل البشرى وما تضمنته نصوصها من معانى ولا تتعارض معه .

والمتتبع لآى القرآن الكريم يجد أن القرآن الكريم يدور حول التوحيد فآيات القرآن الكريم اما أخبار عن الله تعالى وصفاته وخلقه وأفعاله وتدبيره واما أمر ونهى وهما من لوازم ربوبيته وقيوميته على خلقه واما بيان للثواب بأنواعه وهو جزاء من أطاعه

---

(١) رسالة التوحيد للامام محمد عبده ص ١١٢ الطبعة الرابعة

واتبع رسله الذين أرسلهم بشريعته القائمة على توحيده فى الالوهية والربوبية واما بيان للعقاب بأنواعه وهو جزاء المخالفين لشرعه واما اخبار عن أحوال المكذبين الماضين وهو بيان لمن خرج عن مقتضى توحيده وعبادته .(١)

فالتوحيد هو لب الاسلام وأساسه ومنه تنبثق سائر نظمه وأحكامه وأوامره ومناهجه وكل ما فيه من عبادات وأحكام يرسخه ويقويه ويثبته فى قلوب المؤمنين فالتوحيد اذا هو شعار الاسلام الأول فى ميدان الاعتقاد والعمل .

وكانت أدلة التوحيد التى جاء بها القرآن الكريم واضحة لا لبس فيها ولا غموض وتدعو الانسان الى التفكير والنظر فى ملكوت الله تعالى خالق هذا الكون ومدبره .

ففى توحيد الربوبية وردت آيات كثيرة واضحة تشهد بربوبيته تعالى لكل شىء فالله الخالق وما سواه مخلوق لذلك الخالق العظيم الذى يوجد أشياء ويخلقها وينميها وينقلها فى أطوارها المختلفة حتى يبلغ بها غاية الكمال الذى تستحقه فكل شئون الربوبية كلها من الخلق والرزق والملك والتدبير والتصريف مختصة به سبحانه لا يشاركه فيها أحد من خلقه :

"يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون" (٢)

" ... أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها االه مع الله بل هم قوم يعدلون . أم من جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون . أم من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء

---

(١) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ١١ - ١٢
وانظر أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٢٣ ط ٣

(٢) سورة البقرة ٢١ - ٢٢

ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ماتذكرون أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أم من يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) (١) .

فالقرآن الكريم يذكر الناس ويلفت أنظارهم الى ماركز في فطرهم من أن الله وحده هو رب العالمين اذ أن جحود ربوبيته تعالى لهذا الكون هو جحود وانكار محض على وجه المكابرة والعناد ولا يعنى هذا الجحود وذلك العناد أن الفطرة خالية من الاحساس العميق بوجود الخالق فان تلك الفطرة في نفوس الجاحدين تستيقظ عندما تنتابها الأخطار :

(واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور) (٢) .

واذا كان ذلك هو ما استقر في الفطرة ونطقت به الألسنة من أن الله هو الواحد في ربوبيته فهو أيضا الواحد في ألوهيته :

(أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ...) (٣)

(يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) . (٤)

---

(١) النمل ٦٠ - ٦٤ (٢) لقمان ٣٢

(٣) الاعراف ١٩١ - ١٩٤ (٤) الحج ٧٣

فهذا حال تلك المعبودات من العجز الشنيع والفقر البالغ والغفلة عمن يدعوها ويفزع اليها .

ويصف أولئك المشركين الذين قد أشركوا مع الله غيره بأنهم تركوا العقل وعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر :

(أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) (١)

(ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) (٢)

فهذا هو التوحيد قد أوضحه القرآن الكريم أحسن وضوح وقد بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرس هذه العقيدة الصافية قرابة ثلاثة عشر عاما ودعمها بالأدلة الفطرية الواضحة التى لا تتنافى مع العقل السليم ولا تتعارض مع التفكير المنزه عن الهوى والشهوة ولم يترك لاحد من البشر بعد هذا البيان الكافى الشافى فى القرآن الكريم وفى سنة الرسول الامين صلى الله عليه وسلم أن يحصل عقيدته بغير طريق الاستدلال منهما .

وهذه الطريق قريبة للفهم سهلة على العقل بحيث يشترك فى فهمها الجمهور من كان منهم ثاقب الفهم ومن ليس كذلك ولو كانت مما لا يدركه الا الخواص لكان بالنسبة للجمهور تكليف بما لا يطاق وهو غير واقع ولذلك نجد أن شريعة الاسلام لم تعرف من الامور الالهية الا بما يسع فهمه وأرجت غير ذلك فعرفته بمقتضى الاسماء والصفات وحضت على النظر فى المخلوقات وأحالت فيما يقع فيه الاشتباه على قاعدة عامة وهو قوله تعالى :

(ليس كمثله شئ) وسكتت عن أشياء لا تهتدى اليها العقول أو لا يشترك الجمهور

---

(١) الانبياء ٦٧

(٢) الاحقاف ٥

فى فهمها خروج عن مقتضى وضع الشريعة من الفهم والسهولة ، وكان سبب نشأة الفرق الاسلامية كلها أو أكثرها هو خروجها عن هذا المقتضى وطماح النفوس الى مالم تكلف به . (١)

عقيدة البعث :

ان الايمان بالله تعالى ومايستلزم ذلك من الايمان بملئكته وكتبه ورسله وما أرسلت به تلك الرسل من الشرائع والتكاليف كل ذلك يستدعى الايمان باليوم الآخر وما يتعلق به من بعث بعد الموت ووقوف امام اللهفى يوم الحساب فيجازى المسىء على اساءته ويكافأ المحسن على احسانه .

وقد أعطى القرآن الكريم وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم هذه العقيدة القدر الاكبر من الاهتمام ويذكر بتلك الجنة والنعيم الدائم للمتقين وبالنار التى أعدت للكافرين وأكدا حقيقة أن الانسان سوف تكون نهايته القصيرة فى الدنيا الانتقال الى الدار الاخرة بكيانه الروحى والمادى معا وان خصائصه البشرية التى ينفرد بها عن الخلائق الاخرى لن تزول وان أخذت أوضاعا وأحوالا أخرى ونبهما على أن ما يصدر عن المرء من عبث وفسوق وظلم وطغيان فى هذه الدار الأولى فان ذلك سوف يلاقى حسابه ويعقب الويل والثبور فى الدار الآخرة مهما لقى العابث فى الدنيا من راحة واغفال .

وان ما يصدر عنه من الجد والصلاح يثمران أجمل العواقب مهما لقى الجاد من غمط واهمال .. (٢) :

(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) . (٣)

---

(١) انظر الموافقات للامام الشاطبى ج ٢ ص ٨٨ - ٨٩

(٢) انظر : هذا ديننا لمحمد الغزالى ص ٢٥ ط ٣

(٣) سورة الانبياء ٤٧

ولا شك أن الايمان بالبعث والجزاء مايقتضيه العقل تحقيقا لقاعدة العدل اذ ليس في المعقول ولا في الحكمة أن تكون هذه الحياة القصيرة هي الغاية من خلق هذا العالم الكبير وأن تكون نهاية المؤمن والكافر سواء ، ونهاية الظالم والمظلوم سواء ونهاية البر والفاجر سواء . (١)

قال تعالى : (وما خلقنا السماء والارض ومابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) . (٢)

وقال سبحانه : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) . (٣)

والايمان بالبعث هو أيضا ضرورة يقتضيها نظام العيش في هذه الحياة واستقامة الأمور فيها فانه اذا علم كل انسان أنه مسئول عما قدم وأن سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الاوفى سلك في حياته سبيل الجادة وحاسب نفسه بنفسه فلا يمكن أن يصدر عنه ظلم لأحد ولا أن يصر على ذنب ارتكبه ولا أن يقصر في أداء ما وجب عليه .

---

(١) انظر دعوة التوحيد لمحمد خليل هراس ص ٢٥٥ ط ٢
(٢) سورة ص ٢٨
(٣) الجاثية ٢١

ومن هذا العرض الموجز لعقيدة التوحيد فى الاسلام ومقارنتها ببعض ما وصلت اليه العقيدة فى الديانتين اليهودية والنصرانية من التحريف والشرك من هذا يتضح لنا أمران هما عنصر الصلاحية والبقاء فى العقيدة الاسلامية التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم وهما :

١ - كونها عقيدة محفوظة تكفل الله بحفظها بحفظه لكتابه العزيز القرآن الكريم فلايمكن أن تتغير هذه النصوص التى جاءت فى القرآن الكريم لا بزيادة أو نقص أو تحريف أو تبديل وتبقى هذه العقيدة توقيفية مستمدة من الكتاب والسنة الصحيحة .

وذلك ما لم تحظ به الرسالات السابقة على الاسلام فقد حرفت وبدلت وتصرف فيها أتباعها بالزيادة والنقص عندما وكل اليهم أمر حفظها ورعايتها .

٢ - أنها عقيدة سهلة مبسطة واضحة خالية من الغموض والتعقيد ولا تتنافى مع العقل السليم ولا تتعارض مع التفكير المنزه عن الهوى والشهوة وكل نصوصها صريحة بحيث لا يمكن لعقول كل المفكرين والفلاسفة أن ينقضوا أصلا واحدا من أصولها فهى تجعل الربوبية المطلقة لله تعالى فى كل شىء من الخلق والملك والتدبير والرعاية والحفظ .

وتجعل الالوهية له وحده محبة ومخافة وذلا وانابة واستكانة وخضوع وتعظيم ورجاء وخشية وتوكلا وغير ذلك من العبادة التى يحبها الله ويرضاها وأمر عباده بأن يتقربوا بها اليه .

ثم انه المتصف بجميع الكمالات التى وصف بها نفسه فى القرآن الكريم أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، مع وجوب تنزيهه عن كل نقص تضاد كماله من

الشريك والولد والصاحبة ونحو ذلك من العيوب : " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " .

وخلاصة القول أنه ليس في هذه العقيدة ما يجافي الفطرة أو يكابر العقل أو يتعاصى على الفهم أو يتنافى مع مقررات العلم . كلا بل هي في صراحتها وبساطتها وقوتها يجب أن تكون عقيدة الانسانية كلها اذا أرادت أن تنجو مما تعانيه من فساد العقائد وجور الوثنية وبوائق الالحاد . (١)

(١) انظر دعوة التوحيد للدكتور محمد خليل هراس ص ٢٥٦

الفصـــــل الثانـــــى
العبادات ودورها فى تربية الفرد وتهذيب نفسه

ان مفهوم العبادة فى الاسلام مفهوم واسع بحيث يشتمل على عمل القلب من الحب لله تعالى والخوف منه والاخلاص له والتوكل عليه وغير ذلك من معانـــى القلوب التى تعبدنا الله عز وجل بها وأمرنا أن نتقرب اليه بها .

وتشتمل أيضا على عمل اللسان كالثناء على الله وسؤاله حاجات الدنيا والآخـــرة والتسمية والاستعانة والاستعاذة والحلف وقول الصدق .
وعبادات مالية من الصدقات والذبائح والوفاء بالنذر .
وعبادات بدنية .
فكل ما قصد به العبد وجه الله كان له عبادة يدخل فى ذلك التفكر فى خلق اللـــه وطلب العلم وما يترتب عليه من مشاق وكل ما يعترض المؤمن فى حياته فان أراد به وجه الله تعالى فهى عبادة له تعالى يثيب عليها .

وقد خص الله تعالى من أنواع العبادة هذه الصلاة والصوم والحج والزكاة فتعبد بها عباده وجعل لها أوقاتا مناسبة يقوم بها العبد فيها ليكون العبد على علاقة دائمة بربه فى جميع الاوقات وضمن هذه العبادات من معطيات الخير فيما من شأنه أن يزكى النفس ويطهر القلب ويقيم الانسان على طريـــق الخير والحق .

وقد جعل الله تعالى هذه العبادات المفروضة سهلة ميسرة مقدورة بطاقة الانسان واحتماله فليس فيها ما يشق على الانسان .
ثم ان هذه العبادات تراعى أحوال الافراد فلها رخص تعفى الانسان من أدائها اعفاء مؤقتا أو دائما اذا لم تتحقق فى الفرد الشروط الموجبة لها . وهذه العبادات متنوعة تتفق مع واقع الطبيعة الانسانية تتقبلها العقول وتهش لها القلوب والارواح

وتمد الافراد والجماعات بشحنات من الدفع الروحى المشرق وتظهر آثارها فى الاخلاق والمعاملات تهذيبا وأدبا وسلوكا وتسامحا .

فالصـــــلاة :

وهى صلة وعلاقة بين العبد وربه ، فالعبد يبدأ يومه بصلاة الفجر فيشرق النور فى قلبه ويقدم على عمله الذى يحصل به رزقه ويتعامل مع الناس بتلك النفس الطاهرة النقية حتى اذا أخذ القلب يصدأ وتعتريه الغفلة عن ذكر الله كانت صلاة الظهر .. ثم صلاة العصر .. ثم المغرب ويختم يومه بصلاة العشاء ليكون آخر عمل له هو تجديد الصلة بينه وبين ربه فيبقى مطمئنا صافيا نقيا فلا تستحوذ المادية على روحه وقلبه .

فهذه الصلوات الخمس بأوقاتها وركعاتها وجبات روحية وحقن صحية شرعها الخلاق العظيم الذى ليس طبيبا للنفوس فحسب بل هو خالقها وصانعها فيعلـــم ما يصلحها وينفعها (١) .

ثم هناك الرابطة الاجتماعية المتجددة بين أفراد الحى الواحد كل يوم خمس مـــرات لأداء هذه الفريضة فيحصل التعارف وتتجدد اللقاءات على الخير وتحل المشاكل ويسود الوئام والمحبة وتتوسع هذه الرابطة لتشمل عدة أحياء فى يوم الجمعة والعيدين فأى نظام يستطيع أن يحقق مثل هذا الترابط الوثيق وهذه الصلة الدائمة .

وقد يعتري المسلم ظروف السفر أو المرض أو الحرب ونحو ذلك فيصبح لــــه أحكام أخرى تتناسب مع الوضع الجديد الذى هو فيه فله أن يقصر من الصلاة وأن يؤديها فى أى مكان من الارض فليس المسجد شرطا لاداء الصلاة فكل الارض مسجـــد كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث مضى حيث قال فيه :

---

(١) انظر الاركان الاربعة لابى الحسن الندوى ص ٢٤

(... وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا ...) والرسول صلى الله عليه وسلم ينبه الى أن ذلك من خصوصياته ولامته بخلاف ما كانت عليه الامم السابقة فانهم كانوا لا يصلون الا فى أماكن مخصوصة كالبيع والصوامع والكنائس فمن غاب منهم عن موضع صلاته لم يجز له أن يصلى فى غيره من بقاع الارض حتى يعود اليه ثم يقضى كل ما فاته . (١)

وما أكثر الحكم والمنافع التى تعود بها الصلاة على المصلى المؤمن ولو لم يكن من تلك المنافع الا ما صرح به الله تعالى فى قوله :

(... وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) . (٢)

فلو لم يكن منها الا نهيها المصلى عن الفحشاء والمنكر لكفى بذلك حكمة وقد ورد فى الحديث :

" من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له " . (٣)

وقد شرع الله تعالى لهذه الصلاة أن يكون المصلى على طهارة كاملة من جميع النجاسات الكبرى والصغرى . قال تعالى

(يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) . (٤)

---

(١) انظر محاضرة : شرف الامة المحمدية للدكتور محمد علوى مالكى فى ندوة محاضرات حج ١٣٩٣ هـ وانظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ١٥٤-١٥٥
(٢) العنكبوت ٤٥ (٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٤١٤
(٤) المائدة ٦

وبذلك كانت الصلاة طهارة مادية لما يجب لها من الوضوء وازالة النجاسات ومعنوية لما يحصل بها من نقاء الايمان واستحضار عظمة الرحمن وكبريائه واتصاله بالله على الدوام .

ولما يلزم فى الصلاة من الخضوع والتواضع فيقف المسلم مع أخيه المسلم مهما اختلفت اللغات والالوان وتفاوتت المنازل والمناصب .

وقد دل على هذه الطهارة بنوعيها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : " أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقى من درنه قالوا : لا يُبقى من درنه شيئاً قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا " . (١)

والزكـاة :

هى الركن الثالث من أركان الاسلام بعد الشهادتين والصلاة وهى مايخرجه المؤمن من ماله عن بدنه أو ماله لينفقها على الوجه الذى بينه الله تعالى بقوله : (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) . (٢) .

وقد بين الله تعالى أن الحكمة من مشروعية الزكاة هى :
التعاطف والتراحم ووحدة الصف بين فقراء الامة واغنيائها يتجلى هذا فى قوله تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم) . (٣)

فهى تطهر قلوب الاغنياء من الشح والبخل وتطهر قلوب الفقراء من الحقد والحسد

---

(١) صحيح البخارى جـ ١ ص ١٤١
(٢) سورة التوبة ٦٠
(٣) سورة التوبة ١٠٣

وبذلك يعيش الفقير مع الغنى كالجسد الواحد يحس كل منهما باحساس الآخر ويشعر بشعوره .

ثم ان فى الزكاة تحريراً للانسان من عبوديته للمادة التى قد تستولى على تفكيره ووقته بحيث يغفل عن الجوانب الاخرى ، يقول صلى الله عليه وسلم " تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة ... " (١)

وفى الزكاة تعويد للمسلم على الحنان والرحمة والاهتمام بالآخرين وتكسبه الرضا والقناعة وراحة الضمير وتعصمه من الكذب والزور والغش والاحتكار والسرقة والربا الى غير ذلك من المنكرات والآثام وتعوده رعاية الحقوق والحفاظ على الحرمات كما أن الشح بها يؤدى الى مفاسد اجتماعية خطيرة .

وأعظم ما تتميز به الزكاة فى الاسلام أنها ليست ضريبة من مال المسلم يدفعه الى اخراجها قوة النظام وهيبة السلطان بل المسلم يعتبرها عبادة لله تعالى وحق محض للفقير . ومن ذكر معه فى الآية السابقة فيؤديها ونفسه مطمئنة ونيته حسنة فان أخرجها مكرها أو مرائيا أو مكاثرا ممتنا فلا عبادة له ولا قيمة لعمله . (٢)

والصوم :

فرض الله تعالى على المسلم صيام شهر رمضان من كل عام وجعل ذلك عبادة له تعالى غايتها أن تمد الانسان بأسباب القوة والمنعة فالصوم ليس مجرد امساك عن الطعام وتحمل للجوع والعطش والحرمان وانما جعله الله تعالى رياضة نفسية على قهر شهوات النفس المتحكمة فى الانسان ، فان الصائم يمسك عن الطعام والشراب

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه وانظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٣٧٦ ط ٨

(٢) انظر : هذا ديننا لمحمد الغزالى ص ١٠٦ ط ٣

طيلة النهار ويلح عليه الجوع والعطش وبين يديه ما لذ وطاب من المأكل والمشرب ومع ذلك يرى نفسه معرضا عنه لشعوره بمراقبة الله له في السر والعلن ولدافعه النفسي ووازعه الديني .

ويتضح أن الحكمة الحقيقية من وراء الصوم هي غرس خلق المراقبة لله تعالى وخلق الصبر في نفوس الصائمين وبهما تصدق النية وتقوى العزيمة فيثبتون لحوادث الدهر وما يعترضهم من عقبات ، وفي الحياة نوازع الشهوة والهوى وفي الحياة دوافع الغضب والانتقام وفي الحياة التقلب بين النعماء والضراء وفي الحياة النزوح عن الاوطان ومفارقة الاهل والاخوان وفي الحياة الجهاد في سبيل الله ...

في الحياة كثير من الخطوب والمشاق التي تعترض الانسان فما أحوجه الى أن يتذرع بخلق الصبر ليثبت ويحتمل وما أحوجه الى ان يتسلح بسلاح المراقبة لله والاستعانة به والرجوع اليه والاعتماد عليه .(١)
وأنى له ذلك الا اذا أدى هذه الفريضة على وجهها المطلوب .

وقد يحصل للمسلم من الاعذار التي يكون معها زيادة مشقة بالصيام وذلك كالمسافر والمريض فرخص لهما في الافطار والقضاء عند ما يزول عذر السفر أو المرض وكالشيوخ والحوامل والمراضع فلهم الافطار مع الفدية والقضاء عند الاستطاعة .

الحـــج :

الحج هو الركن الخامس من أركان الاسلام أوجبه الله تعالى على المكلف مرة واحدة في العمر اذا استطاع الى ذلك سبيلا .
وقد فرض الله تعالى هذا الحج الذي تشهد الحياة فيه أكبر تجمع اسلامي حيث يفد الى بيت الله الحرام وفود المسلمين من سائر الأقطار تحقيقا لقوله تعالى :

(١) انظر الاسلام عقيدة وشريعة ، الامام محمود شلتوت ص ١٢٨ ط ٧

(وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) (١) .

وجميعهم مجردون عن كل مظاهر التفرقة فهم يرتدون ملابس الاحرام جميعا فلا يعرف العلماء من الجهلاء ولا الاغنياء من الفقراء ولا الرعاة من الرعية فكل معالم الشخصية تذوب بين هذا الكيان ووسط هذا المجتمع الهايل الذى اجتمع كل أفراده لهدف واحد وغاية واحدة هى الخضوع والاستجابة لنداء الله وأمره وقد بين الله تعالى فى الآية السابقة صورا من الفوائد التى تحصل للأفراد والجماعات بهذا الحج .

فالمنافع -التى جعل الله الحج سبيلا لشهودها والحصول عليها هى أول ما ذكر فى حكمة الحج -عامة مطلقة لم تقيد بنوع دون نوع ولا ناحية دون ناحية وهى بعمومها واطلاقها تشمل كل ماينفع الفرد والجماعة ويصلح شأنهما ، فطهارة النفس والتقرب الى الله منفعة والتشاور فى رسم خطط العلم والثقافة وفى جمع الكلمة على تركيز الدعوة والعمل على اظهار الاسلام بسماحته وأحكامه الرشيدة منفعة واعداد العدة لنسيج خيوط الشخصية الاسلامية ثوبا واحدا منفعة وأى منفعة وامتلاء القلوب بمبدأ المحافظة على تلك الشخصية من التحلل والذوبان منفعة .

وهكذا تتعدد المنافع وتتنوع على حسب مقتضيات الاحوال التى توحى بها الازمنة ومواقف الناس من الناس ... (٢)) .

وازالة التفث ليس الامر فيها قاصرا على ازالة ادران البدن من شعث السفر وانما هو تنبيه بالأدنى وهو درن البدن على الاعلى وهو درن العقل ودرن الجماعة

---

(١) سورة الحج ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩

(٢) الاسلام عقيدة وشريعة ، محمود شلتوت ١٥١

فد رن القلب وقوعه تحت ضغط الشهوة والهوى ودرن العقل وقوعه تحت ضغط الشكوك والأوهام ودرن الجماعة وقوعها تحت سيطرة الجهل والفقر وتحت سيطرة الغاصبين (١)

---

(١) الاسلام عقيدة وشريعة محمود شلتوت ١٥٦

الفصـــل الثالـــث
صلاحيـــة نظامـــة فـــى
اصلاح المجتمع وتنظيم الحيـاة الاجتماعية

كان من أجل تحقيق هذا الاصلاح الشامل للمجتمع أن جاء الاسلام بنظامه الكامل الذى ينظم فيه علاقة الفرد بالفرد وعلاقة الفرد بالمجتمع وعلاقة الحاكـــم بالمحكومين ويحدد الحقوق والواجبات وقد أتى فى ذلك كله بما هو موافق للفطـرة الانسانية وكان جامعا لجميع احتياجات البشر ومشتملا على قواعد ثابتة تحكم الثابت فى حياة البشر كأحكام الميراث.وتشتمل على كليات مرنة للتشريـــع يمكن أن يستنبط منها احكام لكل القضايا وعلاج لجميع المشاكل وذلك مثل :

الضرورات تبيح المحظورات ، ولا ضرر ولا ضرار ، والتكليف بما يستطاع ، واليقين لا يزول بالشك ، ونحو ذلك مما زخر به الفقه الاسلامى .

يقول الاستاذ محمد الغزالى :

(ويندر أن يوجد تصرف انسانى يعرض للمرء من المهد الى اللحد دون أن يتناوله الفقه الاسلامى بنص أو قاعدة . وهذا الشمول من خصائص الاسلام .
ان الدين الذى يبنى أمة ذات رسالة تبقى على الدهر وتظل صلاحيتها كامنة فـــى تعاليمها لا يدع فى السلوك العام أو الخاص فجوة يقوم غيره بسدادها .

والحقيقة أن المجتمع الاسلامى منذ نشأ صبغ بطابع الفكر القانونى فى كل شىء وتدخلت تعاليم الاسلام فى تنظيمه من الألف الى الياء .
نعم تدخل الفقه فى تعليم المسلم كيف يأكل وما يأكل ، بل وكيف ينفى فضلاته وكيف يتطهر منها ...))

وظل يتابعه فى شئونه مرحلة مرحلة حتى عرفه وهو عضو فى الدولة كيف يسالم وكيـــف

يحارب وكيف يعايش غيره من أعضاء الاسرة العالمية فى مجال العلاقات الدولية الكبرى ..." (١)

ولقد استقرأ العلماء أحكام الدين وما ترمى اليه من مصالح فوجدوا ذلك لا يعدو ثلاثة أنواع :

النوع الاول :

مصالح لا تقوم الحياة الا بها وسموها المصالح الضرورية وهى تنهض على حفظ أمور خمسة : الدين والنفس والعقل والنسل والمال والى هذا النوع يرجع أكثر أحكام الشريعة .

والنوع الثانى :

مصالح لا تختل بفقدها حياة الناس ولكن يصيبهم من فقدها ضيق ومشقة وسموها المصالح الحاجية وكثير من أحكام الشريعة يرجع الى هذا النوع كاباحة المبادلات والرخص التى تعفى الناس من بعض التكاليف أحيانا .

والنوع الثالث :

مصالح ترجع الى الاخذ بمحاسن العادات كستر العورات وحرمة الخبيث من المطعومات وسموها المصالح التحسينية .

ومن استقرأ أحكام الشريعة وجدها قد تكفلت بالمحافظة على كل هذه المصالح فهى شريعة كاملة كلها عدل ورحمة ورفق بالناس وذلك من أكبر أسباب صلاحيتها لبنى الانسان فى كل زمان وفى كل مكان . (٢)

---

(١) هذا ديننا لمحمد الغزالى ص ١٧٤
(٢) انظر هذا ديننا لمحمد الغزالى ١٩١ - ١٩٢

ويصعب فى مثل هذا المقام الضيق ايراد أمثلة حية مستوفاة لجوانب الشريعة من معاملات وحدود وأخلاق وحقوق وغير ذلك لكن لا يمنع ذلك من أن أورد أمثلة لبعض هذه الجوانب نلمس منها جانب الصلاحية والشمول فى الرسالة المحمدية .

ففى المعاملات :

كان الاصل الذى بنيت عليه الاباحة فلا يحرم منها الا ما حرمه الله تعالى ورسوله مما يوقع أحد المتعاملين فى الظلم أو الغرور أو الضرر وما عداه فهو باق على أصل الحل والاباحة والبراءة الاصلية :

واذا نظرنا الى موقف الاسلام من العمل وهو المصدر الطبيعى لحصول الانسان على مايصلح أن يكون شيئا يتعامل به ويجرى فى الحياة مجرى النفع والتبادل لرأينا أن الاسلام يفتح باب العمل ويوسع مجال الحركة والنشاط ويقرن العمل الصالح فى نصوص الشريعة بأصل العقيدة .

فقد أمر الاسلام بالعمل للدين والدنيا ووفق بين مطالب كل من الجسم والروح فلم يكن فى الاسلام رهبانية تقعد عن العمل ولم يكن فيه فسحة للشهوة البهيمية أن تسير على هواها بل الاسلام دعوة شاملة للعمل للدنيا والآخرة يقول تعالى : (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور .) (١)

ويقول تعالى : (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) . (٢) .

---

(١) سورة الملك ١٥

(٢) سورة الجمعة ١٠

واذا كان الله تعالى قال فى القرآن الكريم :

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (١)

فقد قرر القرآن الكريم أيضا أن الانسان قد جعله الله خليفة فى هذه الارض يسكنها ويعمرها ويستفيد من كل مافيها بمالا يتعارض مع العقيدة الدينية الصحيحة . قال تعالى :

(واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ....) (٢)

وقال تعالى :

(والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ....) (٣)

وقد حث الاسلام على العمل ورغب فيه فى مواضع كثيرة منها قوله تعالى :

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (٤)

وقوله تعالى :

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) (٥)

وشجع النبى صلى الله عليه وسلم على العمل ورغب فيه فى أحاديث كثيرة منها :

" ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده " (٦) .

---

(١) الذاريات ٥٦
(٢) البقرة ٣٠
(٣) النحل ٥ و ٦ و ٧ و ٨
(٤) سورة التوبة ١٠٥
(٥) القصص ٧٧
(٦) صحيح البخارى ج ٣ ص ٧٤ ط الشعب

وقال صلى الله عليه وسلم :

" لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه " (١) .

وقد راعى الاسلام كون العمل فطرة مركوزة فى الانسان فلم يغير من هذه الفطرة أو يحجر عليها بل ترك جميع أبواب العمل ومجالاته كلها مفتوحة للانسان ، وكل عمل يبلغ بالانسان غاية ويحقق له نفعا من غير أن يؤذيه أو يجور على مروءته وخلقه أو يعتدى على حقوق الناس هو عمل مبرور يزكيه الاسلام ويجزى عليه الجزاء الحسن .

وعلى مبدأ تشجيع الاسلام على العمل والجد فيه فان الاسلام لا يحرم الثراء المالى مادام أنه لم يكسب بطريق الظلم وعلى حساب مصالح الآخرين ومادام أنه جاء بطريق مشروعة ليس فيها أكل لاموال الناس بالباطل بغصب أو رشوة أو ربا ونحو ذلك مما نهى عنه الاسلام ومادام أنه يؤدى حقوقه فاذا توفر المال وتضخم على هذا الاساس الكريم فنعم المال الصالح للرجل الصالح .

وهذا المبدأ يخالف فيه الاسلام المبدأ (الرأسمالى) الذى يرتكز على الفردية وحب الذات والحرية المطلقة فى اكتساب المال من أى طريق .

ويخالف الاسلام فى ذلك المبدأ " الشيوعى " الذى يدعو الى تبديد الثروة مما يكون سببا فى قتل المواهب وخنق الحرية وشل الحركة الاصلاحية وتغييرا لطاقة الانتاجية فى الفرد الذى هو نواة المجموعة البشرية فجاء الاسلام السمح العادل بنظام فريد يحتوى منافع كل مذهب من المذاهب الاقتصادية ويخلو من عيوبه ومضاره . (٢)

---

(١) صحيح البخارى ج ٣ ص ٧٥ طبعة الشعب

(٢) انظر ندوة المحاضرات لموسم حج ١٣٩٣ هـ بحث : المعاملات المصرفية وموقف الاسلام منها للأستاذ عبدالله البسام ص ١٧

وفـــى الحـــدود :

حرصت الشريعة الاسلامية على اصلاح المجتمع وتنظيمه على أسس ثابتة قوية ، فراعت تنشئة الفرد تنشئة صالحة وتربيته تربية اسلامية قوامها مراقبة الله فى السر والعلن على نهج أمر الرسول صلى الله عليه وسلم :

(.. اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ...) (١) .

ونظمت الشريعة المجتمع الذى يتكون من مجموع هذا الفرد على أساس قوى متين من النظام المستمد من قوله تعالى :

(ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) . (٢)

على أن أى مجتمع مهما بلغ من الرقى فلا يخلو من ذوى الطبائع الشاذة والشهوات الجامحة . اذا نرى الاسلام يحيط مجتمعه بسياج متين من الحدود حفاظا على النفوس والاموال والاعراض وقد اعتبرت الشريعة الاسلامية كل معتد مجرما يؤدب حسب جريمته فتركت الشريعة عقوبات معظم الجرائم دون أن تحددها ولم تنص الا على أعظمها خطرا على كيان المجتمع وسلامة الامة وهى ما يعرف فى الشريعة بالضروريات الخمس وهى :

حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ النسل وحفظ المال وحفظ العقل . (٣) .

وللمحافظة على هذه الضروريات الخمس أتى الاسلام بالعقوبات التالية :

١ - عقوبة القصاص فى النفس وما دونها لقوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد

---

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠ ط دار مطابع الشعب
(٢) سورة النحل آية ٩٠
(٣) انظر الموافقات للشاطبى ج ١ ص ٣٨

والانثى بالانثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم . ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقون) . (١)

(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون) . (٢)

٢ - عقوبة الزنــى :

ورد القرآن الكريم ببيان بعضها فى قوله تعالى :

(الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) (٣) .

ووردت السنة ببيان البعض الآخر من التغريب والرجم (٤) .

٣ - عقوبة القذف لقوله تعالى :

(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) . (٥)

٤ - وعقوبة السرقة : لقوله تعالى :

(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءا بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) (٦)

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٨ - ١٧٩
(٢) سورة المائدة آية ٤٥
(٣) سورة النور آية ٢
(٤) انظر صحيح البخارى ج ٨ ص ٢١١ و ٢١٢ طبعة دار مطابع الشعب
(٥) سورة النور آية ٤
(٦) سورة المائدة ٣٨

٥ - عقوبة قطع الطريق : لقوله تعالى :

(انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) .

٦ - عقوبة الرده : لقوله صلى الله عليه وسلم :

" من بدل دينه فاقتلوه " (٢) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث : النفس بالنفس والثيب الزانى والمارق من الدين التارك الجماعة " (٣) .

٧ - عقوبة شرب الخمر :

وقد وردت عقوبتها بالسنة المطهرة على خلاف فى تحديدها .

فهذه هى العقوبات الأساسية التى حددتها الشريعة الاسلامية لحماية الحقوق العامة التى تقوم عليها حياة المجتمع وسعادته . (٤)

---

(١) سورة المائدة ٣٣ - ٣٤

(٢) صحيح البخارى جـ ٩ ص ١٩ طبعة دار مطابع الشعب

(٣) صحيح البخارى ج ٩ ص ٦ طبعة دار مطابع الشعب

(٤) انظر : الاسلام رسالة الاصلاح لمناع القطان ص ٤٦ - ٤٧

وأكتفى بهذا القدر الموجز فى هذا الباب الذى هدفى فيه هو التدليل على صلاحية هذه الرسالة لكل زمان ومكان .

ولو عقدنا مقارنة بين هذه الرسالة فى النواحى التى تناولتها الأحكام الوضعية التى تحكم بها غالبية الشعوب اليوم لظهر لنا خصائص تمتاز بها شريعة الاسلام عن تلك القوانين الوضعية تجعل من رسالة الاسلام شريعة مثلى يستحيل على البشرية أن توجد مثلها وأهم هذه الخصائص :

أولا : أن القوانين الوضعية تعتمد على رأى الانسان وأن الانسان مهما بلغ من المعرفة والعلم فلن يستطيع بعقله القاصر أن يدرك المصالح الخفية ويصيب دائما فى كل مايقرره من علاج لمشاكل الحياة الاجتماعية والانسان بطبيعته يخضع لعواطفه ويتأثر بالعوامل الخارجية وما يحيط به من أفكار وبهذا تكون القوانين الوضعية عرضة للتغيير وللتبديل ولا يكون لها مقياس ثابت محكم فما هو حلال اليوم قد يصير حراما غدا وبذلك تختلف موازين الحياة ومقاييس الخير والشر وتتلون بتلون الانسان وتحول ميوله وعواطفه فتظل الحياة الانسانية فى اضطراب دائم كما نشاهد اليوم فى حياة الامم التى تحكم بغير ما أنزل الله .

أما الشريعة الاسلامية فقد بينت الاصول الكلية التى تقوم عليها حياة البشرية ولا سبيل الى الاخذ فيها بالرأى المجرد عن الدليل والمجتهدون فى الجزئيات المتجددة يستندون فى اجتهادهم الى هذه الاصول الكلية أو الى الادلة الجزئية الاخرى :

(ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه) (١) والنبى صلى الله عليه وسلم مع عصمته لا يتبع الا الوحى (ان أتبع الا مايوحى الىّ) (٢) وطاعته

---

(١) سورة يوسف من الآية ٤٠

(٢) سورة الاحقاف ٩

من طاعة الله :

(وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) (١) ولم يكن حكمه الا بما علم من الله : (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) (٢)

وانتزاع التشريع من أيدى البشر ورده الى الله ورسوله يضع لنا شريعة ربانية ثابتة المقياس لا يعتريها خلل ولا قصور .

ثانيا : تفقد القوانين الوضعية سلطتها على النفس البشرية لان سلطة العقوبة وحدها لا تكفى فى ردع المجرم ، ولذا فان واضعى القانون يعملون على ترضية الجماهير واقناعها بصلاحية النظم التى وضعوها حتى يمتثلوها ولكن الناس يدركون أنه لا سلطة للقوانين الوضعية الا اذا وقع المرء تحت طائلة المخالفة وضبط متلبسا بجريمته فيخشى العقوبة ويكون المجال فسيحا أمام الحيلة والدهاء ، وما شابه ذلك فلا يقف أمام وصول الناس الى أغراضهم السيئة من فساد فى الارض قانون مهما كان دقيقا .

أما الشريعة الاسلامية فانها تعتمد على وازع الضمير قبل وازع العقوبة فالمؤمنون بها يعتقدون أنها من الله وأن فى اتباعها الخير لهم دنيا وأخرى واذا تأتى لاحدهم أن يفلت من العقاب الدنيوى فلن يفلت من العقاب الاخروى ممن يعلم السر وأخفى وبذلك يقيم الاسلام من داخل النفس البشرية رقابة على تعاليمه بحيث يرعاها المسلم فى جوف الليل كما يرعاها فى وضح النهار (٣)

(انما أنا بشر وأنه يأتينى الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فاحسب أنه صدق فاقضى له بذلك فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها) . (٤)

---

(١) سورة النساء آية ٦٤ (٢) سورة النساء آية ١٠٥

(٣) الاسلام رسالة الاصلاح لمناع القطان ص ٦٢ - ٦٣

(٤) صحيح البخارى ج ٣ ص ١٧٢ طبعة دار مطابع الشعب

وفى نهاية هذا الباب أورد بعض شهادات رجال القانون غير المسلمين عن الشريعة الاسلامية الذين أتيح لهم الاطلاع على بعض كنوز هذه الشريعة وفقهها وفى هذه الشهادات عبرة وذكرى :

أ - فمن علماء العرب القانونيين : نرى الزعيم السياسى والعالم القانونى الاستاذ فارس الخورى يشيد بالشريعة الاسلامية فى مواقف عديدة ومن أقواله :

(أن محمدا أعظم عظماء العالم ولم يجد الدهر بعد بمثله والدين الذى جاء به أوفى الأديان وأتمها وأكملها وقد أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية ولم يستطع علماء القانون المنصفون الا الاعتراف بفضله وبأن مبادئه متفقة مع العقل مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية) . (١) .

ويقول الاستاذ محمد الفرحانى فى كتابه : " فارس الخورى وأيام لا تنسى " : قال لى فارس الخورى :

هذا هو ايمانى أنا مؤمن بالاسلام وبصلاحه لتنظيم أحوال المجتمع العربى وقوته فى الوقوف بوجه كل المبادئ والنظريات الاجنبية مهما بلغ من اعتداد القائمين عليها ... (٢) .

ويقول سليم باز : المسيحى اللبنانى :

" انى اعتقد بكل اطمئنان أن فى الفقه الاسلامى كل حاجات البشر من عقود ومعاملات وأقضية والتزامات وذلك ماثل فى الكتب المودعة بخزائن الكتب فى البلاد الاسلامية أو فى البلاد الاوربية ، فان ما فى هذه المكتبات من موسوعات الفقه الاسلامى انما هو ثمرة جهود الالوف من فحول العلماء وهى الشاهد الاكبر على أنه لا يوجد معنى من معانى الاحكام التى ينشد بها العدل

(١) هذا ديننا للاستاذ محمد الغزالى ص ٢٠٣

(٢) شريعة الاسلام ... ليوسف القرضاوى ص ٩٦ الطبعة الاولى

ولا حاجة من حاجات البشر فى التشريع الا تقدم لفقيه مسلم قول فيها" ٠(١)

٢ - ومن علماء الغرب المنصفين :

يقول الاستاذ "شبرل" عميد كلية الحقوق بجامعة فينا فى مؤتمر الحقوق سنة ١٩٢٧ م "أن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد (صلى الله عليه وسلم) اليها اذ أنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا ان يأتى بتشريع سنكون نحن الاوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا الى قمته بعد الفى سنة "٠(٢)

ويقول الفيلسوف المعروف "برنارد شو" :

(اننى دائما احترم الدين الاسلامى غاية الاحترام لما فيه من القوة والحيوية فهو وحده الدين الذى يظهر لى أنه يملك القوة المحولة ويتمشى مع مصلحة البشر فى كل زمان) ٠(٣) ٠

ويقول الدكتور "هوكنج" الامريكى فى كتابه روح السياسة العالمية :

(ان سبيل تقدم الدول الاسلامية ليس فى اتخاذ الأساليب المفترضة التى تدعى أن الدين ليس له أن يقول شيئا عن حياة الفرد اليومية أو عن القانون والنظم السياسية وانما يجب أن يجد المرء فى الدين مصدرا للنمو والتقدم ٠٠

قال : وأحيانا يتساءل البعض عما اذا كان نظام الاسلام يستطيع توليد أفكار جديدة واصدار أحكام مستقلة تتفق وما تتطلبه الحياة العصرية ؟

والجواب على هذه المسألة هو أن فى نظام الاسلام كل استعداد داخلى للنمو

---

(١) هذا ديننا لمحمد الغزالى ص ٢٠٣
(٢) المرجع السابق وانظر شريعة الاسلام ليوسف القرضاوى ص ٩٨
(٣) شريعة الاسلام ليوسف القرضاوى ص ٩٨ - ٩٩ ط ١

وأما من حيث قابليته للتطور فهو يفضل كثيرا من النظم والشرائع المماثلة ، والصعوبة لا تنشأ من انعدام وسائل النمو والنهضة في الشرع الاسلامي وانما في انعدام الميل الى استخدامه .

ويقول :

وانى أشعر انني على حق حين أقرر أن الشريعة الاسلامية تحتوى بوفرة على المبادئ اللازمة للنهوض" . (١)

٣ - شهادة المؤتمرات الدولية :

لم تقف الشهادة للشريعة الاسلامية بالصلاحية والخلود عند الافراد المنصفين بل تجاوز هذا النطاق الى دائرة المؤتمرات الدولية الخاصة بالتشريع والقانون المقارن .

أ - فقد انعقد في سنة ١٩٣٧م ١٣٥٦ هـ مؤتمر دولي للقانون المقارن في مدينة "لاهاى" وفي نهاية المؤتمر سجل قراره التاريخي وقد جاء فيه :

١ - اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام .

٢ - وانها حية قابلة للتطور .

٣ - وأنها شرع قائم بذاته ليس مأخوذا عن غيره . (٢)

ب - ثم انعقد في نفس المدينة مؤتمر المحامين الدولي سنة ١٩٤٨م واتخذ هذا المؤتمر - بناء على اقتراح من لجنة التشريع المقارن في المؤتمر وعطفا على ما كان قرره مؤتمر القانون المقارن السابق ذكره بشأن الشريعة الاسلامية - القرار التالي :

---

(١) شريعة الاسلام ... ليوسف القرضاوى ص ٩٨ ط ١

(٢) المصدر السابق ص ٩٩

(نظرا لما في التشريع الاسلامي من مرونة وما له من شأن هام يجب على جمعية المحامين الدولية أن تتبنى الدراسة المقارنة لهذا التشريع وتشجع عليها .)

جـ - وفي سنة ١٩٥٠م عقدت شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولي للحقوق المقارن مؤتمرا للبحث في الفقه الاسلامي في كلية الحقوق في جامعة باريس تحت اسم "أسبوع الفقه الاسلامي" .

وفي ختام المؤتمر وضع المؤتمرون بالاجماع هذا القرار :

" بناء على الفائدة المتحققة من المباحثات التي عرضت أثناء (اسبوع الفقه الاسلامي) وما جرى حولها من المناقشات التي تخلص منها بوضوح :

١ - أن مبادئ الفقه الاسلامي لها قيمة "حقوقية تشريعية" لا يمارى فيها.

٢ - أن اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ومن الاصول الحقوقية وهي مناط الاعجاب ، وبها يتمكن الفقه الاسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها .

بناء على ما تقدم يعلنون رغبتهم في أن يظل أسبوع الفقه الاسلامي يتابع أعماله سنة فسنة ويكلفون مكتب المؤتمر وضع قائمة بالموضوعات التي أظهرت المناقشات ضرورة جعلها أساسا للبحث في الدورة القادمة . (١)

---

(١) شريعة الاسلام ، يوسف القرضاوي ص ١٠٠ - ١٠١ ط ١ المكتب الاسلامي

البـــاب الرابـــع

ختم النبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلـــم

ويشتمل على :

مقد مـــة .

الفصل الاول :

أ - معنى الختم لغة .

معنى ختم النبوة بالنبوة المحمدية .

الفصل الثانى : أدلة ختم النبوة :

أ - من القرآن الكريم .

ب - من السنة المطهرة .

جـ - الاجماع .

د - شهادة التاريخ .

الفصل الثالث : الخارجون عن عقيدة ختم النبوة :

أ - حركات التنبوء القديمة .

ب - حركات التنبوء الحديثة :

١) البابية والرد عليها .

٢) البهائية والرد عليها .

٣) القاديانية والرد عليها .

المقدمة :

هذه هى الخصيصة الثالثة المميزة للرسالة المحمدية عن بقية الرسائل السماوية السابقة وتكاد هذه الخصيصة أن تكون هى النتيجة الطبيعية للخصيصتين السابقتين العالمية والصلاحية فان كون الرسالة المحمدية على هذه الصفة من دعوتها للعالم كله ومخاطبتها لجميع الناس وملاءمتها لهم مع اختلاف طباعهم وعاداتهم وتمشيها مع نموهم وتطورهم السريع وتقدمهم الحضارى والعلمى فى شتى مجالات الحياة وهى فى كل حال تؤدى واجبها لمعتنقيها على أتم وجه وأصحه وأوضحه وأظهر النتائج وأعظمها . ان كونها على هذه الحال يقتضى أن تكون هذه الرسالة هى الرسالة الخاتمة لسلسلة الرسالات المتتابعة فى العصور قبل الاسلام .

وهذه الخصيصة جاء بتأكيدها القرآن الكريم والاحاديث المشرفة ووقائع التاريخ المتتالية .

ولقد واجهت هذه الخصيصة محاولات عدوانية من أعداء الرسالة فى صور شتى كتأويل الصريح من الدلائل على ماتقتضيه أهواؤهم الدنيئة من ادعاءات للنبوة وفتح باب الكيد ضد هذه الرسالة ولكن الحق يبقى دائما كالطود الشامخ لا تؤثر فيه الريح مهما كانت قوتها ومصدرها ، فالنصوص لا تزال ولن تزال تعلن أن الرسالة المحمدية هى الرسالة الاخيرة التى ارتضاها الله لعباده وجعلها من أعظم النعم لهم : " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . " .

وان مرور الزمن كفيل باظهار حقيقة التنبوءات الضالة التى تنتشر هنا وهناك وستنكشف على حقيقتها كما انكشفت مثيلاتها من قبل .

وفى هذا الباب أبين مكانة هذه الخصيصة فى الرسالة المحمدية ثم أذكر بعض الذين خرجوا عن هذه الخصيصة وادعوا النبوة وأرد عليهم .

والله المستعان وهو نعم المعين .

الفصـــــل الاول

معنى الختم في اللغـــة :

الختم في اللغة له معان منها :

الطبع : يقول الفيروزابادي "ختمه" يختمه ختما وختاما طبعه .(١)

وقال الزجاج : ... معنى ختم في اللغة وطبع واحد وهو التغطية

على الشيء ،والاستيثاق منه لئلا يدخله شيء .(٢)

وقال الليث : ختم يختم اى طبع ،والخاتم : الفاعل ،والخاتم : ما

يوضع على الطينة ...(٣)

وقول الله جل وعز : (ختم الله على قلوبهم) البقرة ٧

وكقوله (طبع الله على قلوبهم) (٤) سورة محمد ١٣

وختم الزرع : ان أسقاه أول سقية ،وقد ختموا على زرعهم : اى سقوه وهو كراب بعد

قال الطائفي : والختام ان تثار الارض بالبذر حتى يصير البذر تحتها

ثم يسقونها يقولون : ختموا عليه (٥) .

ويقال فلان ختم عليك بابه أي أعرض عنك .

وختم فلان لك بابه اذا آثرك على غيرك .(٦)

---

(١) القاموس المحيط للفيروزابادي ج ٤ ص ١٠٣ ط ٢
(٢) تهذيب اللغة للازهري ج ٧ ص ٣١٤
(٣) تهذيب اللغة للازهري ج ٧ ص ٣١٣
(٤) تهذيب اللغة للازهري ج ٧ ص ٣١٣
(٥) تهذيب اللغة للازهري ج ٧ ص ٣١٣
(٦) تهذيب اللغة للازهري ج ٧ ص ٣١٦

آخر الشيء ونهايته :

يقال ختم الشيء ختما بلغ آخره (١) .

وختام الوادي : أقصاه .

وخاتمة السورة : آخرها .

وختم القرآن بلغ آخره .

واختتم الشيء نقيض افتتحه (٢) .

وقوله عز وجل : " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " (٣)

معناه آخر النبيين ومن أسمائه (العاقب " أيضا معناه آخر الانبياء (٤)

وكل هذه المعاني التي يعبر عنها بالفعل " ختم " فيها معنى الاخروية والانتهاء من الشيء الذي يعبر عنه بهذا اللفظ .

واسم الفاعل من "ختم" خاتم ويصح فيه فتح " التاء " وكسرها والكسر أشهر ويأتي اسم الفاعل لثلاثة معان :

١ - الآلة التي يتختم بها بوضعها في الاصبع .

٢ - الطابع : قال ابن منظور : والخاتم - بالفتح - ما يوضع على الطينة وهو اسم مثل العالم بفتح اللام (٥) والختام الطين الذي يختم به (٦)

٣ - عاقبة الشيء وآخرته :

يقول الفيروزابادي : والخاتم من كل شيء عاقبته وآخرته كخاتمته وآخر القوم كالخاتم - ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء عليهم الصلاة والسلام (٧)

---

(١) القاموس المحيط للفيروزابادي ج ٤ ص ١٠٣ ط ٢

(٢) انظر مختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي ص ١٦٩ ط ١٣٩٠

(٣) سورة الاحزاب آية ٤٠ (٤) تهذيب اللغة للأزهري ج ٧ ص ٣١٣

(٥) لسان العرب لابن منظور ج ١٢ ص ١٦٣

(٦) مختار الصحاح للرازي ١٦٩ ط ١٣٩٠ هـ

(٧) القاموس المحيط للفيروزابادي ج ٤ ص ١٠٤ ط ٢

معنى ختم النبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم :

معنى ذلك : هو انقطاع حدوث وصف النبوة فى أحد من الثقليـــن بعد تحليه عليه الصلاة والسلام بها .

وقد سماه الله تبارك وتعالى بهذا الاسم فى قوله تعالى " ... ولكن رسول الله وخاتم النبيين " اذ لم يكن فى اللغة العربية - على سعتها - كلمة أدل علـــى مفهوم الانتهاء والاكمال من كلمة " الخاتم " ولهذا عبر بها القرآن الكريم فى بيان ان محمدا صلى الله عليه وسلم آخر النبيين وقد علمنا فى أول هذه الرسالة أن النبى أعم من الرسول فيلزم من كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين كونه خاتم المرسلين اذ النبوة موجودة فى الرسول لكون كل رسول نبى وليس كل نبى رسول فلا يتصور رسالة بدون نبوة فلما امتنع بنص القرآن الكريم مجىء نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم امتنع مجىء رسول بعده صلى الله عليه وسلم .

الفصـــل الثانـــى

أدلة ختم النبوة بنبوة محمـد صلى الله عليه وسلـــم

أ - الأدلة من القرآن الكريم :

يستطيع المتتبع لآى القرآن الكريم والمتمعن فيه استنباط أساليـب وطرق عدة للاستدلال على ختم النبوات بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم . (١)

وسأقتصر منها على ثلاثة أساليب :

الأسلوب الأول :

التصريح بكون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وتمثله الآية الكريمة " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان اللـه بكل شيء عليما " . (٢)

فهذه الآية الكريمة صريحة فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين . وقد اختلف القراء فى قراءة قوله تعالى " وخاتم النبيين " على قولين :

فقرأ الجمهور (خاتم) - بكسر التاء - والمعنى على هذه القراءة أنه ختم النبيين أى جاء آخرهم فلا نبى بعده .

وقرأ البعض (خاتم) - بفتح التاء والمعنى على هذا :

أ - قال الشوكانى : ان المعنى على هذه القراءة :

(انه صار كالخاتم لهم الذى يتختمون به ويتزينون بكونه منهم) (٣) .

---

(١) انظر النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم لابى الحسن الندوى ص ٨ ط ١
(٢) سورة الاحزاب آية ٤٠
(٣) فتح القدير محمد بن على الشوكانى ج ٤ ص ٢٨٥ ط ٢ ١٣٨٣ هـ

ب - وقيل فتح التاء وكسرها لغتان على معنى قراءة الجمهور .

والراجح : ما ذهب اليه الجمهور وذلك :

لانه وردت بهذا المعنى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه حيث قرأ :

" ولكن نبيا ختم النبيين " (١)

ولانه المشهور من لغة العرب .

ثم ان الاحاديث الكثيرة الواردة فى ختم النبوة تؤيد هذا المعنى وتقتضيه كما سنرى فيما بعد .

وأما ما ذهب اليه الشوكانى رحمه الله فى تأويله لقراءة الفتح فهو تأويل تفرد به عن بقية المفسرين حيث لم يقل بهذا القول أحد منهم فيما تتبعت من التفاسير المشهورة فى تفسيرهم للآية الكريمة وحتى لو قال أحد منهم ذلك فهو تأويل بعيد لا يصح تفسير " الخاتم " فى الآية الكريمة به لعدم وفاء بالمعنى الحقيقى الذى قال به جمهور المفسرين (٢) وعلماء اللغة من أن معناه (آخر النبيين) وحمل عليه رواية الفتح (خاتم) على أنه لغة فيه لا يختلف معه المعنى .

الأسلوب الثانى :

ما جاء فى وصف رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بوصف صريح واضح بأن هذا الدين قد بلغ طوره الاخير من الكمال والوفاء بحاجات البشر والصلاحية للبقاء والاستمرار فقال تعالى :

---

(١) انظر روح المعانى للالوسى ج ٢٢ ص ٣٤ طبعة بيروت وجامع البيان للطبرى ج ٢٢ ص ١٦

(٢) انظر القاديانية دراسات وتحليل للاستاذ احسان الهى ظهير ص ٢٧٢ ط ٣ فقد أورد نصوص بعض التفاسير لمعنى آية الختم

"اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا" (١)

وقد نزلت هذه الآية الكريمة يوم عرفة في حجة الوداع سنة عشر للهجرة روى البخاري رحمه الله في صحيحه أنه (قالت اليهود لعمر انكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدا فقال عمر : اني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت : يوم عرفة وانا والله بعرفة قال سفيان وأشك كان يوم الجمعة أم لا : اليوم أكملت لكم دينكم) (٢) .
ولم ينزل بعدها كما تقول أكثر الآثار حلال ولا حرام (٣) ولم يعش الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هذا اليوم الا واحداً وثمانين يوما (٤) .

وقد فهم كبار الصحابة رضوان الله عليهم عند نزول هذه الآية قرب مفارقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحوقه بالرفيق الأعلى فقد بلغ رسالة الله وكمل الدين وتمت نعمة الله على عباده وبكى كثير منهم وقيل لعمر ما يبكيك ؟ قال : ما بعد الكمال الا النقصان والنقص هو وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا .
أما اليهود الذين كانوا على شيء من العلم بتاريخ الرسالات فقد فهموا عند علمهم بهذه الآية أنها كرامة خص بها المسلمون ومفخرة لهذا الدين لا يشاركه فيها دين آخر ورأوا أن اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية جدير بأن يخلد ويحتفل به على مر العصور كما يفهم ذلك من رواية البخاري السابقة .

---

(١) سورة المائدة آية ٣
(٢) صحيح البخاري محمد بن اسماعيل البخاري ج ٦ ص ٦٣ تفسير سورة المائدة مطابع الشعب
(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٣
(٤) انظر بحث آخر ما نزل من القرآن على الاطلاق في كتاب : مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني المجلد الاول ص ٨٩ - ٩٥

ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع وقال :

" أيها الناس انه لا نبي بعدى ولا أمة بعدكم ألا فاعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم وأطيعوا ولاة أمركم تدخلوا جنة ربكم ..." (١) .

وهذه الآية الكريمة فيها دلالة واضحة على ختم الرسالات والنبوات ، قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية :

(هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الامة حيث اكمل تعالى لهم دينهم فلايحتاجون الى دين غيره ولا الى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليهم ولهذا جعله الله تعالى خاتم الانبياء وبعثه الى الانس والجن فلا حلال الا ما أحله ولا حرام الا ما حرمه ولا دين الا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف كما قال تعالى "وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا" اى صدقا في الاخبار وعدلا في الاوامر والنواهي فلما اكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة ولهذا قال تعالى :

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا " اى فارضوه أنتم لانفسكم فانه الدين الذى أحبه الله ورضيه وبعث به أفضل الرسل الكرام وأنزل به اشرف كتبه .

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله : " اليوم أكملت لكم دينكم ..." وهو الاسلام أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الايمان فلا يحتاجون الى زيادة أبدا وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدا وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدا (٢) .

---

(١) انظر كنز العمال ج ٥ ص ٢٩٥ طبعة حلب وانظر مجمع الزوائد للهيثمي ج ٨ ص ٢٦٣

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ١٢

ونقل الامام فخرالدين الرازى عن القفال : (.. أن الدين ما كان ناقصا البتة بل كان أبدا كاملا كانت الشرائع النازلة من عند الله كافية فى ذلك الوقت الا أنه تعالى كان عالما فى أول وقت البعثة بأن ما هو كامل فى هذا اليوم ليس بكامل فى الغد ... وأما فى آخر زمان البعثة فأنزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع أبدا كان كاملا الا أن الاول كمال الى يوم مخصوص والثانى كمال الى يوم القيامة فلأجل هذا المعنى قال (اليوم أكملت لكم دينكم) ثم قال تعالى (وأتممت عليكم نعمتى) يعنى باكمال الدين والشريعة لانه لا نعمة أتم من الاسلام (ورضيت لكم الاسلام دينا) يعنى واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان ... وانما قال تعالى : (ورضيت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الآية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الآية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال الى حال وينقلهم من مرتبة الى مرتبة أعلى منها حتى أكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه ثم أنزل عليهم هذه الآية : (ورضيت لكم الاسلام دينا) يعنى بالصفة التى هو اليوم بها وهى نهاية الكمال وأنتم الآن عليه فالزموه ولا تفارقوه" (١) .

الأسلوب الثالث :

حفظ الله لكتابه دليل ختم الرسالة المحمدية للرسالات السماوية :

استنبط العلماء ثلاثة اسباب من أجلها يبعث الله الرسل وينزل الكتب وهى :

١ - أن يكون تعليم النبى المتقدم غير كامل فهو بحاجة الى اتمامه .

٢ - أن يكون تعليم النبى المتقدم منحصرا فى أمة خاصة وتكون أمة أخرى أو سائر الامم بحاجة الى نبى مرسل مثله . (٢)

---

(١) تفسير الخازن على بن محمد البغدادى الشهير بالخازن ج ٢ ص ١٠ ط ٢

(٢) انظر مبادىء الاسلام لابى الاعلى المودودى ص ٦٦ ط ١٣٩٥ هـ

٣ - أن تكون تعاليم الرسول المتقدم قد انمحت وظهرت الحاجة الى عرضها على الناس مرة أخرى.

ولو عرضنا هذه الاسباب على الرسالة المحمدية لرأينا انه لم يتحقق شيء من هذه الاسباب ولا ينطبق منها شيء على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. وقد رأينا في البابين السابقين أن :

- تعاليم النبي كاملة تامة مستقضية لجميع مستلزمات الحياة عقدية وتشريعية صالحة لكل زمان ومكان .
- وأن الرسالة المحمدية حق مشاع لانواع الجنس البشري فلا اختصاص لها بقوم ولا طائفة ولا جنس.

ويبقى أن نعرف هنا هل تحقق السبب الثالث على ضوء ما جاء في الرسالة المحمدية ، فأقول ومن الله العون والتوفيق .

ان من الخصائص التي خص الله تعالى بها هذه الرسالة الخاتمة أنه وعد بحفظها فلا يدخلها داء الرسالات السابقة من التحريف والضياع :
قال الله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون" (١)
وقال تعالى : " وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد" (٢) .
فحفظ نصوص القرآن الكريم وحياطته من التبديل والتحريف هو ما تولاه الله تعالى عن المسلمين ليصرفوا عنايتهم وجهدهم للنظر فيه وتدبر آياته .
(ومن الواضح ما في التعهد الالهي بحفظ القرآن وما في هذا الحفظ الفعلي له من التحريف والضياع من دلالة على أن الاسلام هو خاتمة الاديان والا فأي

---

(١) سورة الحجر آية ٩
(٢) سورة السجدة ٤١ - ٤٢

معنى للتعهد الالهى بالحفظ الابدى لرسالة عامة اذا كان من المقدر أن توجد معها أوتخلفها رسالة أخرى على يد نبى جديد ...) (١)

يقول الخازن فى تفسيره لقوله تعالى (وانا له لحافظون) :

الضمير فى " له" يرجع الى الذكر يعنى : وانا للذكر الذى أنزلناه على محمد لحافظون يعنى من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والانس أن يزيد فيه أوينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة ... (٢) .

ونتيجة لهذا الوعد المؤكد من الله تعالى بحفظ كتابه العزيز فقد سخر الله له من عباده البررة الصالحين من صحابة رسوله الامين من حفظه عن ظهر قلب كما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزايد عدد الحفاظ لهذا الكتاب وكان الى جانب حفظه فى الصدور حفظه بالكتابة فكان يقوم كتاب الوحى بكتابة القرآن الكريم على ارشاد من الرسول صلى الله عليه وسلم وانما كانوا يكتبونه زيادة للتوثيق والاحتياط . (٣) .

وانتقل الرسول الكريم الى جوار ربه وقد حفظ القرآن الكريم كاملا فى الصدور مرتبا حفظه على هذا النمط الذى نراه اليوم بالمصاحف حيث انعقد اجماع الامة على أن ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا النمط الذى نراه اليوم بالمصاحف كان بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى وأنه لا مجال للرأى والاجتهاد فيه والجمع الذى كان على عهد ابى بكر لم يتجاوز نقل القرآن من

---

(١) عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية للدكتور عثمان عبد المنعم ص ٢٠ ط ١
(٢) تفسير الخازن .. على بن محمد الشهير بالخازن ج ٤ ص ٥٧ ط ٢
(٣) انظر مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى ج ١ ص ٢٨٥

العسب واللخاف وغيرها في صحف .

والجمع الذي كان على عهد عثمان رضي الله عنه لم يتجاوز نقله من الصحف في مصاحف وكلا هذين الجمعين كان وفق الترتيب المحفوظ المستفيض عن النبي صلى الله عليه وسلم وانعقد الاجماع على ذلك تاما لا ريب فيه وممن حكى هذا الاجماع ... الزركشي في البرهان وأبوجعفر في المناسبات (١) .

ثم لو تتبعنا أحداث التاريخ وملابساته والأحوال التي مر بها القرآن الكريم منذ جمعه الى اليوم لرأينا أنه ما كان يمكن أن تتركه هذه الاحداث والاحوال مصونا محفوظا لا تتبدل فيه كلمة ولا تحرف فيه كلمة لولا قدرة خارجة عن ارادة البشر تحفظ هذا الكتاب من التغيير والتبديل وتصونه من العبث والتزييف .

يقول الاستاذ سيد قطب :

(لقد جاء على هذا القرآن زمان في أيام الفتن الاولى كثرت فيه الفرق وكثر فيه النزاع وطمت فيه الفتن وتماوجت فيه الاحداث وراحت كل فرقة تبحث لها عن سند في هذا القرآن وفي حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم ...

ولقد أدخلت هذه الفرق على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احتاج الى جهد عشرات العلماء الاتقياء الاذكياء عشرات من السنين لتحرير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغربلتها وتنقيتها من كل دخيل عليها من كيد أولئك الكائدين لهذا الدين ، كما استطاعت هذه الفرق في تلك الفتن أن تؤول معاني النصوص القرآنية وان تحاول أن تلوى هذه النصوص لتشهد لها بما تريد تقريره من الاحكام والاتجاهات ولكنها عجزت جميعا وفي أشد أوقات الفتن حلوكة واضطرابا ان تحدث حدثا واحدا في نصوص هذا الكتاب المحفوظ وبقيت

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج ١ ص ٢٤٠

نصوصه كما انزلها الله حجة باقية على كل محرف وكل مؤول وحجة باقية كذلك على ربانية هذا الذكر المحفوظ .

ثم جاء على المسلمين زمان - ما نزال نعانيه - ضعفوا فيه عن حماية أنفسهم وعن حماية عقيدتهم وعن حماية نظامهم وعن حماية أرضهم وعن حماية أعراضهم وأموالهم واخلاقهم وحتى عن حماية عقولهم وادراكهم ... ولكن اعداء هذا الدين - بعد هذا كله - لم يستطيعوا تبديل نصوص هذا الكتاب ولا تحريفها ولم يكونوا فى هذا من الزاهدين فلقد كانوا أحرص الناس على بلوغ هذا الهدف لو كان يبلغ وعلى نيل هذه الامنية لو كانت تنال ...)(١) .

هل تكفل الله بحفظ الكتب السابقة ؟

لم يتكفل الله تعالى بحفظ الكتب السماوية السابقة ولا ببقائها كما تكفل بحفظ القرآن الكريم وبقائه بل اسند أمر ذلك الى رسله الذين حملوها ثم حمل الى أتباعهم حفظ ما حفظهم الرسول اياه دون أن يجوز لهم التغيير أو التعديل أو التبديل قال الله تعالى :

(انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء" (٢) .

أي بما طلب اليهم حفظه .

والسر فى كون القرآن الكريم وحده من بين الكتب السماوية تعهد الله بحفظه دون تلك الكتب ان سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد ، وأما القرآن الكريم فجيء به مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها فكان جامعا

---

(١) فى ظلال القرآن سيد قطب ج ١٤ ص ٢١٢٨ ط ٣ دار الشروق

(٢) المائدة ٤٤

لما فيهما من الحقائق الثابتة زائدا عليها بما شاء الله زيادته وكان سادا مسدهما ، ولم يكن شيء منهما ليسد مسده فقضى الله أن يبقى حجة الى قيام الساعة ، واذا قضى الله أمرا يسر له أسبابه وهو الحكيم العليم (١) .

وقد ذم الله تعالى فى القرآن الكريم اولئك الذين استحفظوا الكتب فلم يحفظوها وأوجدوا فيها من التحريف والتبديل والضياع الشيء الكثير قال تعالى :

" فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين" (٢) .

والتاريخ يذكر أن صحف العهد القديم استهدفت للتلف والاحراق والابادة بصورة واضحة ثلاث مرات فى التاريخ :

المرة الاولى : حين زحف بختنصر ملك بابل على اليهود سنة ٥٨٦ ق.م وأشعل النيران فى بيت المقدس الذى حفظ فيه النبى سليمان عليه السلام الواح التوراة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون وأخذ من سلم من القتل من اليهود أسيرا الى بابل حيث مكثوا فيه خمسين سنة وقد أعاد (عزرا) الصحف الخمس الاول التى تسمى "توراة" بحفظه وقيد الحوادث فى أسلوب تاريخى ثم ضم اليها "نحميا" السلسلة الثانية من الكتب مضيفا اليها زبور داود . (٣)

---

(١) النبأ العظيم للدكتور محمد عبدالله دراز ص ١٣ - ١٤ ط ٢

(٢) المائدة ١٣

(٣) انظر مقارنة الاديان لاحمد شلبى "اليهودية" ص٢٥٤ ، واظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى ج ١ ص ٥٨ وانظرالنبى الخاتم لابى الحسن الندوى ص ٢٣

والمرة الثانية : حين كر " انطيوخوس " الرابع الملقب : ابيفانس ملك انطاكية اليونانى على بيت المقدس سنة ١٦٨ ق.م وأحرق الصحف المقدسة ومنع من تلاوة التوراة وممارسة الشعائر اليهودية رسميا ونشط يهودا المكابى فى جمع الصحف المقدسة وترتيبها وضم اليها السلسلة الثالثة من صحف العهد القديم .

والمرة الثالثة : حين هجم تيطس الامبراطور الرومانى على بيت المقدس سنة ٧٠م ودمره بما فيه من هيكل سليمان وحوله الى انقاض وخرائب واستولى على الصحف المقدسة ونقلها الى بلاطه فى روما تذكارا للفتح وأجلى اليهود من القدس (١) .

ومن هذه الوقائع التاريخية وغيرها مما يتعذر علىّ استقصاءه هنا يتضح لنا أن أسفار العهد القديم كتبت متأخرة وكتابها ليسوا هم الذين اسندت لهم هذه الاسفار (٢) وان الوحى ليس مصدرا لهذه الاسفار وانما كتبت لتحقيق المقاصد التى كانوا يهدفون اليها من تبرئة بنى اسرائيل من العيوب وتلويث غيرهم من الشعوب (٣) .

وكتاب اليهودية اليوم يصرحون بأنه دخل فى كتبهم التحريف والتعديل :

فقد جاء فى مختصر دائرة المعارف اليهودية ما يلى :

" ان الأخبار اليهودية وان كانت تلح على أن صحف العهد القديم من تأليف " الابطال " أو الشخصيات التى تتحدث عنها هذه الصحف فذلك لا يبعد عن

---

(١) راجع النبى الخاتم لابى الحسن الندوى ص ٢٣

(٢) راجع : اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى ج ١ ص ٥٧ فقد بين أنه لا سند لكون هذه التوراة المنسوبة الى موسى عليه السلام من تصنيفاته واستدل على ذلك بأمور .

(٣) مقارنة الاديان احمد شلبى " اليهودية " ص ٢٦٠

الصواب ولكنهم لا يتحرجون فى الاقرار بأن بعض هذه الصحف تناولها التعديل والزيادة فى العهود المتأخرة" .

وجاء فى دائرة المعارف اليهودية ما معناه :

" ان الكتب الخمسة الاولى من الكتاب المقدس " العهد القديم " كما تقول الاخبار اليهودية القديمة من تأليف النبى موسى باستثناء ثمان آيات أخيرة جاء فيها الحديث عن موت موسى ومازال الربيون يعنون بتناقضات واختلافات وردت فى هذه الصحف وما زالوا يصلحونها بحكمتهم ولباقتهم " (١) .

التحريف فى كتب العهد الجديد :

واذا ألقينا نظرة على كتب العهد الجديد وأولها الاناجيل والمعتبر عند النصارى منها أربعة هى : انجيل متى وانجيل مرقس وانجيل لوقا وانجيل يوحنا . رأيناها هى الأخرى لا تنسب الى النبى عيسى عليه السلام ولم تنزل عليه هو بوحى أوحى اليه ولكنها كتبت من بعده وهذه الاناجيل اختارتها الكنيسة عندما كثرت الاناجيل كثرة عظيمة فأرادت الكنيسة ان تحافظ على الاناجيل الصادقة - فى اعتقادها - فاختارت هذه الاناجيل الاربعة من الاناجيل الرائجة ابان ذلك .

وهذه الاناجيل الاربعة لم يكن واحد منها موجوداً فى عهد عيسى عليه السلام بالاتفاق (٢) .

ويذكر بعض المؤرخين أنه لم توجد عبارة تشير الى وجودها قبل آخر القرن الثاني وأول من ذكرها " اريثيوس " فى سنة ٢٠٩ م (٣) .

---

(١) النبى الخاتم لابى الحسن الندوى ص ٢٤ - ٢٥ ط ١
(٢) انظر محاضرات فى النصرانية محمد أبو زهره ص ٥٦
(٣) انظر محاضرات فى النصرانية محمد أبوزهرة ص ٤٠

ولا يقول النصارى أنفسهم بأن هذه الاناجيل تنسب الى المسيح عليه السلام نفسه حتى ننظر فى قوة نسبتها اليه .

ويتضح لنا أن الانجيل الحقيقى الذى أنزل على عيسى عليه السلام غير موجـــود ولا يصح أن يقال مع ذلك ان واحدا من هذه الاناجيل هو انجيل عيسى عليه السلام اذ كل الاناجيل الموجودة تنسب الى موءلفها فلا ينصرف الى واحد منها كلمة انجيل من غير نسبة الى صاحبه .

يقـــــول الاستاذ أبوزهرة :

" وقد وجد من موءرخى المسيحية الاحرار الذين لم يقيدهم فى بحثهم الا العلم والحقائق التاريخية من يصرحون بأنه كانت فى القرن الاول رسالة تعتبر اصلا لهذه الاناجيل فيها ماجاء به المسيح وخلاصة أحواله وهذا ترجمة لما قاله فى كتاب له : قال " اكهارن " فى كتابه :

" انه كان فى ابتداء الملة المسيحية فى بيان أحوال المسيح رسالة مختصـــرة يجوز ان يقال هى الانجيل الاصلى والغالب ان هذا الانجيل كان للمريديـــن الذين كانوا لم يسمعوا اقوال المسيح بآذانهم ولم يروا أحواله بأعينهم وكان هذا الانجيل بمنزلة القلب ....." (١) .

ومن هنا يتضح لنا أن الانجيل الذى نزل على عيسى عليه السلام مفقـــود لم يحفظ وحاشا أن يكون فيه هذا الخلط العقائدى الذى تغص به الاناجيـــل والتى تتعارض مع فطرة التوحيد والملة الحنيفية التى جاء بها جميع الأنبياء عليهم السلام .

ان هذه الاناجيل تقول ببدعة الصلب والتثليث وغيرهما من البدع التى لا يصـــح

---

(١) محاضرات فى النصرانية .. محمد ابوزهرة ص٥٦ - ٥٧ ط ٣

نسبته الى رسول الله عيسى عليه السلام .

ولا يزالون رغم ما وصلت اليه البحوث العلمية المحايدة من تجلية للموقف ، وبيان للحقيقة مايزالون يواصلون تحركاتهم ويجأرون على الله بهذه الدعاوى الكاذبة فى ميدان التبشير ليبشروا عقيدة التثليث وغيرها من العقائد التى لا تقبلها العقول السليمة ولا الفطرة الصافية التى فطر الله الناس عليها .

وأنقل هنا خبرا عن مجلة " بلانيتا " التى تصدر فى سان باولو باللغة البرتغالية والتى تهتم بالتحقيقات العلمية ومعرفة الآثار ورغم أن جميع المسئولين فيها من النصارى تقول فى عددها رقم ٨٦ الصادر فى شباط فى الصفحة ٩٢ مايأتى :

اكتشف احد الرعاة عام ١٩٤٧م فى احدى مقابير الاردن بعض الجرار الطويلة العنق وبداخلها بعض المخطوطات الملفات المخطوطة والتى يعود تاريخ بعضها لما قبل المسيح والبعض الاخر لما بعده وتم لعلماء الآثار استلامها ودراسة فحواها الا أن هذه الملفات التى عرفت فيما بعد - بملفات البحر الميت - قد أدت ثورة فكرية فى تعاليم الاناجيل وخاصة فيما يتعلق بالعهد الجديد وقد قامت لجنة من الاختصاصيين بدراسة هذه الملفات يتقدمهم العالم الشهير (جون ماركو اليكرو) الذى أخذ يعتقد من خلال ما اكتشفه فى هذه المخطوطات أن المسيح عليه السلام لم يمت مصلوبا - واضافت المقالة ايضا : ان هذه الملفات لم ينشر جميع فحواها بعد لان ماثبت فيها يشكل خطرا على الديانة المسيحية ... ثم تنهى مقالها : ان هذه الملفات تثبت براءة المسيح من عقيدة الصلب لان عقيدة الصليب والتثليث جاءت متأخرة جدا بعد المسيح . (١)

---

(١) مجلة الدعوة الصادرة فى الرياض العدد ٦٤٩ بتاريخ ٢٤/٥/٩٨ هـ ص ٣٥ .

ومن هذا كله يتضح لنا أمران :

الاول : أن الله تعالى قد اختص هذه الرسالة بأن تولى سبحانه حفظها بحفظ كتابه حتى لا يدخلها ما دخل الكتب السابقة من الضياع والتحريف عندما اسند أمر حفظها لمن أرسل بها ولأتباعهم من بعدهم .

الثاني : انه سبحانه عندما تولى حفظها وجعلها كاملة وتامة بحيث لا يحتاج عباده الى سواها جعلها خاتمة الرسالات فلن يبعث الله بعدها رسولا الى أن تقوم الساعة .

. . . .

ب ـ الادلة من السنة المطهرة :

الادلة على ختم النبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من السنة المطهرة أدلة كثيرة قال عنها بعض علماء الحديث انها نحو مائتي حديث متواترة (١) .
وقال ابن كثير رحمه الله عن أحاديث الختم ما نصه :
(وبذلك وردت الاحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم) ... ثم قال بعد سرد عدد من الاحاديث : والاحاديث فى هذا كثيرة فمن رحمة الله تعالى بالعباد ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم ثم من تشريفه لهم ختم الانبياء والمرسلين به واكمال الدين الحنيف له وقد اخبر الله تبارك وتعالى فى كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم فى السنة المتواترة عنه انه لا نبى بعده ليعلموا ان كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب افاك دجال ضال مضل ..."(٢) .
ويعنون رحمهم الله بتواتر أحاديث الختم تواترها من حيث المعنى لا من حيث اللفظ اذ كثرة الطرق والاسانيد لهذه الاحاديث وتعدد طرقها والفاظها واتفاقها فى معنى أن النبى خاتم الانبياء يفيد العلم اليقينى بأن محمدا خاتم الانبياء

---

(١) راجع هامش ص ٣٢ من كتاب النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم لابى الحسن الندوى ط ١

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٤٩٣ و ٤٩٤

يفيد العلم اليقيني بأن محمدا خاتم الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين .

وسأذكر هنا أمثلة من أصح الاحاديث الواردة في ذلك :

الحديث الاول :

روى البخاري رحمه الله قال :

حدثنا محمد بن سنان حدثنا سليم حدثنا سعيد بن ميناء عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :
" مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة " .

روى ايضا قال :

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا اسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
ان مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) (١) .

ورواية مسلم للحديث قال :

حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا سليم بن حيان حدثنا سعيد بن ميناء عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فأتمها وأكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء .

وحدثنيه محمد بن حاتم حدثنا ابن مهدي حدثنا سليم بهذا الاسناد مثله

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٢٥ و ٢٢٦ طبعة دار مطابع الشعب

وقال يدل أتمها : أحسنها .

وروى أيضا قال :

حدثنا يحيى بن ايوب وقتيبة وابن حجر قالوا حدثنا اسماعيل" يعنون ابن جعفر" عن عبد الله بن دينار عن ابى صالح السمان عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون بـه ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال : فأنا اللبنة وأنا خاتـم النبيين " (١) .

وفى هذا الحديث عن البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى بيان أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وبه كملت سلسلة الانبياء وبه كملت شرائع الدين .

وفى هذا الحديث ضرب صلى الله عليه وسلم مثلا للتقريب والافهام .

- فقيل ان التشبيه فى هذا المثل من قبيل تشبيه المفرد بالمفرد حيث جعـل الانبياء كلهم كواحد فيما قصد من التشبيه وهو أن المقصود من تعيينهم ما تم الا باعتبار الكل فكذلك الدار لم يتم الا بجميع اللبنات .

- وقيل ان التشبيه هنا تشبيه تمثيلى شبه الانبياء وما بعثوا به من ارشـاد الناس الى مكارم الاخلاق بدار أسس قواعده ورفع بنيانه وبقى موضع لبنـة فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعث لتتميم مكارم الاخلاق كأنه هو تلـك اللبنة التى بها اصلاح ما بقى من الدار) (٢)

ويلاحظ من هذا التمثيل الرائع ان شرائع الانبياء كانت مكملة محسنة اذ نقصان

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى تحقيق عبد الله احمد مجلد ٥ ص ١٤٨ طبعة دار مطابع الشعب

(٢) انظر عمدة القارىء شرح صحيح البخارى للعينى ج ١٦ ص ٩٨ مطابع اوفست كرنرفرافير

لبنة واحدة لا يستلزم نقصانها والنقصان فى الدار يكون بفقد جزء من البنيان فالنظر هنا الى الأكمل فرسالة محمد صلى الله عليه وسلم أكمل الرسالات ورسائل الانبياء السابقين ايضا كاملة اذ كل شريعة الى نبيها بالنسبة اليه كاملة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم الى جميع الرسالات أكملها .

الحديث الثاني :

روى البخاري رحمه الله :

عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لى خمسة اسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب . (١)

ورواه مسلم وزاد : وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد (٢) .

وختم الامام مالك كتابه الموطأ بهذا الحديث .

وروى ابن وهب عن مالك قال : معنى العاقب : ختم الله به الانبياء وختم بمسجده هذا المساجد يعنى مساجد الانبياء . (٣)

الحديث الثالث :

روى مسلم رحمه الله تعالى (٤) :

" .. عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضلت على الانبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٢٥ مطابع الشعب
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى مجد ٥ ص ١٠٢ مطابع الشعب
(٣) الموطأ للامام مالك بن انس تصحيح وتخريج محمد فؤاد عبد الباقي مطابع الشعب
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى المجلد ٢ ص ١٥٦ مطابع الشعب

وجعلت لى الارض طهورا ومسجدا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بى النبيون .
ورواه احمد فى مسنده (١) .

الحديث الرابع :

روى البخارى رحمه الله تعالى عن مصعب بن سعد عن ابيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى تبوك واستخلف عليا فقال اتخلفنى فى الصبيان والنساء ؟ قال : ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبى بعدى" (٢) .

ورواه مسلم ايضا من طريق مصعب هذه ومن طريق سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن ابيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى : انت منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبى بعدى ، قال سعيد فأحببت أن اشافه بها سعدا فلقيت سعد فحدثته بما حدثنى عامر فقال :أنا سمعته فقلت: أنت سمعته ؟ فوضع اصبعيه على اذنيه فقال : نعم والا فاستكتا" (٣) .

وأكتفى بهذا القدر من الاحاديث التى وردت فى الصحيحين عن ذكر بقية الاحاديث الكثيرة التى وردت فى كتب السنة المطهرة والتى تصرح كلها بأن محمدا خاتم النبيين فلا نبى بعده ، وصلى الله على محمد وآله .

---

(١) مسند الامام احمد ج ٢ ص ٤١٢ تحقيق احمد محمد شاكر

(٢) صحيح البخارى ج ٦ ص ٣ ط دار مطابع الشعب

(٣) قوله (والا فاستكتا) بتشديد الكاف صمتا واصل السك ضيق الصماخ وهو ايضا صغر الاذنين .
صحيح مسلم بشرح النووى المجلد ٥ ص ٢٦٧ طبعة دار مطابع الشعب

ج - الاجماع على انقطاع النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم :

لقد ترتب على هذه النصوص من كتاب الله الكريم ومن سنة رسوله الامين محمد صلى الله عليه وسلم ترتب على ذلك اجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على انقطاع النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأنه لا نبي بعده ، وحملوا جميع النصوص التي وردت في ذلك على ظاهرها دون تأويل ولا تخصيص (١) ولذلك اتفقت كلمتهم من آخرهم على قتال مسيلمة الكذاب والحكم بكفره وردته وسقط في ذلك عدد غير يسير من المسلمين بين قتيل وجريح وذلك لزعمه أنه نبي وقد قتله وحشي قاتل حمزة في موقعة اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم .

وكذلك كان موقفهم من العنسي الذي ادعى النبوة أنكروا عليه ذلك ودخل عليه فيروز الصحابي الديلمي بصنعاء فقتله (٢) .

ثم ان العلماء من الفقهاء والمحدثين والمفسرين على مدى العصور المختلفة وفي جميع الاقطار الاسلامية قد آمنوا بختام النبوة وانقطاع الرسالة بعد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته ولم يرو التاريخ ان أحدا قال بخلاف ذلك أو شك فيه . يقول الاستاذ أبوالحسن الندوي في كتابه النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم :

ثم أجمع المسلمون في كل عصر على انقطاع النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأن كل من يدعيها مارق من الدين متبع غير سبيل المؤمنين واستفاضت هذه العقيدة في العالم الاسلامي كله وأصبحت جزءا من عقائد المسلمين التي يدينون بها ويعضون عليها بالنواجذ وتتوارثها الاجيال بعد الأجيال حتى

---

(١) انظر كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للعلامة القاضي عياض ج ٢ ص ٢٨٥

(٢) انظر عمدة القارئ شرح صحيح البخاري محمد احمد العيني ج ١٦ ص ١٥٢ وانظر الجواب الصحيح لابن تيمية ج ٤ ص ٢٩٩

أصبحت عقول المسلمين وطبيعتهم لا تسيغ ادعاء النبوة ولا تحتمله ، ولذلك
قل عدد المتنبئين في المجتمع الاسلامي بالنسبة الى اتساع العالم الاسلامي
وتفاوته في فهم الدين والتمسك به وبالنسبة الى عدد المسلمين الضخم ،
واضطراب الامور فيهم وبالقياس الى كثرة الدواعي الى هذه الادعاءات بالعكس
من الامم السابقة التي كثر فيها عدد المتنبئين مع ضيق رقعة الارض التي كانت
تسلكها وقلة عدد المتدينين الذين كانوا يدينون بهذه الديانات ...) (١)

---

(١) النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم لابي الحسن الندوي ص ٣٥ ط ١

د - شهادة التاريخ :

بعد هذا العرض لدلائل ختم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لسائر النبوات من القرآن الكريم والسنة المطهرة والاجماع والتى يكفى بعضهما لغرس هذه العقيدة فى القلوب والاطمئنان الى صدقها فاننا نلجأ الى التاريخ للفترة من بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى اليوم فاننا نجد فى هذه الصفحات الطويلة للتاريخ ما يقارب الألف وأربعمائة سنة دليلا قويا عمليا لتلك النصوص النظرية وهذا الدليل التاريخى كفيل لاسكات الذين يجرأون على تأويل هذه النصوص الى غير معناها الحقيقى أو يدعون النبوة .

وهذا الدليل الذى نأخذه من التاريخ ذو جانبين :

الأول :أن الله تعالى يقول عن محمد صلى الله عليه وسلم :

" ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين" ، وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفسه فى أحاديث كثيرة أنه خاتم النبيين ولا نبى بعده فهذه الفترة من التاريخ توءكد هذه النصوص اذ أن هذه الفترة الطويلة من الزمان كافية لان يتتابع فيها أنبياء كثيرون على مقتضى سنة الله فى الامم السالفة ، فلو كانت سلسلة الانبياء ممتدة فى تابل الايام كما كانت متتابعة الحلقات فى ماضيها اذ لم تكن تنفصل بين الانبياء مثل هذه الفواصل الزمنية البعيدة فيما قبل بل كثيرا ما كانوا يتعاصرون فى الامم المختلفة لو كانت كذلك لوجد فى هذه الفترة أنبياء ورسل لكنه لم يوجد أنبياء صادقون فى هذه الفترة فهذا دليل على أن محمدا صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء ولا نبى بعده (١) .

---

(١) انظر عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية للدكتور عثمان عبد المنعم عيش ص ٢٦ ط ١ .

الثاني : أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أنه لا تقوم الساعة حتى يظهر في أمته كذابون ثلاثون .

روى البخاري في صحيحه : (... ولا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله (١) .

وروى أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ان الله - أو قال : ان ربي - زوى لي الارض فأريت مشارق الارض ومغاربها .... الى أن قال : وانه سيكون في امتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى (٢)

فهذا الحديث يخبرنا انه سيكون من يدعي النبوة والرسالة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولكنهم كذابون في هذه الدعوى وفيما يأتون به وقد ظهر في التاريخ كثير من هؤلاء الذين يدعون النبوة وتبين للناس أجمعين كذب دعواهم وما جاءوا به من أضاليل وافتراء (٣) . وهذا مصداق تلك الاحاديث ومن هؤلاء الذين ادعوا النبوة من أصبح له أتباع كثيرون وشغلت به عوام الناس ولكن سرعان ما تبين لهم كذبه ولم يأت أحد منهم أو يخلف بعده ما يدفع عنه تهمة الكذب التي ألصقها به الرسول صلى الله عليه وسلم وألصقها به معاصروه وألصقها به التاريخ بعده وتبقى شهادة التاريخ فيما مضى من يوم بعثة محمد صلى الله عليه وسلم والى أن يرث الله الارض ومن عليها معلنة صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في نبوته وأنه لا نبي بعده على الاطلاق حتى قيام الساعة .

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٤٣ دار مطابع الشعب

(٢) سنن ابي داود ج ٤ ص ٥١ الطبعة الهندية مع شرح عون المعبود

(٣) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ بتحقيق محمد حامد الفقي ص ٢٧٥ ط ٨

الفصـــــل الثالـــــث

الخارجـــون عن عقيدة ختم النبـــوة

علمنا فى حديث مضى أخبر فيه الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سيكون فى أمته كذابون ثلاثون يدعون النبوة وقد وجد فى التاريخ عدد كثير مـــن المتنبئيـن أكثر مما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فيتضح لنا أن مـراده صلى الله عليهوسلم ليس من ادعى النبوة مطلقا فانهم لا يحصون كثرة لكـــون غالبيتهم تنشأ دعوته عن جنون وأوهام يتوهمها ونحو ذلك وانما مراده صلى الله عليه وسلم من قامت له شوكة وظهر له أتباع . (١)

أ - حركات التنبوء القديمـــة :

أولا : المتنبئون فى فجر الاسلام :

اشتهر فى فجر الاسلام وفى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفـــر ادعوا النبوة وهم :

١ - مسيلمة الكذاب :

خرج باليمامة فى بنى حنيفة وكان يقال له رحمان اليمامة .

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فى عدد من قومه سنة تسع من الهجرة فأنزلوا فى دار رملة بنت الحارث وأجريت عليهم الضيافة فلما قدم الوفد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلموا وقد خلفوا فى رحالهم مسيلمة ولما أرادوا الانصراف أعطاهم رسول الله صلى اللـه عليه وسلم جوائزهم خمس أواق من فضة وأمر لمسيلمة بمثل ما أعطاهـــم

---

(١) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ تحقيق محمد حامد الفقى ص ٢٧٥ ط ٨

لما ذكروا أنه فى رحالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما انه ليس بشركم مكانا فلما رجعوا الى مسيلمة أخبروه بما قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال - قبحه الله - : انما قال ذلك لانه عرف أن الأمر لى من بعده.
وبهذه الكلمة تشبث حتى ادعى النبوة (١) حين رجع الى اليمامة وقال انى أشركت فى الامر مع محمد وجعل يسجع لهم . الاساجيع .
وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب قال فيه :
" من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد فانى قد اشركت فى الامر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصف الارض ولكن قريشا قوم يعتدون"
وقدم على الرسول صلى الله عليه وسلم رسولان بهذا الكتاب فقال لهما الرسول صلى الله عليه وسلم حين قرأ كتابه فما تقولان انتما ؟ قالا : نقول كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ثم كتب الى مسيلمة :

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع الهدى أما بعد : فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين " (٢)

وقد زعم مسيلمة أن له قرآنا نزل عليه من السماء غير أن كلامه فى قرآنه هذا كان واه سخيف لا ينهض ولا يتماسك بل هو مضطرب النسج مبتذل المعنى (٣)
وقد قتل فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى موقعة اليمامة قتله وحشى وكان عمره لعنه الله آنذاك مائة وخمسون سنة .

---

(١) انظر عمدة القارى شرح صحيح البخارى محمود احمد العينى ج ١٦ ص ١٥١
(٢) انظر سيرة النبى صلى الله عليه وسلم لابن هشام ج ٤ ص ٣٤٨
(٣) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعى ص ١٧٤ ط ٩

٢ - العنسي :

هو عبهلة بن كعب الملقب بذى الخمار لانه زعم أن الذى يأتيه ذو خمار . ادعى النبوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكان موطنه باليمن . وكان أول ما ضل به على ماقيل أنه مر به حمار فلما انتهى اليه عثر لوجهه فقال : سجد لي ، ولم يقم الحمار حتى قال له " شأ" فقام الحمار .

وكان داهية فصيحا معروفا بالكهانة والسجع والخطابة والشعر والنسب وقد ادعى النبوة في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم وخرج في سبعمائة مقاتل ليقاتل عمال النبي صلى الله عليه وسلم على اليمن حتى استولى على جميع اجزاء اليمن . (١) .

وبعد أن علم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصنيعه كتب الى المسلمين باليمن يأمرهم بمقاتلته فاستجابوا لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم واستطاعوا أن يقتلوه في منزله بمعاونة زوجته وكتب المسلمون الى رسول الله يخبرونه بذلك وقد أتى اليه الخبر من السماء بذلك فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك وقال قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين . (٢)

٣ - طليحة بن خويلد الأسدى :

كان من أشجع العرب يعد في الشجاعة بألف فارس قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد " أسد بن خزيمة" سنة تسع فأسلموا ثم لما رجعوا تنبأ طليحة وعظم أمره بعد أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد موت

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٠٧
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٠٧

رسول الله صلى الله عليه وسلم سير اليه أبو بكر الصديق رضى الله عنه جيشا بقيادة خالد بن الوليد رضى الله عنه فانهزم جيش طليحة ولكنه نجى من القتل وتاب بعد ذلك ومات على الاسلام فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . (١) حيث استشهد فى معركة نهاوند (٢) .

٤ - سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية التغلبية :

وهذه ادعت النبوة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وكانت نصرانية ، التف حولها كثير من قومها الذين كانوا على النصرانية ومالأها جماعة من رؤساء العرب وقد خرجت بجيشها تريد حرب أبى بكر الصديق رضى الله عنه وخشى مسيلمة منها فمالأها حتى اجتمع بها وعرض عليها أن يتزوجها قال : ليأكل بقومه وقومها العرب فأجابت وانصرفت الى قومها فقالوا : ما عندك ؟ قالت : كان على الحق فاتبعته فتزوجته ، وكانت تزعم أنه يوحى اليها بما تأمر وتسجع فى ذلك سجعا .

قيل ثم انها أسلمت وحسن اسلامها . (٣)

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣١٨
وانظر اعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعى ص ١٧٦

(٢) الفرق بين الفرق عبد القاهر البغدادى ص ٢٤١ ط ١

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣١٩
واعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعى ص ١٧٧

ثانيا : التنبوءات في عصري بني أمية وبني العباس :

ظهر في هذه الازمنة عدد من المتنبئين وقد اقترنت دعوة أكثرهم بالتشيع للامام علي كرم الله وجهه وللائمة العلويين من بعده سواء كان ذلك بادعاء غلاة الشيعة نبوة هؤلاء الائمة أو بادعاء هؤلاء الغلاة ذلك لأنفسهم.

وقد تطور هذا الغلو في علي والائمة من بعده حتى قالوا بشركتهم في النبوة المحمدية وجعلوهم كسيد المرسلين بل قد فضلوهم عليه حيث رووا هذه الرواية المكذوبة على علي رضي الله عنه :

عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيرا ما يقول : أنا قسيم الله بين الجنة والنار ... ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولقد حملت مثل حمولته وهي حمولة الرب وأن رسول الله يدعى فيكسي وأدعى فاكسى ... ولقد اعطيت خصالا ما سبقني اليها أحد قبلي علمت المنايا والبلايا والانساب وفصل الخطاب فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني ..."
عن كتاب الكافي في الأصول كتاب الحجة ص ٢٨٥ ج ١ ط ايران (١) .

بل انتهى بعض هؤلاء الغلاة الى أن قالوا : بأن النبوة كانت موجهة على علي ولكن جبريل أخطأ اذ نزل بالوحي على محمد لشدة الشبه بينهما فتنازل عنها علي لابن عمه عن طواعية مدة حياته حتى اذا مات النبي عادت النبوة الى صاحبها . ولما كان الشيعة يقولون بامامة أبناء علي من بعده فقد ادعى الغلاة من اتباع هؤلاء الائمة لهم النبوة وكان كل زعيم من زعماء هذه الطوائف الغالية في التشيع اذا مات امامه يدعي انتقال النبوة اليه هو

---

(١) الشيعة والسنة للاستاذ احسان الهي ظهير ص ٦٦ ط ٢

فيزعم نزول الوحي عليه وتأييد الملائكة له ويجمع أتباعه من حوله على ذلك بل ويدعي البعض منهم وراثة أبنائه من بعده لنبوته ومن هؤلاء الادعياء الكذبة :

١ - المختار بن أبي عبيد الثقفي .

٢ - عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي .

٣ - المغيرة بن سعيد العجلي .

٤ - ابو منصور العجلي

٥ - ابوالخطاب محمد بن زينب الاسدي الأجدع .

٦ - الحارث بن سعيد الدمشقي .

٧ - الحسين بن حمدان الحصيبي .

٨ - اسحاق الأخرس . (١)

وقد كانت نهاية هؤلاء جميعا القتل على أيد مؤمنة تؤمن بكذب هؤلاء وأن النبوة ختمت بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذلك كانت نهاية دعواهم بما فيها من كذب والحاد الموت بموت أصحابها وصدق الله العظيم .

(... فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الأمثال) (٢) .

---

(١) انظر عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية للدكتور عثمان عبد المنعم ص ٨٩ - ٩٠ ط ١

(٢) سورة الرعد ١٧

ب - حركات التنبوء الحديثـــة :

١ - البابيـــة :

تمهيـــد :

البابية طائفة تنتسب الى المدعو " ميرزا علي محمد رضا الشيرازى" (١) الذى لقب نفسه بالباب فسمى أتباعه بالبابية وقد كان ادعاؤه هذا اللقـــب بناءعلى ما كان أساتذته وفى مقدمتهم " كاظم الرشتى " يوحون اليه ويوهمونـــه بأنه هو الباب ، وقد اختاروا لهذه الدعوى فكرة " الامام أو المهدى المنتظـــر"

---

(١) ولد فى مدينة " شيراز" فى المحرم سنة ١٢٣٥ هـ من أبوين كانا يدعيان الانتساب الى أهل البيت ثم توفى والده وهو رضيع فتربى فى حجـــر خاله " ميرزا سيد على التاجر وتعلم عنده مبادىء اللغتين الفارسيـــة والعربية ثم أخذه خاله معه فى متجره فتعلم سائر الفنون التجارية ثـــم اصطحبه الى مدينة " بوشهر" ومكث مع خاله حتى بلغ العشرين وكـــان الشاب فى هذه الاثناء يشتغل بالأمور الروحانية والرياضات الشاقـــة حتى انه كان يصعد على سقف المنزل ويمكث فى الشمس من وقت الهجيـــرة الى العصر فكان يعتريه من جراء ذلك نوب عصبية قوية فانحطت قـــواه وعظم الامر على خاله بعد أن استعمل معه طرق النصح والموعظة ثـــم زجره فلما لم يمتنع عن هذه الأمور رأى مع بعض أقاربه أن يسفروه الى كربلاء والنجف وهناك عكف على العبادات والرياضات الشاقة ثم تتلمذ على يـــد السيد " كاظم الرشتى " وسمع منه شرح كتب الشيخ " الاحسائى " مؤســس الطائفة الشيخية والى هذه التلمذة يرجع الجزء الاكبر من التكوين العقلى للباب وأخذ مشايخه وتلامذتهم يوحون اليه انه هو الباب فأظهر مـــن التقشف والزهد وأخذ يدعو الناس الى نفسه وكان كثيرا ما يستمع أتباعـــه الحديث المشهور عندهم : أنا مدينة العلم وعلى بابها " يعنى بذلك نفسه وسمى نفسه " الباب " وأعلن ذلك سنة ١٢٦٠ هـ . ثم رجع الى مدينة "بوشهر" بايران وحدث بينه وبين العلماء مناظرات وسجن مرات وكثرت بسبب دعوته الفتن واضطربت الأمور فأصدر الملك السعيد ناصرالديـــن شاه الأمر باعدامه بعد أخذ الفتوى من العلماء بذلك فقتل فى تبريـــز سنة ١٢٦٥ هـ .

انظر مفتاح باب الابواب للدكتور ميرزا محمد مهدى خان ط ١ ص ١١١ و ١٢٧ و ٢٢٥ وانظر حقيقة البابية والبهائية للدكتور محسن عبد الحميد ص ٥٧ و ٥٨ ط ٢ .

وشيوعها في البيئة التي عاشوا فيها وزادهم اقداما أن الفكرة الشائعة المشهورة عن" المهدي " تصفه بأنه يملأ الدنيا عدلا ويصلح كافة أمورها ، ولا نجاة لاحد الا بالايمان به وسيكون من أهل البيت (١) .

مراحل دعوى الباب :

كان هذا الشاب منسوبا الى أهل البيت من أبيه وأمه ولهذا استغل هذا التوافق بين فكرة المهدي الشائعة ومطابقة أوصافه من حيث الانتساب الى أهل بيت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على هذا الشاب فربوه على أعينهم ونموا في نفسه غروره واعتزازه بهذا الانتساب ثم ملأوا قلبه بالأوهام حتى أعلن أنه الباب وذلك سنة ١٢٦٠ هـ ويعني بذلك أن الناس عن طريقه يتصلون بالغائب ويأخذون أوامره ونواهيه ، وهذه هي المرحلة الاولى من ادعاءاته .

ثم انه مالبث حتى جاهر بأنه هونفسه " باب الحقيقة" والقائم المنتظر والمهدي الموعود وهذا ليس تناقضا عند من يعتقد الافكار الباطنية من الحلول والتجسد حيث يسهل عليه الزعم بأن روح المهدي الموعود المنتظر قد التبست بجسده وحلت فيه بعد أن كانت هائمة في عالم الروح فأصبح هو مظهرا لها ، وتجلت فيه ولما كانت الروح عندهم هي المصدر الأعلى لكل حقيقة فانه هو نفسه قد أصبح " باب الحقيقة" بناء على هذا الحلول .

ثم لم تزل نفسه تدفعه الى التطاول على الأنبياء والمرسلين حتى ادعى النبوة والرسالة بحجة أنه الباب الموصل الى الله تعالى وقد قال في رسالته الى شهاب الدين السيد محمود الألوسي مفتي بغداد ما نصه :

" ولقد بعثني الله بمثل ما قد بعث محمداً رسول الله من قبل ونزل عليه آياته

---

(١) انظر حقيقة البابية والبهائية للدكتور محسن عبد الحميد ص٦٠-٦١ ط ٢

أفغير الله يقدر أن ينزل من آياته أفلا تبصرون ..." .

ويقول في نفس الرسالة :

" وان يوم الذى نزل الفرقان على محمد الى يوم ينزل الله البيان عليّ قد مضى ألف ومائتين وستين سنة" .

ويقول أيضا :

" وانني أنا عبد قد بعثني الله بالهدى من عنده أفلا تحبون أن تكونن من المتقين" (١) .

ويقول في تفسيره لسورة يوسف :

" ... اسمعوا فورب السماء والأرض اني عبد الله أتاني البينات من عند بقية الله المنتظر امامكم هذا الكتاب قد كان من عند الله في أم الكتاب بالحق على الحق مسطورا" .

وقال :

" وان الله قد أوحى اليّ ان كنتم تحبون الله فاتبعوني في هذه الملة بالحق على الحق من الحق الى الخلق ضعيفا وان ربكم الله قال بالحق اني على عبادى المؤمنين من أهل الباب قد كنت على الحق بالحق رحيما وتعالى الله عما يقول الظالمون في آيات " الباب "علوا كبيرا" . (٢)

وقد ادعى أنه أفضل من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأن كتابه " البيان " أفضل من القرآن الكريم يقول ما ترجمته :

" انني أفضل من محمد كما أن قرآني أفضل من قرآن محمد واذا قال محمد بعجز البشر عن الاتيان بسورة من سور القرآن فأنا أقول بعجز البشر عن الاتيان

---

(١) مفتاح باب الأبواب تأليف ميرزا محمد مهدى خان ص ٢٠٢ ط ١

(٢) مفتاح باب الأبواب تأليف ميرزا محمد مهدى خان ص ٢٠٩ ط ١

بحرف مثل حروف قرآني ان محمدا كان بمقام الألف وأنا بمقام النقطة . . . الخ (١)
ثم ان الباب بعد هذه المراحل من دعوته وبعد أن أصبح له أتباع سذج يؤمنون بكل ما يقول لهم يعلن أنه الاله الحق لان روح الاله قد حل فيه كما حل في سائر الأنبياء والمرسلين من قبله يقول :

كل الأسماء اسمه وهو لا اسم له وكل الأنعات نعته وهو لا نعت له باطنه كلمة لا اله الا الله وظاهره في القرآن محمد رسول الله .

ويقول ما ترجمته من الفارسية :
" أنا قيوم الأسماء مضى من ظهوري ما مضى وصبرت حتى يمحص الكل ولا يبقى الا وجهي وأعلم بأنه لست أنا بل أنا مرآة فانه لا يرى فيّ الا الله " (٢) .
هذا عن مراحل دعوى الباب .

أما عن كتابه " البيان " :

فهو كتاب يزعم " الباب " أنه نزل عليه من سماء المشيئة الالهية فنسخ به القرآن الكريم فصار فرضا على كل مسلم أن يؤمن به ويخضع لما فيه والا فالكفر مصيره . (٣)
وقد ضمن هذا الكتاب شريعته التي حرف فيها شرائع الاسلام من نحو الصوم والصلاة والزكاة والحج ووضع تشريعات خاصة في الزواج والبيع والزكاة .
وجعل التحية بين أتباعه أن اذا أقبل بابي على واحد أو جماعة من الناس فعليه أن يبدأ بقوله " الله أكبر " وجوابه الله أعظم .

---

(١) مفتاح باب الأبواب تأليف ميرزا محمد مهدي خان ص ٢٠١ ط ١
(٢) حقيقة البابية والبهائية د . محسن عبد الحميد ص ٦٢ - ٦٣ ط ٢
(٣) المرجع السابق ص ٦٣

وان ا أقبلت بابية تقول " الله أبهى " ويرد عليها الله أجمل ، وجوز لبس الحرير واستعمال الذهب والفضة للرجال وللنساء . وغاية الامر أن هذا الرجل المبتدع قد أعمل عقله المنحرف فى تحريف جميع الشرائع التى جاء بها الاسلام . (١)

الـــرد على البـــاب :

علمنا فيما تقدم ذكره أن النبوة والرسالة قد ختمت بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا مجال لأى ادعاء لهما أو لأحدهما مع وجود الأدلة القاطعة التى رأيناها من الكتاب والسنة واجماع الأمة .

وان زعم الباب - كما رأينا فى مراحل دعوته - انه نبى وأنه بعث وانه أتى بكتـــاب ناسخ للقرآن فذلك يتعارض تعارضا كاملا لعقيدة ختم النبوة بنبوة محمد وكل الكتب التى ألفها البابيون تؤيد نبوة الباب وتدلل على ذلك تصريحا أو تعريضا .

وسأقتصر هنا على مناقشة دعوى النبوة لتعارضها مع عقيدة ختم النبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

وسيكون الجواب على دعوى نبوة الباب من ثلاثة جوانب :

الأول : الجانب الشخصى للباب سيرته وسلوكه

الثانى : دعواه النبوة ومدى استساغته هذه الدعوى ونماذج من تنبوءاته .

الثالث : دعواه نسخ القرآن الكريم بكتابه "البيان" .

---

(١) انظر مفتاح باب الابواب ص ٢٥١

الجانــــــب الأول :

الجانب الشخصي للباب سيرته وسلوكه :

نتجاوز المراحل التي مر بها الميرزا علي محمد في صباه ونتجاوز ما قيل في نسبه الى المرحلة التي كان يتلقى فيها المعلومات الأولية كأي صبي آخر : فقد تعلم في صباه مبادئ اللغتين الفارسية والعربية وتعلم مع خاله التاجـــر فنون التجارة وكان خطاطا . ثم انه اشتغل بالأمور الروحانية وانعكف علـــــى العبادات وانهمك في الرياضات الشاقة وكان يمكث في الشمس من وقت الهجيـــرة الى العصر وهو يزمزم ويتلو الأوراد وكان يعتريه من جراء ذلك نوب عصبية قوية حتى انحطت قواه وعظم أمره على خاله فاضطر لتسفيره الى كربلاء والنجـــــف بالعراق (١) .

فهذه المرحلة من حياته كما نلاحظ نراه فيها على غير ما ينبغي أن يكون عليه رجل صالح يعده الله لتبليغ رسالته الى خلقه وتوجيههم الوجهة الصحيحـة السليمة في أخلاقهم ومعاملاتهم وعباداتهم بل ان هذا الرجل في هذه المرحلة لم يكن على جانب كبير من السلامة الخلقية والنفسية والعقلية بخلاف ما كان عليه أنبياء الله جميعا عليهم السلام قبل مبعثهم من العصمة وصفاء الذهن وسلامة العقل والفطرة السليمة .

ثم ان أتباعه فيما بعد يقولون أنه كان أميا ولم يتعلم على أحد ليجعلوا كل معارفه الهاما ووحيا من الله وكونه على خلاف مدعاهم دليل قوي لناعلـــــى ادعاءهم الكذب في حق الله تعالى ثم في حق رسالته الخاتمة التي بعث بها آخر الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم . وهل يعقل ان يكون أميا وقد كان يكتسب

---

(١) انظر مفتاح باب الأبواب ص ١١١ ، ١١٢

فى أربع ساعات ألف سطر بالعربية أو الفارسية على غاية من جودة الخط بعد أن اتقن المعلومات التى كانت تدرس فى زمانه . (١)

ثم نلقى عليه نظرة وهو فى كربلاء والنجف فهنا خلاله الجو ليواصل عباداته ورياضاته الشاقة وتتلمذ على يد السيد "كاظم الرشتى" ودرس على يديه كتب الشيخ "احمد الاحسائى" وهو ذلك الشيخ الذى مزج بين الفلسفة والتصوف والشريعة وجمع بين الاحوال الفلسفية والامامية على طراز جديد وقال ان المهدى الذى تنتظره الشيعة وترقب ظهوره هو الآن من سكان عالم روحانى أجسامه كأجسام الملائكة والجن وقد درس الباب هذه الآراء وغيرها وقد خرج من احدى رياضاته الروحية فى مسجد على فى حالة من الذهول والدهشة (٢) . وشرع بعد هذا كله يدعو الناس لنفسه وأظهر من التقشف والزهد ما أمال اليه كثيرين من سذج القوم .

وهذه المرحلة فى حياة الباب هى التى تطعم فيها بأفكاره ومدعياته التى زعم أنها أتته عن طريق الالهام والتى أخذها حقيقة عن طريق التتلمذ وان كان يصر على أنها جاءته عن طريق الالهام فهى من الهامات كاظم الرشتى اليه والتى أخذها هو بدوره من أستاذه أحمد الاحسائى (٣) . وكانت طريقتهما هى اللجوء الى "الرؤى" الكاذبة التى كانوا يوهمون بها أتباعهم بقـــرب ظهور المهدى . (٤)

---

(١) انظر مفتاح باب الأبواب ص ١١١ وانظر الحاشية أيضا

(٢) عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية عثمان عبد المنعم ص ٩٩

(٣) كان من المبتدعين الباطنية وله مؤلفات اتهم بأنه كان يعبد عليا نقل عنه أنه كان يقول :
كما أن العناصر أربعة هى : التراب والماء والنار والهواء كذلك العقائد أربع هى : الله والنبى والائمة الاثناعشرية واحمد الاحسائى - يعنـــى نفسه - عن ندوة محاضرات موسم حج ١٣٩٣ هـ ص ٢٤٧

(٤) انظر مفتاح باب الأبواب ص ٩٧

وكان الباب في هذه الأثناء شابا سيئا بحيث لا يرى منه تقي أو صلاحا فضلا عن أن تقبل منه دعوى المهدية أو النبوة فهذا الجاسوس الروسي الذي تسمى باسم الشيخ عيسى اللنكراني يقول عنه في مذكراته التي نشرت في مجلة الشرق السوفيتية سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥ م :

كان بقرب منزلي طالب عالم يسمى السيد علي محمد وكان من أهل شيـــراز فأنا أيضا صادقته بحرارة والسيد علي محمد (الباب) لم يترك صداقتي وكان يضيفني أكثر من قبل وكنا نشرب الحشيش وكان ابن الوقت متلون الاعتقاد .. الخ

ثم يشرح هذا الجاسوس كيف حاول باستمرار الايحاء الى علي محمد رضا هذا انه هو المنتظر الى أن أقنعه بذلك بواسطة حسين البشروئي .. (١)

وبعد هذه الحقائق عن معالم شخصية علي محمد "الباب" فانه لا غرابـــة أن يدعي مقام النبوة الذي قد ختم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذ ادعاؤه هذا يعتبر صدى للوسط الفكري الذي تربى في حضانته ونتيجة للتكوين العقلي والروحي والخلقي الذي تلقاه واكتسبه وهو طالب العلم ومارسه متصوفا عابدا .

الجانب الثانـــــي :

دعـــــواه النبـــــوة :

أوردت في مراحل دعوته نصوصا تثبت ادعاءه للنبوة حيث زعم أن كـــل ما في كتبه فهو كلام الله .

---

(١) انظر حقيقة البابية والبهائية ص ١١٩ - ١٢٦ ففيه سرد قصة هذا الجاسوس وعلاقته بالباب والبهاء . ومحاضرات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة العام الدراسي ٩٣ / ٩٤ هـ محاضره : البهائية احدى مطايا الاستعمار والصهيونية لعبد القادر شيبة الحمد ص ٢٥٠

وهذه الدعوى لو صحت انقض ما ثبت لكل مسلم منذ عصر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى اليوم والى أن تقوم الساعة من أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا رسالة ولا رسول بعده ، فيعلم كذب هذا وأضرابه ممن يتجاسر على مقام النبوة ويدعيها .

والباب - وان قال أتباعه انه لم يصف نفسه بالنبوة ولم يسم نفسه نبيا - فانه ادعى لنفسه حقيقة النبوة من نزول الوحى بشريعة ناسخة للاسلام . (١)

ونقول لهؤلاء الذين يدافعون عن الباب بقولهم انه لم يدع النبوة (٢) ما معنى قوله فى النصوص السابقة :

" ولقد بعثنى الله ... " وقوله " ... الى يوم ينزل الله البيان علىّ ... " ، وقوله : " ... انى عبد الله أتانى البيان ... الخ .

أليس هذا الادعاء هو حقيقة النبوة . وهو كاذب ولا شك فى ادعائه هذا ، ونستدل على كذبه فى دعوى النبوة من منهجه بمايلى :

١ - تدرجه فى دعوته من البابية الى المهدية الى النبوة ثم الى الالوهية فهذا عين الكذب والافتراء ان النبوة لا تكون تدرجا ولا يجوز لمن يدعيها أن يتستر وراء أقنعة مختلفة من الدعاوى الأخرى بل يعلن ذلك صراحة من أول الأمر .

---

(١) انظر عقيدة ختم النبوة عثمان عبد المنعم ص ١٨١

(٢) انظر البهائية رد على تحذير جبهة أصحاب الفضيلة العلماء من البهائية والبهائيين :
يقولون فيها : ان حضرة الباب لم يدع النبوة أو الرسالة .. الخ ص ١٨

٢ - انه أوصى أتباعه عندما بلغ عددهم ثمانية عشر رجلا وأرسلهم الى ايران لتبشير الناس بظهوره ودعوتهم الى اتباع أوامره وحذرهم عن اظهار اسمه الحقيقي "علي محمد . . ." وحثهم على كتمانه أشد الكتمان حتى أمر آخر ولهذا الاسلوب كان أكثر البابيين المخدوعين به لا يعرفون اسم الباب ولم يكونوا على علم بمحل اقامته فهم آمنوا به دون أن يروه على أساس أنه سيظهر ولو كانوا رأوه واطلعوا على حقيقة آرائه لنبذوه من أول وهلة ولأعلنوا الحرب عليه ، ولهذا كان رجاله المبلغين عنه على كثير من الشدة مع مخالفيهم والبطش بهم واستحلال دمائهم وأموالهم عملا بقواعد شريعته وهذه الطريقة لم يعمل بها النبيون من التستر بالأسماء واخفائها . (١)

٣ - أنه حصر دعوته في البلاد الفارسية دون ساير البلاد مستغلا لما كانت عليه الأوضاع السياسية والدينية فيها ولما وصلت اليه حالة الشعب من التفكك والانحلال .

يقول صاحب "مفتاح باب الأبواب" بعد استعراضه للأسباب والدواعي التي توفرت لدعوة الباب في الممالك **الايرانية** :

" فاذا علم الآن لديك مجملا ما كانت عليه أحوال العباد والبلاد في ذلك الاوان وأنت تعلم أيضا بالبداهة أنه ما من دولة من الدول يكون رجالها مثل هؤلاء ولا أمة من أمم الأرض تكون أحوالها كهذه الأحوال الا وتبحث أشد البحث عن منقذ لكي تخرج به من ظلمات الظلم والجور

---

(١) انظر مفتاح باب الأبواب ص ١١٩
وحقيقة البابية والبهائية ص ٧٤
وعقيدة ختم النبوة ص ١١٢

الى نور العدل والقسط وتخرج من الضيق الحاصل الى الفرج العاجل . ولما كان من المقررات الطبيعية أيضا أنه لابد لهذا التبدل والتحول من احدى الواسطتين العظيمتين أعنى : (الواسطة السياسية والواسطة الدينية) ولما كانت الواسطة الأولى مفقودة الأسباب من البلاد لعدم توفر شروطها فى أهليها واما الواسطة الثانية اى الدينية فكانت البلاد مستعدة لها تمام الاستعداد ومتوفرة أسبابها وشروطها" (١)

وقد اغتنم الباب وأتباعه وجهود هذه الأوضاع السائدة وأعلن دعوته فى ايران باسم المهدى المنتظر الذى كان المسلمون يسمعون به وتأتيهم البشارات من الدعاة بظهوره ولهذا أخذ الناس ينهالون اليه لعلهم يجدون عنده مايكشف عن ضرهم ولواهم . (٢)

واذا كانت دعوته التى يدعيها عامة للمسلمين فلماذا لم يظهر دعوته فى العراق مثلا الذى تلقى جل تعاليمه فيها ولماذا لم يبلغ دعوته بكتاب ولغة فارسية ليفهم منه العامة؟ يقول فانه خالف سنن الأنبياء الذين يبعثون فى أقوامهم بألسنتهم فقد أتى بكتاب مشوش بالعربية ملغوز بالفارسية وموضوعة أحكامه تارة بالحروف الابجدية وتارة بحروف الجمل والارقام .

ومتى كان الايهام والابهام طريقا لتبليغ الوحى الصادق الى الناس (٣) ؟!

---

(١) مفتاح باب الابواب ص ١٧٠

(٢) انظر كتاب حقيقة البابية والبهائية فصل أسباب انتشار البابية فى ايران ص ٦٩

(٣) انظر عقيدة ختم النبوة ص ١١٢ .
وانظر مفتاح باب الأبواب ص ١٩٣ تحت عنوان : ملاحظة

٤ - أن النبى المرسل لا يتراجع عن موقفه ولا يتزحزح عما بعثه الله تعالى به ولو أدى ذلك الى استشهاده . أما الباب فانه عندما احضر من سجنه وناظره العلماء والفقهاء فى تبريز وأمر بجلده بعد هذه المناظرة أخذ يستغيث ويستغفر ويتوب ويصيح (١) وكان هذا ديدنه اذا اشتدت عليه المحن .

وأما ثباته الأخير حتى قتل فلأنه كان يعلم أنها النهاية على يد أعدائه اذا ثبت وعلى يد أتباعه اذا رجع عن دعوته وكانت تطورات الموقف وحماس الأتباع قد وضعاه فى وضع نفسى يصعب عليه التراجع عنه . (٢)

ويقال انه قبل اعدامه بقليل أمر أتباعه بقتله بزعم أنه يريد أن يقتل بأيدى الأحباب لا بأيدى الأعداء فامتنعوا عن اطاعة أمره وفى هذا مأخذان :

أولهما : أن طلبه هذا مخالف لشرائع الله فهو دعوة الى القتل أو الانتحار غير المباشر .

ثانيهما : انه لو كان نبيا وكان أتباعه يؤمنون به حقا ولا يشكون فى أمره لنفذوا أمره فأمر النبى كما هو معلوم واجب التنفيذ . (٣)

---

(١) مفتاح باب الأبواب ١٨٤ وحقيقة البابية والبهائية ١٣٤

(٢) انظر عقيدة ختم النبوة ١١٣

(٣) انظر حقيقة البابية والبهائية ص ١٣٤

الجانب الثالث :

دعواه نسخ القرآن الكريم بكتابه البيان :

يزعم " الباب " أنه نزل عليه البيان من سماء المشيئة الالهية فنسخ به القرآن الكريم فصار فرضا على كل مسلم أن يؤمن به ويخضع لما فيه والا فهو كافر. ويكفي للرد على هذا الزعم السخيف أن نلقي نظرة سريعة لهذا الكتاب لنرى ما فيه من السخف والجرأة على الله :

زعم هذا الرجل أنه هو الاله الحق - تعالى الله عن ذلك - فليس مستغربا أن يدعى أن كتابه ناسخ للقرآن الكريم هذا القرآن الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وتحدى به سائر الخلق عربهم وعجمهم بل تحدى أولئك الذين كانوا يهزون المنابر ويبهرون العقول لفصاحتهم وطلاقة ألسنتهم وعظمة بلاغتهم وهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يأتوا بشىء مما تحداهم به ولن يستطيعوا مهما حاولوا ولن تستطيع الامم كلها .

اذا ليس هناك مبرر للاتيان بكتاب الله العزيز الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لنقارنه بكتاب " الباب " الذى كله باطل وتزييف وافتراء على الله ويكفي بأن ننظر فى كتاب " البيان " هذا من بعض الوجوه هل له القيمة العلمية التى تفيد القارىء من أى وجه من وجوه المعرفة ؟!

فمن حيث الاخطاء اللغوية والنحوية والبلاغية :

لا تكاد تقرأ صفحة واحدة الا وتجد فيها عشرات الأخطاء ذلك أن هذا الكتاب مكتوب باللغة الفارسية والعربية مما يصعب على القارىء فهمه وادراك مقاصده فيه ، ولما سئل عن سبب وقوع اللحن فى كتابه هذا مع أن اللحن

نقض أجاب : (بأن الحروف والكلمات كانت قد عصيت واقترفت خطيئة في الزمن الأول فعوقبت على خطيئتها بأن قيدت بسلاسل الاعراب وحيث أن بعثتنا جاءت رحمة للعالمين فقد حصل العفو عن جميع المذنبين والمخطئين حتى الحروف والكلمات فأطلقت من قيدها تذهب الى حيث شاءت من وجوه اللحن والغلط) .

ولا شك أنه ليس هناك أسخف وأدعى للهزء والسخرية من هذا الجواب ولكنها حيلة العاجز اذا أعيته الحيل والا فما هو ذلك العصيان وتلك الخطيئة التي ارتكبتها الحروف والكلمات حتى عوقب بهذا العقاب الذي استمر معهما طيلة الحقب والقرون ولازمها في كلام العرب القدامى وفي القرآن الكريم حتى جاء الميرزا على محمد فحررها واطلق قيدها .

وهذا نموذج من بعض الواح الباب يقول :

بسم الله البهي الأبهى الحمد لله الذي قد أظهر ذاتيات السدنيات بالطراز طرزا طرازا طرزانية وأشرق الكونينات الذاتيات باشراق شراق شراقية ... استحمد حمدا ما حمده أحد من قبل ولا يستحمده أحد من بعد حمدا طلع وأضاء وأشرق فأنار وبرق فأبان وأشرق فأضاء ... حمدا اشراقا ف والاشتراق وبراقا ف والابتراق ..." (١)

وكل نصوص هذا الكتاب لا تكاد تختلف عن هذا النص في رداءة العبارات وغموض الفكرة .

---

(١) مفتاح باب الأبواب ص ٣٠١

ومن حيث محاكاته لاسلوب القرآن الكريم :

لقد حاول فى كتابه " البيان " أن يحاكى أسلوب القرآن الكريم وأن يسرق منه بعض معانيه ويدعيها له ولكنها محاولة مكشوفة كان بسببها عرضة للوم ومحلا للسخرية فى قصر الباع وغموض العبارة وتفاهة الاسلوب واعوجاج المنطق فكان أقرب الى سجع الكهان مع فضل سجع الكهان عليه فى اتباع القواعد والاصول فى اللغــــة .

ومثل هذه الأنسجة المهلهلة هى من نعم الله وفضله على العباد اذ أن الضد بالضد يعرف فلولم يعلم الانسان الباطل لما أدرك الحق ولولم يتذوق المر ما وجد طعما للحلاوة اذ الاطلاع على مثل هذه الاباطيل يظهر عظمة القـرآن الكريم . (١)

وهذه بعض النصوص التى تبين لنا مدى محاكاته لاسلوب القرآن الكريم وسرقاته بعضهـــــا :

يقول فى الباب الأول من آيات الوحى " شجرة الحمراء" :

(قل اللهم انك انت بهيان البهائين لتوتين البها من تشاء ولتنزعن البهاء عمن تشاء ولترفعن من تشاء ولتنزلن من تشاء ولتنصرن من تشاء ولتخذلن من تشاء ولتغنيمن من تشاء ولتفقرن من تشاء فى قبضتك ملكوت كل شىء تخلق ما تشاء بأمرك انك كنت بهاء باهيا بهيا) . (٢) .

ويبدو واضحا ان هذا اللغو تقليد للآية الشريفة المقدسة :

"قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير" . (٣)

---

(١) انظر حقيقة البابية والبهائية ص ٩٦ - ٩٧

(٢) مفتاح باب الابواب ص ٢٧٧

(٣) آل عمران ٢٦

ومن سوقاتـــه :

(أيحسب الناس انا كنا عن الخلق بعيدا كلا يوم تكشف الساق عن ساقهم ينظرون الناس الى الرحمن وذكره فى الارض المحشر قريبا فيقولون ياليتنا اتخذنا مع الباب سبيلا ياليتنا لم أتخذ دون الباب من الرجال على الحق غير الحق مآبا) (١) .

والكلمات الاخيرة - مقتبسة - كما ترى - من قوله تعالى : (ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانـــا خليلا ..." (٢) .

---

(١) مفتاح باب الابواب ٣١١ - ٣١٢

(٢) سورة الفرقان آية ٢٨

٢ - البهائيـــــــــة :

تمهيـــــــــد :

تعتبر البهائية تطورا للحركة البابية على يد تابع من أتباع الميرزا على محمد "الباب" وهو الميرزا حسين على المازندرانى (١) فقد ادعى أنه هو الموعود الحقيقى والمسيح المنتظر وقال ان استاذه الباب لم يكن ـ الا مبشرا به وداعيا اليه فمثله معه كمثل يوحنا المعمدان مع عيسى عليه السلام ولهذا فانه نسخ كتاب البيان وأبطل كثيرا من تشريعات الباب وأدرك أن بقاء البابيـة على حالتها يعرضها الى الفناء ولهذا خلل فيها الفلسفات الباطنية القديمة مع النظريات الصوفية فى الوحدة والحلول والفناء فنتج عن هذا الخلط العجيب كثير من المتناقضات (٢) التى لا يتقبلها العقل ـ كما سنرى ـ .

---

(١) هو الميرزا حسين على بن الميرزا عباس المازندرانى النورى نسبة الى بليدة "نور" من ضواحى ولاية مازندران ولد فى يوم الثلاثاء الثانـى من شهر محرم سنة ١٢٣٣ هـ وتربى مع اخوته الستة بحجر أبيهـــم بطهران وتعلموا ما تيسر من العلوم فى تلك الأيام وترعرع البهـــاء وكلف بالتصوف وكان يكثر من معاشرة الصوفية ويعكف على كتبهم ثم مال الى الباب وقيل انهما تقابلا وابتدأ البهاء بعد ذلك بنشر تعاليـم الباب بطهران ثم توجه الى ولاية مازندران وأخذ يدعو الناس الـى الباب ثم رجع الى طهران وتوالت ثورات البابية وقتل الباب وقبض على البهاء وسجن بطهران بضعة أشهر ثم نفى مع آخرين الى بغداد ثـم حدث بينه وبين أخيه "الميزا يحى" خلاف آل بهما الى المشاغبـــة والمقاتلة فنفتهم الحكومة وحزبهما الى "أدرنه" ثم نفوا منها جميعـــا فنفى البهاء وحزبه الى "عكا" والميرزا يحى وحزبه الى جزيرة قبرص وذلك فى بداية عام ١٢٨٥ هـ وسجنوا فى منفاهم جميعا بضعة أشهر ثم أطلق سراحهم فصاروا أحرارا فابتدأ البهاء فى النمو والتقدم وأخذت دعوته فى الانتشار بواسطة دعاته فى البلاد الايرانية خفية وفى البلاد القفقازية جهرة لمساعدة الحكومة الروسية لهم ثم ظهر أمرهم فى أنحاء أخرى من العالم ومات سنة ١٣٠٩ هـ . انظر مفتاح باب الابواب ص ٢٣٤ - ٢٥٧ .

(٢) حقيقة البابية والبهائية ص ١٤٣ - ١٤٤

دعوى البهـــــــاء :

هناك تشابه كبير بين دعوى البهاء ودعوى الباب فنرى دعوى البهاء تمر بمراحل ثلاث كما مرت بها دعوة الباب فادعى أولا أنه المسيح ابن مريم ثم ادعى النبوة ثم انتهى أخيرا الى مرتبة الربوبية والالوهية :

المرحلة الاولى :

ادعى الميرزا حسين على " أنه الموعود الذى ظهر الى الوجود وأنه الكلمة التى فر منها العلماء والنقباء فهو يقول فى كتابه " الواح " :

" قل يا ملأ الفرقان قد أتى الموعود الذى وعدتم به فى الكتاب اتقوا الله ولا تتبعوا كل مشرك أثيم انه ظهر على شأن لا ينكره الا من غشته أحجاب الأوهام وكان من المدحضين قل قد ظهرت الكلمة التى بها فرت نقباؤكم وعلماؤكم هذا ما خبرناكم به من قبل انه لهو العزيز العليم ... (١) .

ويقول : " قل يا قوم قد جاء الروح (البهاء) مرة أخرى ليتم لكم ما قال من قبل (اى لما ظهر البهاء بصورة المسيح) كذلك وعدتم به فى الالواح ان كنتم من العارفين " .

ويقول : (... ثم اعلم بأن الذى صعد الى السماء قد نزل بالحق وبه مرّت روائح الفضل على العالم وكان ربك على ما أقول شهيدا قد تعطر العالم برجوعه وظهوره (يعنى رجوع وظهور نفسه) . (٢)

---

(١) مفتاح باب الابواب ٢٨٦

(٢) مفتاح باب الابواب ص ٢٨٢ - والجمل التى بين قوسين توضيح من مؤلفه

المرحلة الثانية :

من النتائج الطبيعية لادعائه أنه المسيح أن يدعى النبوة أيضا ويزعم أن باب النبوة لا زال مفتوحا بعد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والى أن مدد الوحى الالهى لا ينقطع . ولا يرى بين المسلمين واليهود فرقا اذ يغلقون باب النبوة فقد زعم اليهود من قبل أن النبوة قد انتهت بعد موسى عليه السلام الا أن يكون نبيا يحكم بالتوراة وقالوا " يد الله مغلولة " فرد عليهم الله تعالى ب " غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان " فهويرى فى هذه الآية دليلا له على استمرار فتح باب النبوة وأنها لا تنقطع بناء على تفسيره لها بهذا ، وهو بعد هذا كله من نفيه لختم النبوة وزعمه بأن باب النبوة لا زال مفتوحا (١) نراه يقفل هذا الباب بعده الى ألفى سنة ونيفا يقول فى كتابه : " أقدس " : (من يدعى أمرا قبل اتمام ألفى سنة كاملة انه كذاب مفتر نسئل الله بأن يؤيده على الرجوع ان تاب هوالتواب وان أصر على ما قال يبعث عليه من لا يرحمه انه شديد العقاب من يأول هذه الآية أو يفسرها بغير ما نزل فى الظاهر انه محروم من روح الله ورحمته التى سبقت العالمين خافوا الله ولا تتبعوا ما عندكم من الاوهام اتبعوا ما يأمركم به ربكم العزيز الحكيم) (٢) .

ويقول أيضا :

" كل من ادعى امرا قبل سنين كلمة "المستغاث" هو مفتر كذاب اقتلوه حيث ثقفتموه " (٣)

---

(١) انظر عقيدة ختم النبوة ص ١٢٤

(٢) مفتاح باب الابواب ص ٣٥٨

(٣) مفتاح باب الابواب ٣٥٩

ثم ان شرائعه التي جاء بها و ادعاءه نسخ القرآن الكريم كل ذلك شاهد على دعواه النبوة .

المرحلة الثالثة :

بعد المرحلة التي ادعى فيها النبوة يتجاوزها الى ما هو أعظم فرية منها وهو ادعاؤه الربوبية حتى أصبح في كتاباته ومخاطبته للآخرين لا يتكلم الا باسلوب الرب العظيم وهذه نصوص من ذلك :

يقول مخاطبا لأحد دعاته واسمه "عندليب" :

" قل الهي الهي " (يعني نفسه) ايد عبادك على الرجوع اليك والمشاهدة في آثار تلك الاعلى بعينك اى رب لا تمنعهم عن بحر جودك وشمس عطائك ولا تبعدهم عن ساحة قدسك أي رب اسئلك بنور أمرك الذي عند ظهوره محت آثار الشرك والنفاق أن تبدل اريكة الجهل بسرير العلم والعرفان ..) (١)

ويقول :

" وبشر الناس بلقاء الله (اى بلقاء البهاء) في جنة الابهى وقد فتح بابها بالفضل وجوه المقبلين ..." (٢) .

---

(١) مفتاح باب الأبواب ٣٧١
(٢) مفتاح باب الابواب ٣ ٣٨

الرد على ادعاء البهاء للنبوة :

رأينا أن البهاء ادعى المهدوية ثم ادعى الرسالة ثم تجاوزها الى ما هو أعظم منها وهو ادعاؤه الربوبية ، ولو أن البها اقتصر على دعواه المهدوية لسقط من أول وهلة بناء على مخالفاته الصريحة للأوصاف التى وردت فى الآثار النبوية عن المهدى وأهمها ما أخبرت به من أنه يحكم بملة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والحوادث التى تنتج مع مجيئه .

غير أن البهاء تجاوز هذا وادعى نزول الوحى واستطاع أن يقنع اتباعه ومستمعيه بأن باب النبوة لا يزال مفتوحا بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأول النصوص التى تخالف ادعاءه هذا بما يوافقها وقد وجد لهذا الادعاء آذانا صاغية له حيث ادعى فى أول أمره انه جاء متمما لما جاء به سلفه "الباب" فتابعه اتباع الباب على ذلك وقد أيد دعواه هذه وتأويلاته للنصوص بأدلة عقلية وبراهين استفادها من الوسط الشيعى الذى يعيش فيه حيث تكثر الافتراءات على على" ابن أبى طالب كرم الله وجهه وعلى جعفر الصادق رضى الله عنه . ويسند البهما ما همما منه بريئان ويأتى البهاء ليضيف الى هذه الافتراءات الشيء الكثير يقول فى كتابه "الايقان عن جعفر الصادق رضى الله عنه :

" يظهر صبى من بنى هاشم ويأمر الناس ببيعته وهو وكتاب جديد يبايع الناس بكتاب جديد على العرب شديد فان سمعتم منه شيئا فأسرعوا اليه " (١)

وهل يعقل أن يقول جعفر الصادق بهذا القول الذى يخالف به القرآن الكريم فى قوله تعالى عن محمد"

" ما كان محمدا أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين"

---

(١) الايقان ١٦٧

ويخالف قول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : " لا نبي بعدى " وغيره من الأقوال الكثيرة التي تخبر أن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الانبياء والمرسلين وأنه لا نبي بعده .

وكذا يسند البهاء الى على رضى الله عنه كذبا :

" اين المدخر لتجديد الفرائض والسنن وأين التخير لاعادة الملة والشريعة" فهذه القولة قولة مكذوبة على على كرم الله وجهه وهو منها برىء يصعب اثبات صحة سندها اليه وهل يعقل ان عليا يبشر الناس أويوهمهم ان هناك شخص مدخر ومتخير في مستقبل الزمان يعيد الشريعة والملة عن طريق النبوة ؛ كلا وحاشا أن يقول على هذا القول المناقض لكتاب الله وسنة رسوله .

ثم ان البهاء يخطىء المفسرين في تأويلهم لقوله تعالى :

" وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان .. ....) (١) . ويرمي المسلمين بالجهل من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زمانه ويأتي لها بتفسير جديد من عنده يقول :

" يجب أن ننظر الى المقصود من هذه الآية لا الى ما تخيله اليهود من أن السلطان الحقيقي قد خلق الطلعة الموسوية وخلع عليه ثوب الرسالة وبعدها أصبحت يداه مغلولتين وغير قادر على ارسال رسول بعد موسى ...

ثم يخطىء المسلمين ويتساءل بقوله :

وانظر كيف أن جميع هؤلاء الناس يشتغلون بأمثال هذه الأقوال المزخرفة وقد مضى عليهم أكثر من ألف سنة وهم يرددون تلاوتها ويعترضون على اليهود

---

(١) المائدة ٦٤

من حيث لا يشعرون وما التفتوا وما ادركوا بأن ما يقولونه سرا وجهرا هو عين ما يعتقد به اليهود .

كما سمعت أنهم - أى المسلمين - يقولون ان جميع الظهورات قد انتهت وأبواب الرحمة الالهية قد انسدت فلا تطلع بعد ذلك شمس من مشارق القدس المعنوية ولا تظهر أمواج من بحر القدم الصمدانى ولا يأتى هيكل مشهود من خيام الغيب الربانى .

هذا هو مبلغ ادراك هؤلاء الهمج الرعاع الذين اعتقدوا بجواز انقطاع الفيض الكلى والرحمة المنبسطة الامر الذى لا يجوز لأى عقل أو ادراك ان يسلم بانقطاعه (١) .

ان استشهاد البهاء بهذه الآية وتأويلها بهذا التأويل البعيد لأمر عجيب وأكذوبة مكشوفة فهو يخطئ الناس جميعا فى فهمهم لهذه الآية ويأتى لها بتفسير جديد لم يرد عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذى انزلت عليه هذه الآية ولا عن أحد من صحابته ولا تابعيهم ولا عن أحد من المسلمين ان الآية الكريمة لم تكن فى شأن النبوة بل هى فى شأن زعم اليهود ووصفهم لله تعالى بالبخل حيث قالوا : ان الله يبخل علينا ويمنعنا فضله كالمغلولة يده الذى لا يقدر أن يبسطها بعطاء ولا بذل .

يقول ابن كثير رحمه الله فى تفسيرالآية :

(يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة بأنهم وصفوه - تعالى عن قولهم علوا كبيرا - بأنه بخيل كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء

---

(١) الايقان ص ٩٤

وعبروا عن البخل بأن قالوا يد الله مغلولة وقد رد الله عليهم ما قالوه فقال سبحانه : غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء (١)
هذا هو تفسير علماء المسلمين لهذه الآية لا كما يؤوله البهاء بناء على ما ذهب اليه وأتباعه حيث تطاولوا على ما جاء به الانبياء عليهم السلام وراحوا يؤولونه على ما تقتضيه عقولهم وأهواؤهم المريضة ولم يقتصر البهاء على آية أو آيات من القرآن الكريم بل أراد أن يؤول كل آية فيه بما يتناسب مع افترائه النبوة على الله وعلى خلقه . يقول الدكتور عثمان عبد المنعم :

(ان المسلمين لم يجمعوا على ختم النبوة تقليدا لأحد -كما يزعم البهاء- فكتب اليهود والنصارى تبشر بمقدم نبي جديد وان لم يصح عند اليهود تطبيق هذه البشارات على مبعث عيسى ولم يصح عند النصارى تطبيقها على مبعث محمد عليهما السلام وانما كان ختم النبوة بالنبوة المحمدية أمرا جديدا في تاريخ الانبياء لم يقل به النبي الا من وحي ولم يعتقده المسلمون الا بناء على ما قدمناه من الأدلة الدينية والعقلية التي تتمثل في آية الختم والاحاديث النبوية وفي دلالة الصدق المحمدي على صدق هذه النصوص الى غير ذلك من الأدلة العقلية والتاريخية .

لكن البهاء يغفل اغفالا تاما تلك الاحاديث الصحيحة التي تنص صراحة على أنه لا وحي ولا نبوة بعد محمد وقد كان ينبغي له -اذا كان يؤمن بالاسلام حقيقة- أن يرى في هذه السنة الصحيحة تبيانا لمعنى الختم الذي وصف به النبي في القرآن لا ذلك المعنى الخاطئ الذي فسر به آية الختم تفسيرا لا يغلق باب النبوة من بعده ... (٢)) .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٥
(٢) عقيدة ختم النبوة ص ١٢٥

وقد قال في تفسيره لآية الختم وهو قول منه بناء على قوله بالرجعة ووحدة الانبياء :
وعلى ذلك - أي على ما أتى به من أدلة تثبت له عقيدة الرجعة - فاذا كانت النبوة المحمدية هي بعينها النبوة السابقة فوصف الختمية اذن يمكن أن توصف به كل نبوة دون أن يقتضى ذلك انقطاعها (١) .

وهذا قول باطل ومردود عليه اذ أن القول بالرجعة هو قول بتناسخ الارواح وتناسخ النفوس في أجساد انسانية أو حيوانية أمر لا يقوم عليه دليل عقلي ولا يشهد له الواقع ويخالف ما أجمعت عليه الاديان من عقيدة البعث والجزاء الأخروى . (٢)

وهناك برهان عقلي استدل به البهاء على بقاء باب النبوة مفتوحا يقول :
ان في ختم النبوة انقطاعا للفيض الالهي وحجرا على الرحمة الربانية وهذا ولا شك برهان باطل وقول خيالي لا حقيقة فيه وهنا أورد جواب الدكتور عثمان عبد المنعم على هذا البرهان حيث قال :
(وقول البهاء أن في ختم النبوة انقطاعا للفيض الالهي وحجرا على الرحمة الربانية قول خيالي لا حقيقة فيه والا فماذا اذا تمت الرحمة وكملت النعمة بالاسلام ، واذا كان البهاء يؤمن بالقرآن فكيف لم يؤمن بقوله تعالى :
" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا " (٣)
فهل يحتاج الدين الكامل الى دين يكمله وهل تحتاج النعمة التامة الى نعمة تتمها ؟ وماذا يكون غير الكمال والتمام الا النقص ؟ ووصف الاسلام بالكمال والتمام وصف من الله له وليس وصفا من المسلمين ، كما كان وصف النبي بالختم وصفا الهيا

---

(١) انظر عقيدة ختم النبوة ص ١٢٦
(٢) انظر عقيدة ختم النبوة ص ١٣٦
(٣) المائدة ٣

كذلك ومن ثم فلم يحجر المسلمون على الرحمة والنعمة الالهية بهذه العقيدة من قبل أنفسهم وانما تلك الرحمة وهذه النعمة هى التى أعلنت كمالها وتمامها بهذا الدين الذى يدوم به فيض الهدى الالهى مادام استمداد الناس منه وتمسكهم به . (١)

واكتفى بهذا القدر فى الرد على البهاء فى دعواه النبوة وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين .

---

(١) عقيدة ختم النبوة ص ١٣٩

٣ ـ القاديانيـــــة :

القاديانية طائفة ضالة تنتسب الى رجل يسمى غلام أحمد بن غـــلام القادياني (١) . حاولت هذه الطائفة أن تختفي وراء الانتساب الــى الاسلام وهي تقوم على مخالفات واضحة لامور مجمع عليها في الاسلام وهـى مع ذلك نحلة مشبوهة يقف وراءها الكيد الصليبي والسياسات الاستعمارية والحقد الصهيوني والتي تتفق جميعها على الدس للاسلام ومحاربته بكل الوسائل ، ولهذا عمدوا الى استغلال شخصية غلام أحمد القادياني للقيام بهذه المكيـــدة وقد ساعدهم على هذا الاختيار عناصر ثلاثة كانت متوفرة في شخصية غلام احمد وهي :

١ ـ عمالته المتوارثة للانجليز .

٢ ـ الاختلال العقلي والنفسي عنده وزاد في ذلك ادمانه الشديد علـــى المخدرات من خمور وحشيش وافيون .

٣ ـ امعانه في الخلوة والمجاهدات الصوفية التي اتبع فيها منهج التصـوف الهندي بما يؤدي اليه ذلك من اضطراب في الرؤية العقلية وتجســد الاوهام والتصورات الباطلة أمام صاحبها في صورة حقائق واقعة .

الأمر الاول : وهو عمالته للانجليز :

فهو أمر لا يكاد يحتاج الى اثبات أو جدل لان كتاباته تصرح بذلك فـــي مواطن كثيرة على سبيل الفخر والتباهي فهو يقول في كتابه " ترياق القلــوب" ص ١٥ : " لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الانجليزية ونصرتها وقـــد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة ولى الأمر " الانجليز" من الكتب والاعلانـــات والنشرات ما لو جمع بعضها الى بعض لملأ خمسين خزانة وقد نشرت جميع هذه

---

(١) ولد في قرية "قاديان" عام ١٢٥٢ هـ/١٨٣٩م وتلقى مبادىء العلـم وقرأ الكتب المتوسطة في المنطق والحكمة والعلوم الدينية والادبية ثم درس

الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وتركيا وكان هدفي دائما ان يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة وتمحى من قلوبهم قصص المهدي السفاك والمسيح السفاح والأحكام التي تبعث فيهم عاطفة الجهاد وتفسد قلوب الحمقى" .

ويقول في كتابه " شهادة القرآن " :

ان عقيدتي التي أكررها أن الاسلام جزئين : الجزء الاول اطاعة الله والجزء الثاني اطاعة الحكومة التي بسطت الأمن وآوتنا في ظلها من الظالمين وهي الحكومة البريطانية (١) .

ولهذا الولاء العجيب كان يلجأ للمستعمرين الانجليز ليحموه عند ما يتحداه المسلمون وعلماؤهم للتناظر واثبات نبوته فكان يضعف أمام تحدياتهم فيكافأ من الانجليز بالقبض على العلماء الذين يعلنون هذا التحدي ضده ليخلو له الجو وأصدر الحاكم العام للهند من قبل الانجليز قانونا يحمي الميرزا وطائفته من أن يتعدى عليهم أحد حتى انه كان في تنقلاته تحوطه

= الطب القديم على والده ثم توظف في محكمة حاكم المديرية في مدينة سيالكوت وبقي على ذلك أربع سنوات من عام ١٨٦٤م - الى عام ١٨٦٨م ثم استقال من هذه الوظيفة وشارك والده في المحاكمات والقضايا التي كان مشغولا بها ولوحظ عليه من بداية أمره البساطة والغباوة حتى أنه كان لا يميز بين أحذيته اليمنى من اليسرى حتى اضطر لوضع الحبر على احداهما وأصيب في شبابه بمرض الهستيريا والنوبات العصبية العنيفة وكان يغمى عليه في بعض هذه النوبات ويخر صريعا ، بدأ حياته في تقشف وزهادة لقلة ذات اليد ثم اقبلت عليه الدنيا فتوسع في المطاعم والمشارب والابنية وعني بتناول الاطعمة المغذية والادوية . ثم انه في عام ١٩٠٧م تحدى العالم المشهور (ثناء الله الامرتسري) بأن الكاذب المفتري من الرجلين سيموت ودعا الله تعالى ان يقبض المبطل في حياة صاحبه ويسلط عليه داءا مثل الهيضة والطاعون يكون فيه حتفه وفي سنة ١٩٠٨م أصيب الغلام بالهيضة الوبائية وهو في لاهور ثم نقلت جثته الى قاديان ودفن فيها .
انظر (القادياني والقاديانية دراسة وتحليل لابي الحسن علي الحسني الندوي ص ٢٢ - ٢٩ .

(١) النصين عن كتاب : القادياني والقاديانية لابي الحسن ندوي ص ٩٦ - ٩٧

الشرطة لحمايته . (١)

الأمر الثاني : وهو الاختلال العقلي والنفسي للميرزا غلام احمد فان القاديانية أنفسهم يقررون أن غلامهم كان مصابا بالمراق وكان بعض أفراد أسرته مصابا به أيضا وهو مرض في الدماغ تتغير بسببه الأخيلة والأفكار الطبيعية الى التشويش والفساد في التصور حتى يظن المريض به أن قوى الغيب تكلمه ، قالت مجلة قاديانية ما نصه : ان حضرة المسيح ابتلى بمرض المراق بسبب ضعف في الدماغ (٢)

وكتب طبيب قادياني : " دكتور شاه نواز " وهو يذكر أمراض غلام أحمد :

(ان امراض سيدنا مثلا : دوران الرأس ووجع الرأس وقلة النوم وسوء الهضم وضعف القلب والاسهال وكثرة البول والمراق وغيره (ايضا) كان سببها واحدا وهو الضعف) . (٣)

الأمر الثالث : امعانه في الخلوة والمجاهدات الصوفية :

مارس الغلام التجارب والتأملات الصوفية وتأثر في ذلك بالمنهج الهندى في " اليوجا " بحكم البيئة العامة التي كان فيها فشعر من جراء الاستغراق في ذلك بأنه انسان غير عادى وان الله يلهمه ويكشف له الأمور الغيبية ويبعثه لهداية الضالين فخدعته تجاربه الصوفية التي اغرق نفسه فيها على ضوء نظرية وحدة الوجود واتباعا لضلالة " الفناء في الاله " فتوهم أن الله تعالى قد تجلى فيه كما تجلى في المسيح بن مريم على حد زعم النصرانية .

ولقد صادفت هذه المجاهدات الصوفية استعدادا مرضيا واضطرابا نفسيا

---

(١) انظر القاديانية نشأتها وتطورها حسن عيسى عبد الظاهر ص ١٠٥
(٢) القاديانية احسان الهي ظهير ص ١٣٣ ط ٣
(٣) القاديانية احسان الهي ظهير ص ١٣٤

عند الغلام ناتج عن ادمانه للخمر والمخدرات من حشيش وأفيون فلا غرابة بعد ذلك كله أن يدعى الغلام النبوة .

مراحل ادعاءات الميرزا غلام القادياني :

كان من أهم مراحل دعوة القادياني ما يأتى :

١ - اعلانه أنه مجدد فى الاسلام : فأعلن فى سنة ١٨٧٩م انه مجدد فى الاسلام وألف كتاب "براهين أحمدية" وركز فى هذا الكتاب على زعم أنه مأمور من الله تعالى لاصلاح العالم ، والدعوة الى الاسلام ومجدد لهذا الدين، ومن أجل تحقيق هذا الهدف ادعى أن له مماثلة للمسيح -عليه السلام - وأنكر الحاجة الى نبوة جديدة ووحى جديد وأنه ألهم : (أنت على بينة من ربك فبشر وما أنت بنعمة ربك بمجنون .) وتناول فى هذه المرحلة التعريف بالاسلام واثبات فضله وبيان اعجاز القرآن واثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - وأسهب فى الرد على الديانات والنحل السائدة فى الهند آنذاك وكانت هذه المرحلة بمثابة اعلان عنه أخرجه من الخمول والعزلة التى كان يعيش فيها الى استلفات الانظار وتجمع بعض القلوب عليه وذيوع خبره فى البلاد الهندية ويستشعر هو بنفسه هذا الأمر ولا يفوته أن يدونه بقوله :
(لقد كنت فى ذلك العصر رجلا خاملا ليس له معارض ولا موافق أعيش فى زاوية الخمول وكنت كميت مدفون فى قبره من قرون ولا يعرف أحد لمن هذا القبر ومن هو الدفين فيه) (١) .

---

(١) انظر القاديانية نشأتها وتطورها حسن عيسى عبد الظاهر ص ٦١ - ٦٣ والقادياني والقاديانية للندوى ص ٣٩ - ٤٩

٢ - ادعاؤه أنه المسيح الموعود والمهدى المنتظر:

فى سنة ١٨٩١م وهى السنة التى تعتبر الخط الفاصل ونقطة التحول فى حياة القاديانى وفى تاريخ القاديانية فى هذه السنة اقترح "الحكيم نورالدين" وهو صديق حميم للمرزا غلام أحمد اقترح على الميرزا بأن يظهر بمظهر المسيح ويدعى أنه هوالمسيح الذى أخبر بنزوله وكثر الحديث عنه فى المجتمع الاسلامى وقدر الحكيم بذكائه أن المسلمين لا شك انهم يرحبون بهذه الدعوى ويخضعون لها بعد ما عرف عن الميرزا من دفاعه عن الاسلام واعتقدوا فيه الولاية لكثرة الهاماته ومناماته ومبشراته (١) .

ويقبل الميرزا الاقتراح ويعلن ذلك فى قوة وصراحة واستدلال ويدعو اليه يقول القاديانى ما ترجمته :

(أيها الناس اذا كنتم أصحاب ايمان ودين فاحمدوا الله واسجدوا لله شكرا ان العصر الذى قضى آباؤكم حياتهم فى انتظاره ولم يدركوه وتشوقت اليه أرواح ولم تسعد به قد حل وادركتموه واليكم وحدكم أن تقدروا هذه النعمة وتنتهزوا هذه الفرصة سأكرر ذلك ولا أفتأ أذكره ، اننى ذلك الرجل الذى أرسل لاصلاح الحق ليقم هذا الدين فى القلوب من جديد" (٢) .

ثم يقول : لقد أرسلت كما ارسل الرجل (المسيح) بعد كليم الله موسى الذى رفعت روحه بعد تعذيب وايذاء شديدين فى عهد "هيروديس" فلما جاء الكليم الثانى محمد صلى الله عليه وسلم الذى هو أول كليم وسيد الانبياء لقمع الفراعنة الآخرين الذى قال الله

---

(١) انظر القاديانى والقاديانية للندوى ص ٥٦

(٢) القاديانى والقاديانية للندوى ص ٥٧

تعالى عنه :

(انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا)

فكان "لابد أن يكون بعد هذا النبى الذى هو فى تصرفاته مثل الكليم ولكنه أفضل منه - من يرث قوة مثيل المسيح وطبعه وخاصيته ويكون نزوله فى مدة تقارب المدة التى كانت بين الكليم الاول والمسيح بن مريم يعنى فى القرن الرابع عشر الهجرى وقد نزل هذا المسيح وكان نزوله روحانيا" (١) .

وعند ما اعترض عليه بأن المسيح عليه السلام ينزل وله علامات فهو ينزل بدمشق وعند المنارة البيضاء وعليه رداءان أصفران أجاب عن هذه الاعتراضات فقال عن دمشق :

" فليعلم الاخوان أن الله اطلعنى فى ما يتصل بكلمة دمشق على أن المسمى بهذا الاسم - دمشق قرية يسكنها رجال طبيعتهم يزيدية ...

ويقول : ان كلمة دمشق انما استعملت استعارة

ويقول : (ان قرية قاديان مشابهة بدمشق فأنزلنى الله الأمر العظيم فى دمشق هذه بطرف شرقى عند المنارة البيضاء من المسجد الذى من دخله كان آمنا فتبارك الذى انزلنى فى هذا المقام (٢) .

ويقول صاحب القول الصريح وهو من كبار القاديانية :

(فالمسيح الموعود ظهر من قرية قاديان التابعة لولاية بنجاب وهى فى شرقى دمشق تماما (٣) أما عن المنارة البيضاء فقد أراد أن يفسرها ببناء منارة فى شرقى قاديان وقرر ذلك سنة ١٩٠٠م وفتح الاكتتاب لذلك وحث على الاعانات

---

(١) المرجع السابق

(٢) المرجع السابق ص ٦٠ - ٦١

(٣) القول الصريح فى ظهور المهدى والمسيح نذير احمد السيالكوتى أمير القاديانية فى غانا ص ١٥٩

ووضع اساسها عام ١٩٠٣م وتم بناؤها بعد وفاته . وقد علل للرداءين الاصفرين بالعلة يقول :

جاء في الحديث أن المسيح ينزل وعليه رداءان أصفران وهذا شأني فانني أعاني علتين احداهما في مقدم جسمي وهو الدوار الشديد الذي قد اخر به على الارض ويضعف دوران الدم في القلب وأخاف به على نفسي . والعلة الثانية في أسفل الجسم وهي كثرة البول التي تسمى "الديابطس" والذين يرفضونني يؤمنون بأن المسيح يحمل هذه الآية من السماء وهي علتان احداهما في مقدم الجسم والاخرى في مؤخره". (١)

٣ ـ ادعاؤه النبوة :

رأينا فيما تقدم ان الحكيم نورالدين قد رشح الميرزا لادعاء أنه المسيح الموعود وهنا نرى كيف أن رجلا آخر من اتباعه هوالشيخ "عبدالكريم" قد رشح القادياني لهذه المرحلة وذلك سنة ١٩٠٠م حيث القى الشيخ عبدالكريم خطبة الجمعة ذكر فيها أن الميرزا غلام أحمد مرسل من الله وان الايمان به واجب والذى يؤمن بالانبياء ولا يؤمن به يفرق بين الرسل ويخالف قوله تعالى في وصف المؤمنين : " لا تفرق بين أحد من رسله" ثم عاد في الجمعة التي تليها مباشرة ومن فوق المنبر أيضا التفت الى الميرزا وقال له :

(أنا أعتقد أنك نبي ورسول فان كنتُ مخطئا نبهني على ذلك ، ولما انتهوا من الصلاة وهم المرزا بالانصراف أمسك عبدالكريم بذيله وطلب منه الحكم فأقبل اليه المرزا وقال :" هذا الذى أدين به وأدعيه" .

وألقى ذلك الشيخ محمد أحسن وجعل يناقش المولوى عبدالكريم وارتفع صوتهما فخرج

---

(١) انظر القادياني والقاديانية لابى الحسن الندوى ص ٦٢ - ٦٤

الميرزا من بيته وقال :

" يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي " (١) .

وهكذا تنتهي هذه المراحل بدعواه للنبوة فيعلن سنة ١٩٠١م أنه نبي مستقل وأفضل من جميع الانبياء والمرسلين .

وقد عرف أهل البصائر قبل ادعائه النبوة أنه يريد هذا ولكنه انكر أول الامر اشد انكار وقال : انا اعتقد كل ما يعتقده أهل السنة كما اعتقد أن محمدا خاتم النبيين ومن يدعي النبوة بعده فهو كافر كاذب لاني اومن ان الرسالة بدأت من آدم وانتهت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه ارتقى شيئا بايعاز من الاستعمار وقال : " انا لست بنبي ولكن الله جعلني محدثا وكليما لكي أجدد دين المصطفى وتدريجا بلغ الى أن قال " أنا لست بنبي ولكني محدث والمحدث نبي بالقوة وليس نبي بالفعل ثم تدرج حتى قال : " أنا لست بنبي أضاهي محمدا أوجئت بشريعة جديدة بل كل ما فيه انا نبي متبع ، وأخيرا صرح بقوله :

"والله الذي في قبضته روحي هو الذي أرسلني وسماني نبيا وأظهر لصدق دعواي آيات بينات بلغ عددها ثلاثمائة ألف بينة " (٢) .

---

(١) القاديانى والقاديانية للندوى ص ٦٨

(٢) انظر القاديانية دراسة وتحليل إحسان الهي ظهير ص ١٣٨

الرد على القادياني :

مقدمـــــة :

لو أردنا تتبع عثرات القادياني كلها لرأيناها كثيرة جدا في جميع ما كتب ولما وجدنا فيها شيئا يستحق القبول فضلا عن المدح أو الثناء .

وأول ما يدركه القارىء المتتبع لآثاره وأقواله هو التناقض والكذب والفحش في الكلام والفساد في العقيدة .

وتشهد تناقضه فيما يتعلق بنسبه فهو من اسرة نزحت قديما من سمرقند واستوطنت قرية " قاديان " وهذه الاسرة تنتمي الى الترك والى السلالة المغولية منهم ولكنه تنكر لهذا الانتساب بعد أن يقره فيزعم الانتساب الى الفرس ويقول :

قرأت في كتب سوانح آبائي وسمعت من أبي ان آبائي كانوا من الجرثومة المغولية ولكن الله أوحى الي أنهم كانوا من بني " فارس " لا من الاقوام التركية . . . ومع ذلك أخبرني ربي بأن بعض امهاتي كن من بني الفاطمة ومن أهل بيت النبوة والله جمع فيهم نسل اسحاق واسماعيل من كمال الحكمة والمصلحة . (١)

وقد أراد من انتسابه هذا أن يتفق نسبه مع دعواه ليوافق الحديث الذي رواه الصحيحين وهو :

لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس أو قال من أبناء فارس حتـــى يتناوله . (٢) .

---

(١) انظر القاديانية نشأتها وتطورها حسن عيسى ص ٤٠

(٢) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل فارس حديث رقم ٢٣١ مجلده مطابع الشعب .
وروا البخاري في صحيحه كتاب التفسير تفسير سورة الجمعه .

وقد صرح بذلك أتباعه ، قال بعضهم :

" والحق أن المراد من النبأ النبوى صلى الله عليه وسلم : لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء " اى من أبناء فارس هو سيدنا ميرزا غلام احمد القاديانى المسيح الموعود عليه السلام ". (١) .

وهذا ولا شك تأويل باطل مردود ولا يمكن أن يؤيده الحديث فالحديث لم يقل لو كان الوحى بل قال لو كان الدين والمراد به الدين الصحيح الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو بعيد كل البعد عما جاء به القاديانى والذى لا يزال يتقمص الأحاديث التى تتحدث عن الصالحين ليؤولها على شخصيته المزيفة .

ثم بعد أن ادعى النسب الفارسي وزعم ما زعم ورأى أن هذه المزاعم مكشوفة انتقل الى زعم آخر حيث ادعى أنه من آل البيت لان احدى جداته كانت من آل بيت النبى محمد صلى الله عليه وسلم وهو يريد بذلك أن يمهد لدعواه "المهدية" ولكن الآثار الواردة عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم تظهر المهدى بمظهر الرجل المصلح المجدد للدين البرىء من الكذب والفجور والافتراءات نقى العقيدة متبعا لا مبتدعا على خلاف ما هو الحال الذى يتصف به المتنبىء القاديانى الكاذب .

ولولا ان هذه النحلة الخبيثة قد اغتر بها كثير من جهلاء المسلمين الذين يعتنقون الاسلام ولا يعرفون عنه الا الاسم وخاصة من أبناء البيئة التى ظهرت فيها ووقف خلفها الانجليز والصليبيون ينمونها ويمدون مراكزها بالمال والعتاد لمآرب ومصالح تخدم مصالحهم لولا ذلك كله لما قامت لها قائمة ولما احتجنا لهذا الجهد .

---

(١) انظر القول الصريح فى ظهور المهدى والمسيح تأليف نذير احمد طبعة وكالة التبشير ص ٤٧

العظيم الذى قام به علماؤنا للدفاع عن عقيدة ختم النبوة والتصدى لاعدائهما من أشباه هذه النحلة الخبيثة وذلك لان هذه النحل تحمل معاول هدمها فى أفكارها وآرائها وفى سيرة الموجدين لها كما هو الحال فى اخلاق احمد القاديانى واضطراباته العقلية والنفسية -كما اسلفنا .

غير أنه من أجل وجود العوامل السابقة ووقوفها مع القاديانى ونحلته استطاعت هذه النحلة ان تنتشر فى كل بلد من بلدان العالم تبث سمومها وأفكارها للنيل من الاسلام ومن رسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم واستطاعت أن تشوه الصورة الحقيقية لرسالة الاسلام الخالدة .

وبعد هذه المقدمة الموجزة فى الرد على القاديانية سأناقش دعواه النبوة لمخالفتها لعقيدة ختم النبوة التى هى من أخص خصائص الرسالة المحمدية - كما رأينا - .

الرد على نفي القاديانية ختم النبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم :

علمنا فيما سبق أن الامة الاسلامية أجمعت على أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فلا نبي بعده وأن كل من يدعي النبوة بعده فهو كاذب . واذا ادعى أحد أنه يوحى اليه أو أنه نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم فهو مرتد وخارج عن الاسلام لانكاره أمرا مجمعا عليه ومخالفته لنصوص الكتاب والسنة .

ولا شك أن هذا الحكم ينطبق على "غلام احمد القادياني" لادعائه النبوة في مثل قولـــه : " والله الذي في قبضته روحي هو الذي ارسلني وسماني نبيـــا ..... وأظهر لصدق دعواي آيات بينات بلغ عددها ثلاثمائة الف بينة " (١) .

وفي براهين أحمدية قال : " ولي مليون معجزه" (٢) .

وهو بهذه الدعوى الكاذبة المفتراه خارج ومرتد عن الاسلام ويصدق عليه قولـــه هو : " أن من يدعي النبوة بعد محمد هو أخو مسيلمة الكذاب وكافر وخبيث " ، وقوله : " نحن نلعن من يدعي النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم " (٣) .

وقد أصدرت دور الفتوى في العالم الاسلامي فتاوى صريحة بكفرهـــم وارتدادهم عن دين الاسلام (٤) .

وكذا أصدرت الجمعية الوطنية الباكستانية في يوم الاحد ٢١ شعبان ١٣٩٤ هـ قرارا أعلنت فيه تعديلا دستوريا بموجبه تعتبر الطائفة القاديانية أقلية غيـــر مسلمة (٥) .

---

(١) القاديانية تاريخها غاياتها رسالة لماذا القاديانيون أقلية . احمد ظاهر ص ٦٢ . والقاديانية دراسات وتحليل ص ١٣٩ .
(٢) القاديانية تاريخها غاياتها رسالة : القاديانيون في مرآتهم ص ١٠١
(٣) القاديانية دراسات وتحليل ١٣٩
(٤) القاديانية نشأتها وتطورها حسن عيسى عبدالظاهر ص ١٩٢
(٥) مجلة رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة رمضان ١٣٩٤ هـ ص ٤

ومن هنا يتضح لنا جليا أن أصحاب هذه النحلة غير مسلمين ومن كان منهم من المسلمين ثم اعتنق هذه النحلة فهو داخل فى حكم المرتد (١) رغم ما ادعى القاديانيون من أنهم مسلمون وأنهم انما يعملون من أجل الاسلام وكان يكفينا فى نقض ادعاء غلامهم النبوة ما نراه فى مؤلفاته الكثيرة من التناقض والتعارض والركاكة اللغوية والفحش فى العبارة عند الخصومة والتطاول على أنبياء الله ورسله ، وقد أفرد الاستاذ احسان الهى ظهير فى كتابه : "القاديانية دراسات وتحليل" أفرد بابا بعنوان المتنبى القاديانى وتنبوءاته ، والقارىء لذلك يرى عجبا حيث يرى غلام أحمد المتنبى فى صورة رجل ضعيف جرىء فى الكذب تتملكه شهواته المخزية التى لا تليق بانسان عادى فضلا عن نبى أو أفضل الانبياء - كما يزعم القاديانى لنفسه - ويتوسل الى قضاء شهواته بالاستجداء والتحايل وعندما لا يصل الى مآربه يتخذ أسلوب النبوة - التى يدعيها على سبيل التهديد حيث تخيب نبوءاته كلها مما يترتب عن ذلك سخرية الساخرين . (٢)

فكيف يصح فى العقل ان يكون مثل هذا المخلوق مصلحا مجددا فضلا عن أن يكون نبيا أو أفضل الانبياء كما يزعم ذلك كله لنفسه .

وهذا الذى نلاحظه فى مؤلفاته - من التعارض والتناقض .. الخ - مقياس واضح لذوى العقول لتستبين به الصواب من الخطأ فى أمر هذا المدعى الكاذب وقد أسس هو بنفسه هذه القاعدة حين قال :

(لا يوجد أى شىء أحسن وأفضل لاختبار صدقى وكذبى من تنبوءاتى)(٣) .

---

(١) انظر افكار الملحدين محمد أنور ص ٥٣

(٢) انظر القاديانية دراسات وتحليل ص ١٦٠

(٣) المرجع السابق ص ١٦١

ولكن الامر لم يقف على ما أتى به وادعاه المتنبى غلام أحمد بل خرج الى أتباع له زين لهم الشيطان حب الباطل وتزييف الحقائق واظهر الباطل فى صورة الحق فحاولوا تنقية أفكار الغلام من التناقض واضافة أدلة بأساليب قد يغتر بها وينخدع من لا يدرك حقيقتها وزيفها ، وأول ما عمدوا اليه هو محاولتهم التخلص من النصوص الصريحة التي ورد بها القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والتى تثبت ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم وتنفى النبوة لاحد بعده .

ولهذا عمدوا الى القول بأن النبوة تنقسم الى نبوة تشريعية وغير تشريعية وأولوا تلك النصوص على ضوء هذا التقسيم .

يقول احد زعماء القاديانية :

(الوحى الذى هو منقطع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وحى التشريع لا الوحى مطلقا) .

ويقول :

" اعلم أن النبوة تكون على قسمين : تشريعية وغير تشريعية . . . فالنبوة التشريعية كنبوة موسى وغير التشريعية كنبوة الانبياء الذين جاءوا مؤيدين للتوراة . . . . ثم ان النبوة غير التشريعية على نوعين نبوة مستقلة ونبوة غير مستقلة فالنبوة المستقلة هى نبوة الانبياء الذين جاءوا قبل النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا حصلوا على درجة النبوة على الطريقة المستقلة اى لم يكن اتباع نبى سابق شرطا للحصول عليها وأما النبوة الغير مستقلة فهى النبوة المستفادة باتباع نبى آخر كنبوة احمد المسيح الموعود عليه السلام لانه حصل على النبوة باتباع سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلتا النبوتين الاوليين أعنى النبوة التشريعية والنبوة المستقلة قد انقطعتا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية :

" ... اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ..."(١) . وآية " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ...."(٢) . وآية " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .." (٣)

وأما النبوة الغير مستقلة فانها باقية الى يوم القيامة بآية :

"ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا" .. (٤) لانها فيض نبوة خاتم النبيين وظله صلى الله عليه وسلم وليس ثمة مقام الغيرية والى هذا أشار المسيح الموعود (اى غلام احمد) بقوله : وان نبينا خاتم الانبياء لا نبى بعده الا الذى ينور بنوره ويكون ظهوره ظل ظهوره فالوحى لنا حق وملك بعد الاتباع وهو ضالة فطرتنا وجدناه من هذا النبي المطاع" (٥) .

وتقسيمهم للنبوة -كما نفهم من النص السابق- الى قسم ختم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقسم لم يختم بها تقسيم باطل اذ الآية الكريمة التى تصرح بأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لم تستثن شيئا من أقسام النبوة ولا من الانبياء وكذلك جميع الاحاديث التى جاءت مصرحة أيضا بما صرحت به الآية من انقطاع حدوث وصف النبوة لاحد بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولو كان هناك قسم من أقسام النبوة سيوجد لأخبرت تلك النصوص بذلك اذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز .

---

(١) المائدة ٣
(٢) الاحزاب ٤٠
(٣) الحجر ٩
(٤) النساء ٦٩
(٥) القول الصريح فى ظهور المهدى والمسيح نذير احمد ص ١٦٨ - ١٧١

واستدلالهم على بقاء النبوة غير المستقلة التي يزعمون أن غلام احمد أتى بها بقوله تعالى :

" ومن يطع الله والرسول .. الآية " فوجه استدلالهم أن اتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يؤدى الى أن ينال بذلك درجة النبوة والصديقية والشهادة وهذا استدلال باطل اذ الآية الكريمة لم تجعل من يطيع الرسول نبيا ولكنها جعلت له صحبة الانبياء والصديقين والشهداء ولو صح هذا الاستدلال منهم لما انحصرت النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم فى الآحاد أو العشرات فضلا عن أن تنحصر فى فرد واحد والا فكم كان بعد النبى وكم سيظل من كملة الاتباع واذا كان النبى محمد صلى الله عليه وسلم أخبر أن خير القرون قرنه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (١) وكان معنى ذلك أن أحدا لم يبلغ درجة الصحبة فكيف نبلغ بأحد ما درجة النبوة (٢) .

ومن العجب أن يعمد القاديانيون الى تأويل قوله تعالى فى حق محمد صلى الله عليه وسلم : " ..... وخاتم النبيين "فيؤولونه بالآخر اذا كان المراد بالنبيين أنبياء التشريع فقط وبالافضل والزينة اذا أريد بالنبيين عامتهم وقد علمنا فيما سبق أن كلمة خاتم لم تأت فى لغة العرب لمعنى الأفضلية والزينة ولم يقل بذلك أحد فكيف يصح أن يدعى هؤلاء الذين لا يعرفون شيئا من اللغة العربية أن الخاتم يأتى لمعنى الأفضل والزينة ويحملون عليه معنى الخاتم فى الآية اذا أرادوا بالأنبياء عامتهم أو أرادوا النبوة غير التشريعية غير المستقلة على حسب تقسيمهم والذى يخصصون هذا النوع من النبوة بغلامهم ويستدلون عليه من الآية بهذا التأويل البعيد الباطل .

---

(١) صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٢٤ ط مطابع الشعب وصحيح مسلم بشرح النووى ج ٥ ص ٣٩٢ - ٣٩٧

(٢) انظر عقيدة ختم النبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ص ١٩٧

ثم من أين لنا أن نعرف مراد الله من قوله "خاتم النبيين" هل أراد به آخرهم أو أفضلهم وزينتهم اذا أغفلنا دلالة اللغة العربية وأقوال أهل اللغة وأقوال المفسرين وما صرحت به السنة المطهرة وذهبنا الى تأويل القاديانية هذا ورغم معرفة زعمائهم للحق الذى فسر به العلماء قوله تعالى "وخاتم النبيين" وأن معناه آخر الانبياء فلا نبى بعده الا انهم يصرون على تمسكهم بباطلهم الذى فسروا به هذه الآية الكريمة فيقول احد زعمائهم وهو نذير احمد القاديانى :

" ... وان أصر أحد على أنه بمعنى "الآخر زمانا فيمكننا أن نجعله مطابقا للمعانى الأخرى بكل سهولة ونقول ان المراد من النبيين هم المشرعون والمستقلون ... لان النبوة التشريعية والمستقلة كانت موجودة قبل النبى صلى الله عليه وسلم وأما النبوة الغير مستقلة اى النبوة الظلية فما كانت موجودة قبله ." (١)

وأما موقفهم من الاحاديث النبوية الكثيرة التى تصرح بختم النبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكموقفهم من الآية نفسها فأولوا تلك الاحاديث لتخدم ضلالهم وافتراءهم فجعلوا لكل حديث منها تأويلا مخالفا للحق يناسب دعواهم . فمثلا أحاديث " لا نبى بعدى" يقولون أنه لنفى الكمال أو يحملون كلمة " بعد " بمعنى "غير " ليقولوا ان غلام أحمد ليس غير محمد صلى الله عليه وسلم بل هو ظل محمد صلى الله عليه وسلم . وكل مايذهبون اليه فى تأويل تلك الأحاديث الشريفة ليس الا تزويرا وتضليلا والا فانه لا يوجد فى أى معجم من معاجم اللغة العربية ان معنى "بعد" هو : "غير" كما لا يوجد فى كلام العرب انهم استعملوه فى معنى المغايرة والمخالفة ثم ان هناك أحاديث لم يرد فيها لفظة بعد مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " انى آخر الأنبياء" (٢) وقوله " لم يبق من النبوة

---

(١) القول الصحيح فى ظهور المهدى والمسيح ١٧٦ - ١٧٧
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٣ ص ٥٣٨ دار مطابع الشعب

الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة" (١) .

. . . . .

ولهم أيضا أحاديث يستدلون بها على بقاء النبوة ولكنها كلها لا تخلو من القدح فهى اما موضوعة لا أصل لها أومنقطعة لا تصلح أن تكون دليلا ولا تقوى على معارضة الأحاديث الصحيحة الصريحة فى ختم النبوة فضلا عن الآية الكريمة .

وفى كتاب القول الصريح فى ظهورالمهدى والمسيح لأمير الجماعة الاحمدية فى افريقيا الغربية ذكر المؤلف تحت عنوان " ثبوت بقاء النبوة من الاحاديث" ذكر أحاديث لا يخلو استدلاله بها من الطعن اما من حيث ضعف الرواية أو التحايل فى وجهة الاستدلال منها .

ومن هذه الاحاديث :

قال النبى صلى الله عليه وسلم حينما توفى ابراهيم فى السنة العاشرة من الهجرة : لوعاش لكان صديقا نبيا - مع أن آية " خاتم النبيين" نزلت فى السنة الخامسة فلوكان معنى خاتم النبيين آخرهم زمانا لا يأتى بعده نبى للزم أن يقول النبى صلى الله عليه وسلم " لوعاش ابراهيم لما كان نبيا لاننى خاتم النبيين . (٢) والجواب :

ان هذه الرواية خاصة يكثر القاديانيون الاستشهاد بها على استمرار فتح النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولكن لا يصح استشهادهم بهذه الرواية مطلقا وذلك لما يأتى :

١ - ان هذه الرواية التى رواها ابن ماجه فى سننه (٣) أحد رجال سندها مجروح فيه وهو ابراهيم بن عثمان أبوشيبة العبسى قال عنه ابن معين ليس

---

(١) صحيح البخارى ج ٩ ص ٤٠ طبعة مطابع الشعب
(٢) القول الصحيح فى ظهور المهدى والمسيح ص ٢٠٤
(٣) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٨٤

بثقة وقال احمد : ضعيف وقال البخارى سكتوا عنه . وقال النسائى : متروك الحديث (١) وانكر الامام النووى هذه الرواية حيث قال :

وأما ما روى عن بعض المتقدمين " لو عاش ابراهيم لكان نبيا .. فباطل وجسارة على الكلام فى المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم من الزلات " (٢) .

٢ - لو سلمنا بصحة اسناد هذه الرواية فلا يكون ذلك مناقضا لختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم لان معناه ان ابراهيم لو عاش لكان صديقا نبيا ولكن لم يكن ليعيش لان ختم النبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان مانعا لحياته ويؤيد هذا المعنى ما رواه البخارى (٣) واحمد (٤) عن ابن أبى أوفى رضى الله عنه لما سئل عن ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مات صغيرا ولو قضى أن يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبى عاش ابنه ولكن لا نبى بعده ". (٥)

. . . .

ومن الأحاديث التى يستشهدون بها أيضا ما يسند لعائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت قولوا خاتم النبيين ولا تقولوا لا نبى بعدى " .

والجواب : أن هذه الرواية لا سند لها ولا صحة لها و هى رواية موضوعة لم ترد فى أى من كتب السنة المشهورة .

ومنها ايضا يستشهدون بقول النبى صلى الله عليه وسلم :

أنا سيد الاولين والآخرين من النبيين ولا فخر "

---

(١) انظر ميزان الاعتدال للذهبى ج ١ ص ٤٧ - ٤٨
(٢) تهذيب الاسماء واللغات ج ١ ص ١٠٣
(٣) صحيح البخارى ج ٨ ص ٥٤ دار مطابع الشعب
(٤) مسند أحمد ج ٤ ص ٣٥٣
(٥) انظر القاديانية دراسات وتحليل ص ٢٩١ - ٢٩٢

والجواب : أن وجهة استدلالهم بهذه الرواية خطأ وتحريف فليس المقصود بالآخرين أنبياء يأتون بعد محمد صلى الله عليه وسلم كما يزعمون بل المراد من الاولين والآخرين أى السابقين عليه صلى الله عليه وسلم .

. . . .

وقد يتجاوز هؤلاء الأدلة النقلية الى دليل وبرهان عقلى ينظرون فيه الى حال المسلمين ،ذلك الحال الذى أصبح الاسلام معه يعيش فى غربته التى أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم (١) واستغلوا هذا الحال المؤلم ليقولوا ان الاسلام أصبح فى حاجة الى بعثة جديدة ومصلح جديد كما اقتضت سنة الله فى أن يبعث أنبياء كلما احتاجت البشرية الى ذلك .

وتناسوا ان حال المسلمين لم يصل الى ما وصل اليه الا بسبب وجود النحل الضالة أمثال نحلتهم والتى لا تزال تساهم بمعاول هدمها وفسادها فى المجتمعات الاسلامية ولكنا نرد عليهم بأنه وان تردى حال المسلمين فان الاسلام لا يزال هو الاسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولن يقصر عن امداد البشرية بما تحتاج اليه فى أمور دينها ودنياها فيما لا يصل اليه القاديانى أو غيره . وقد تكفل الله بحفظها ولن تحتاج المجتمعات الاسلامية الا الى مخلصين يتفهمون هذا الدين ويعلمونه الناس وينشرونه ويعملون به ومن أجله كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وقد زكى الله هذه الرسالة الخاتمة وارتضاها لنا الى ان تقوم الساعة :

" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا . . . " (٢) .

. . . .

---

(١) قال صلى الله عليه وسلم : " بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء ". صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص ٣٥٨ طبعة دار مطابع الشعب

(٢) المائدة ٣

الخاتمـــــة

أحمد الله تعالى الذى وفقنى لاخراج هذه الرسالة الى حيز الوجـــود والتى أرجو أن أكون قد استوفيت فيها ذكر الخصائص الهامة والجوهرية فى الرسالة المحمدية ، وأن أكون قد سددت وقاربت فى الوفاء بحق هذه الخصائص من الدراسة والبيان والادلة وفى الرد على شبه المنكرين والمعارضين .

ولا أدعى أننى وفيت خصائص الرسالة المحمدية حقها من الكمال ولا يمكن أن يدعى ذلك منصف اذ الموضوع - كما وجدته - يحتاج الى جهد أكثر وتعمق أوسع وبيان أشمل وأرجو أن تكون هذه الرسالة طريقا الى ذلك على أننى قد بذلت فى سبيل اعطاء هذه الخصائص حقها من الدراسة كلما فى الوسع والطاقة لان تكـــون رسالة علمية مستوفية لموضوعاتها ، وكل الذى سجلته فى هذه الرسالة جهد مقـــل ان أحسنت فيه فتوفيق من الله وان قصرت أو أخطأت فمن نفسى ومن الشيطان ونعوذ بالله من زلة النفس وغواية الشيطان .

وهنا أسجل أهم ما توصلت اليه من النتائج فى هذا البحث :

١ - توصلت فى تمهيدى للبحث الى أنه يوجد فرق بين النبى والرسول وان كلا منهما أوحى اليه وأمر بالتبليغ غير أن الرسول أوحى اليه بشرع جديـد أما النبى فقد أوحى اليه بالامر بتبليغ شريعة سابقة ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم جمع له فى رسالته بين الوصفين النبوة والرسالة ورسالته بالنسبة للرسائل السابقة عليه رسالة تشريع جديدة .

٢ - أن النبى محمدا صلى الله عليه وسلم لم يرسل الى البشرية الا حين أصبحت فى حاجة شديدة جدا لهذه الرسالة لتعذر اهتداء الناس فى ذلك الحين الى حقيقة ملة ابراهيم عليه السلام أو توراة موسى أو انجيل عيسى لضياعها

ودخول التحريف والتبديل فيها .

٣ - أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم أوتى من المعجزات أكثر ما أوتى كل نبي من الانبياء السابقين وقد اشتملت معجزاته على معجزات مادية ومعنوية والذى دفع المنكرين لرسالته الى الانكار انما هو مجرد العناد والتعصب الاعمى وهم مأمورون حتى على لسان موسى وعيسى عليهما السلام باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لما ورد عنهما من البشائر بمحمد صلى الله عليه وسلم .

٤ - أن الأدلة النقلية والاجماع والمنهج الذى سلكه الرسول فى حياته وسلكه صحابته من بعده كل ذلك أدلة قوية على عالمية الرسالة المحمدية ومصرح بها وكل انسان على وجه الارض مدعو ومأمور من الله تعالى فى الدخول فى الاسلام ولم تكن عالمية الرسالة المحمدية كما يزعم ذلك كثير من أعداء الاسلام من ابتداع الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وكون الرسالة نزلت بلغة العرب وفى بلاد العرب وجاء بها رسول عربى ليس ذلك الا لمقتضيات خاصة ذكرت أهم مايظهر للمرء من هذه المقتضيات وأما ماخفى علينا من حكمة ذلك فنكله الى الله تعالى :

" الله أعلم حيث يجعل رسالته " .

ولذلك فلا يقبل من عربى أى دعوى احتكار هذه الرسالة على العرب كما لا يقبل من غير العربى دعوى أنه ليس مأمورا بها لكونها عربية وهو غير عربى . فالرسالة المحمدية حق مشاع للجنس البشرى كافة .

٥ - أن المسلمين -عربهم وعجمهم - مأمورون بمواصلة نشر هذه الرسالة وتعميمها ليكونوا بذلك مقتدين بسيرة رسولهم قولا وعملا ومقتفين أثر

صحابته الذين حققوا ما فى وسعهم وطاقتهم من نشر هذه الرسالة وتعميمها اتباعا لنبيهم لا ابتداعا من أنفسهم . ويلاحظ أن هذه الرسالة أخذت تحقق عالميتها فى هذا العصر بشكل ملحوظ دون أن يقف وراء ذلك قوة سلطان أو سلاح وذلك دليل ذاتى من الرسالة على عالميتها .

٦ - فى باب الصلاحية اتضح أن هذه الرسالة المحمدية وان مضى عليها أربعة عشر قرنا من الزمان ومهما مضى عليها من الزمان فى المستقبل فهى الشريعة الوحيدة التى تخاطب الانسان فى فطرته وعقيدته وسلوكه وتوجد لمشاكل الحياة المتجددة وأوضاعها المتطورة حلولا سليمة ولا مكان ولا قبول على الاطلاق لتلك الافكار الضعيفة السقيمة التى يروجها بعض المثقفين بثقافة غربية محضة ويزعمون فيها أن الشريعة الاسلامية شريعة قديمة لا تصلح لهذا العصر ولا تقدر على ايجاد حلول لمشاكله وأوضاعه المتطورة بحجة أنها شريعة عصر غير عصرنا وبيئة غير بيئتنا التى نعيش فيها اليوم ، وقد نسوا أو تناسوا أن هذه الشريعة ليست من وضع البشر وانما هى شريعة خالق البشر الذى يعلم ما كان وما سيكون وما هو صالح لذلك الكائن فى كل زمان ومكان وقد اتضح لى أن كثيرا من علماء القوانين الوضعية المحكمة فى العالم اليوم والتى يعرفونها دراسة وتطبيقا اتضح أن أولئك عندما دفعهم حب الاطلاع فى تخصصهم الى دراسة التشريع الاسلامى أعلنوا شهاداتهم بأن الاسلام هو الشريعة الوحيدة التى تستطيع أن تعايش تغير الاوضاع وتساير العالم فى نموه وتطوره .

٧ - وفى باب ختم النبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن أكد القرآن

الكريم والسنة المطهرة هذه الخصيصة أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سيظهر فى أمته كثير ممن يدعى النبوة وأن جميع من يدعى ذلك كذابون ، وقد ظهر مصداق ذلك على مدى التاريخ فكثر من يدعى النبوة وعلم الناس كذب أولئك غير ان بعض هؤلاء لا يزالون وتنتشر دعواهم تلك فى الارض على أيد معادية للاسلام والمسلمين استغلت هذه الدعوى طريقا لمحاربة الاسلام فى كل مكان .

وخطر هذه النحل - ان لم يجابهها المسلمون باظهار حقيقة كذبها للعالم - كامن فى ما تلحقه بالاسلام من التشويهات والأكاذيب المزيفة خاصة بين الاوساط غير الاسلامية وفى نفوس المسلمين الذين لا يزالون يجهلون كثيرا من خصائص الاسلام .

والله ولى التوفيق وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

الباحث

المراجـــــــــــع

١ - القرآن الكريم .

٢ - أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ .
للدكتور ابراهيم على شعوط
الطبعة الرابعة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م مطبعة دار التأليف .

٣ - الأركان الأربعة .
أبو الحسن على الحسنى الندوى .
الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م دار الفتح للطباعة والنشر .

٤ - الاسلام ضرورة عالمية .
زاهر عزب الزغبى .
١٩٧١ م الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

٥ - الاسلام ظهوره وانتشاره فى العالم .
حامد عبد القادر .
الطبعة الثانية دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة .

٦ - الاسفار المقدسة فى الاديان السابقة للاسلام .
للدكتور على عبد الواحد وافى .
مطبعة دار العالم العربى .

٧ - الاسلام فى مواجهة الماديين الملحدين .
بقلم عبد الكريم الخطيب .
الطبعة الاولى ١٩٧٣م دار الشروق .

٨ - الاسلام عقيدة وشريعة .
للامام محمود شلتوت .
الطبعة السابعة ١٣٩٤ هـ دار الشروق .

٩ - الاسلام رسالة الاصلاح .
مناع القطان

١٠ - أصول الدين .

أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى .

الطبعة الاولى سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨م مطبعة الدولة استانبول .

١١ - أصول الدعوة .

الدكتور عبد الكريم زيدان .

الطبعة الثالثة - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م .

١٢ - اظهار الحق .

تأليف رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى اخراج وتحقيق عمر الدسوقى ونخبة من العلماء مطبعة الرسالة توزيع مكتبة الوحدة العربيـــــة الدار البيضاء .

١٣ - أعلام النبوة .

للشيخ أبى الحسن على بن محمد الماوردى الشافعى .

الطبعة الاولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م دار الكتب العلمية بيروت .

١٤ - اعجاز القرآن والبلاغة النبوية .

تأليف مصطفى صادق الرافعى .

الطبعة التاسعة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م دار الكتاب العربى بيروت .

١٥ - اعلام الموقعين عن رب العالمين .

تأليف شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزيه . راجعه وقدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد .

دار الجيل ١٩٧٣م .

١٦ - اكفار الملحدين فى ضروريات الدين .

محمد أنور شاه الكشميرى .

نشر المجلس العلمى فى كراتشى بباكستان ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م .

١٧ - الأم .

تأليف أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه .

دار مطابع الشعب .

١٨ - الايقان .

بهاء الله الميرزا حسين بن على .

تعريب وطبع المحفل الروحانى المركزى للبهائيين بالقطر المصرى

لعام ١٣٥٢هـ .

١٩ - ايضاح الدلالة فى عموم الرسالة .

لشيخ الاسلام ابن تيمية .

مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية بيروت ١٩٧٠م .

٢٠ - البداية والنهاية .

لابى الفداء اسماعيل بن كثير .

الطبعة الاولى مكتبة المعارف ومكتبة النصر .

٢١ - البهائية .

رد على تحذير جبهة أصحاب الفضيلة العلماء من البهائية والبهائيين .

٢٢ - تاريخ الطبرى المشهور بتاريخ الرسل والملوك .

لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم .

الطبعة الثانية دار المعارف بمصر .

٢٣ - تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل .

علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم الشهير بالخازن .

الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

وبهامشه تفسير البغوى .

٢٤ - تفسير القرآن العظيم .

للامام أبى الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى .

المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٢٥ - التفسير الكبير .

لابى عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازى .

الطبعة الاولى المطبعة البهية المصرية .

٢٦ - تفسير المنار .
محمد رشيد رضا .
الطبعة الثانية مطبعة دار المنار ١٣٦٧ هـ .

٢٧ - تلبيس ابليس .
للامام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى .
قدم له وخرج أحاديثه محمود مهدى الاستانبولى ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م .

٢٨ - التمهيد فى الرد على الملحدة ...
محمد بن الطيب الباقلانى قدم له وعلق عليه محمود الخضيرى ، ومحمد أبوريده .
طبعة سنة ١٣٦٦ هـ بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٢٩ - تهذيب الاسماء واللغات .
محى الدين بن شرف النووى .
المطبعة المنيرية .

٣٠ - تهذيب اللغة .
أبى منصور محمد بن احمد الازهرى .
حققه وقدم له عبد السلام محمد هارون .
طبعة دار القومية العربية للطباعة .

٣١ - الجامع لأحكام القرآن .
أبى عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبى .
طبعة دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م وطبعة دار الكتب المصرية الطبعة الثانية .

٣٢ - جامع البيان عن تأويل آى القرآن .
محمد بن جرير الطبرى .
الطبعة الثانية مطبعة البابى الحلبى ١٣٧٣هـ .

٣٣ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .
لشيخ الاسلام بن تيمية .
مطابع المجد التجارية .

٣٤ - حقائق الاسلام وأباطيل خصومه .
عباس محمود العقاد .
الطبعة الثالثة بيروت ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م دار الكتاب العربى .

٣٥ - حقيقة البابية والبهائية .
الدكتور محسن عبد الحميد .
الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م المكتب الاسلامى .

٣٦ - حياة محمد .
محمد حسين هيكل .
الطبعة الثالثة عشر ١٩٦٨م مكتبة النهضة المصرية .

٣٧ - خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم .
محمد أبو زهره .
الطبعة الاولى ١٩٧٢ ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى .

٣٨ - الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب .
جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطى تحقيق الدكتور محمد خليل هراس .
مطبعة المدنى ١٩٦٧م - ١٣٨٦ هـ .

٣٩ - الدستور القرآنى فى شئون الحياة .
محمد عزة دروزه صححه وخرج آياته وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقى
طبعة دار احياء الكتب العربية .

٤٠ - الدعوة الى الاسلام بحث فى تاريخ نشر العقيدة الاسلامية .
تأليف سيرتوماس . و. آرنولد ترجمة حسن ابراهيم وزميلاه .
الطبعة الثالثة ١٩٧٠م مكتبة النهضة المصرية .

٤١ - دعوة التوحيد .
تأليف محمد خليل هراس .
الطبعة الثانية مطبعة عاطف وسيد طه وشركاهما .

٤٢ - الدعوة الاسلامية دعوة عالمية .
تأليف على عبد الحليم محمود .
الكتاب الثامن والاربعون من سلسلة التعريف بالاسلام ...
مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر .

٤٣ - الدعوة الاسلامية دعوة عالمية .
تأليف محمد الراوى .
دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .

٤٤ - الدعوة الاسلامية ووسائلها فى عصر النبى عليه السلام .
تأليف الدكتور احمد احمد غلوش .
الطبعة الاولى ١٩٧٦م دار الجيل للطباعة .

٤٥ - دفاع عن العقيدة والشريعة
محمد الغزالى .
الطبعة الثالثة .

٤٦ - الرسالة .
محمد بن ادريس الشافعى تحقيق احمد محمد شاكر .
الطبعة الاولى ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨م مطبعة مصطفى البابى الحلبى .

٤٧ - رسالة التوحيد .
الاستاذ الامام محمد عبده .
الطبعة الرابعة دار الفكر بيروت .

٤٨ - الرسالة المحمدية وشواهدها .
محمود عبد الوهاب فايد .
الطبعة الاولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م .
دار الطباعة المحمدية بالازهر بالقاهرة .

٤٩ - روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم .
لشهاب الدين محمود الالوسى .
ادارة الطباعة المنيرية دار احياء التراث العربى بيروت .

٥٠ - روضة الناظر وجنة المناظر فى أصول الفقه .
عبد الله بن أحمد بن قدامه .
طبعة عام ١٣٨٩ هـ مطابع الجزيرة بالرياض .

٥١ - زاد المعاد فى هدى خير العباد ...
للامام ابن قيم الجوزية .
المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت .

٥٢ - السلام العالمى والاسلام .
سيد قطب .

٥٣ - سنن أبى داود .
لابى داود سليمان السجستانى .

٥٤ - سنن ابن ماجه .
لابى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى .

٥٥ - سنن الترمذى .
أبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى .

٥٦ - سيرة النبى صلى الله عليه وسلم .
تأليف عبد الملك بن هشام راجعه وعلق عليه الدكتور محمد خليل هراس .
نشر مكتبة الجمهورية .

٥٧ - شرح ابن عقيل .
عبد الله بن عقيل وتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .
الطبعة الرابعة عشرة ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م دار الكتاب العربى بيروت .

٥٨ - شرح الفقه الاكبر .
ملا على القارئ .
طبعة دار الكتب العربية الكبرى سنة ١٣٢٧ هـ .

٥٩ - شريعة القتال فى الاسلام .
عثمان السعيد الشرقاوى .
الطبعة الاولى ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م .

٦٠ - الشريعة .
للامام أبى بكر محمد بن الحسين الاجرى تحقيق محمد حامد الفقى .
الطبعة الاولى ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠م .

٦١ - شرح المقاصد .
سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى .
طبعة دار الطباعة العامرة سنة ١٢٧٧ هـ .

٦٢ - شرح المواقف .
الشريف على بن محمد الجرجانى .
الطبعة الاولى ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧م مطبعة السعادة بمصر .

٦٣ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى .
القاضى أبى الفضل عياض اليحصبى .
دار الفكر بيروت .

٦٤ - الشيعة والسنة .
الاستاذ احسان الهى ظهير .
الطبعة الثانية لاهور ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م مطبعة وفاق .

٦٥ - صحيح البخارى .
لابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى رضى الله عنه .
دار مطابع الشعب .

٦٦ - صحيح مسلم .
للامام مسلم بن الحجاج بن مسلم . بشرح النووى .
للامام يحيى بن شرف النووى تحقيق واشراف عبد الله احمد أبو زينه .
دار مطابع الشعب .

٦٧ - العقيدة الاسلامية وأسسها .
عبد الرحمن حسن حبنكه الميدانى .
الطبعة الاولى .

٦٨ - عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ...
الدكتور عثمان عبد المنعم عيش .
الطبعة الاولى ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م .

٦٩ - عقيدة المسلم .
للاستاذ محمد الغزالى .
الطبعة الرابعة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦م دار الكتاب العربى بمصر .

٧٠ - العقيدة والشريعة فى الاسلام ...
المستشرق اجناس جولد تسيهر .
نقله الى العربية الدكتور محمد يوسف موسى وزميلاه .
الطبعة الثانية مطابع دار الكتاب العربى بمصر .

٧١ - عمدة القارىء شرح صحيح البخارى .
بدر الدين محمود أحمد العينى .
المطبعة المنيرية بيروت .

٧٢ - العهد الجديد .
طبعة المطبعة الامريكانية فى بيروت سنة ١٩١٢م .

٧٣ - العهد العتيق .
المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥١م .

٧٤ - فتح القدير ...
تأليف محمد بن على بن محمد الشوكانى .
الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤م مطبعة مصطفى البابى الحلبى ..

٧٥ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد .
تأليف عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ تحقيق محمد حامد الفقى .
الطبعة الثامنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م مطابع القصيم بالرياض .

٧٦ - الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم .
عبد القاهر بن طاهر البغدادى .
الطبعة الاولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م دار الآفاق الجديدة بيروت .

٧٧ - الفصل فى الملل والاهواء والنحل .
للامام على بن أحمد بن حزم الظاهرى .
الطبعة الثانية أعيد طبعه بالاوفست ١٣٩٥ هـ دار المعرفة
بيروت .

٧٨ - فى ظلال القرآن .
سيد قطب .
الطبعة الثالثة طبعة دار الشروق .

٧٩ - القاديانية تاريخها وغاياتها .
للرزا احمد مظاهرى وناصر الدين شاه ومحمد نواز .
الطبعة الاولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .

٨٠ - القاديانية دراسات وتحليل .
الاستاذ احسان الهى ظهير .
الطبعة الثالثة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ترجمان السنة باكستان .

٨١ - القاديانى والقاديانية دراسة وتحليل .
ابوالحسن على الحسنى الندوى .
الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م الدار السعودية للنشر .

٨٢ - القاموس المحيط .
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى .
الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م مطبعة مصطفى البابى الحلبى ..
بمصر .

٨٣ - القاديانية نشأتها وتطورها .
للاستاذ حسن عيسى عبد الظاهر .
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م
القاهرة .

٨٤ - قصص الانبياء .
عبد الوهاب النجار .
الطبعة الثالثة .

٨٥ - قصة الحضارة .
ول ديورانت ترجمة محمد بدران .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٨١ هـ -
١٩٦١م .

٨٦ - القول الصريح فى ظهور المهدى والمسيح .
للقاديانى نذير احمد السيالكوتى .
الطبعة الثالثة ١٣٨٩ هـ طبع وكالة التبشير للتحريك الجديد
باكستان .

٨٧ - لسان العرب .
جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور .
مطبعة دار صادر بيروت .

٨٨ - لوائح الانوار البهية ...
محمد احمد السفارينى .
الطبعة الاولى ١٣٢٣ هـ مطبعة مجلة المنار الاسلامية .

٨٩ - ما يقال عن الاسلام .
عباس محمود العقاد .
الطبعة الثانية ١٩٦٦م دار الكتاب العربى بيروت .

٩٠ - مبادئ الاسلام .
أبو الاعلى المودودى .
مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م .

٩١ - مجموعة الحواشى البهية على شرح العقائد النسفية .
مطبعة كردستان العلمية بمصر سنة ١٣٢٩ هـ .

٩٢ - مجلة الدعوة التى تصدر فى الرياض العددين ٦٢٧ ، ٦٤٩ .

٩٣ - مجلة رابطة العالم الاسلامي عدد رمضان عام ١٣٩٤ هـ .

٩٤ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .
علي بن أبي بكر الهيثمي .
طبعة مكتبة القدس بالقاهرة .

٩٥ - مجموعة العبقريات الاسلامية .
عباس محمود العقاد .
الطبعة الاولى ١٣٩١ هـ دار الكتاب العربي بيروت .

٩٦ - محاضرات الجامعة الاسلامية للعام الدراسي ٩٣/٩٤ .

٩٧ - محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
محمد رضا .
الطبعة الرابعة ١٩٦١م دار الكتب العلمية بيروت .

٩٨ - محمد رسول الله وخاتم النبيين .
محمد الخضر حسين .
مطبعة العلم بدمشق ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م .

٩٩ - محاضرات في النصرانية ...
محمد أبو زهره .
الطبعة الثالثة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦م . مطبعة يوسف .

١٠٠ - مختار الصحاح .
محمد بن أبي بكر الرازي .
طبعة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١م مكتبة المؤيد الطائف .

١٠١ - المسند .
للامام احمد بن حنبل .

١٠٢ - مشكاة المصابيح .
لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي تحقيق محمد ناصر الدين الالباني .
طبعة المكتب الاسلامي بدمشق .

١٠٣ - مطالع النور أو طوالع البعثة المحمدية .
عباس محمود العقاد .
مطبعة المدنى .

١٠٤ - مفتاح باب الابواب .
الدكتور ميرزا محمد مهدى خان .
الطبعة الاولى بمطبعة المنار الاسلامية بمصر سنة ١٣٢١ هـ .

١٠٥ - مقارنة الاديان .
١ - اليهودية الطبعة الثالثة ١٩٧٣م .
٢ - المسيحية الطبعة الرابعة ١٩٧٣م .
٣ - الاسلام الطبعة الرابعة ١٩٧٣م .
للدكتور احمد شلبى .
طبع مكتبة النهضة المصرية .

١٠٦ - الملل والنحل .
محمد بن عبد الكريم الشهرستانى صححه وعلق عليه الشيخ أحمد فهمى محمد . الطبعة الاولى ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م مطبعة حجازى بالقاهرة .

١٠٧ - منهج القرآن فى الدعوة الى الايمان على محمد فقيهى .
رسالة ماجستير . جامعة الملك عبد العزيز الدراسات العليا .

١٠٨ - الموافقات فى أصول الشريعة .
لابى اسحاق الشاطبى شرح الاستاذ عبد الله دراز .
دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

١٠٩ - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية .
احمد بن محمد القسطلانى .
دار الكتب العلمية .

١١٠ - الموطأ .
للامام مالك بن أنس رضى الله عنه .
صححه ورقمه وخرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقى .
دار مطابع الشعب بالقاهرة .

١١١ - مناهل العرفان فى علوم القرآن .

محمد عبدالعظيم الزرقانى .

دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى .

١١٢ - ميزان الاعتدال فى نقد الرجال .

محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى تحقيق على محمد البجاوى .

الطبعة الاولى ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م دار احياء الكتب العربية .

١١٣ - النبوة والانبياء فى ضوء القرآن .

ابوالحسن الندوى .

الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م المختار الاسلامى .

١١٤ - النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم .

أبوالحسن الندوى .

الطبعة الاولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م المختار الاسلامى .

١١٥ - النبأ العظيم .

للدكتور محمد عبدالله دراز .

الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ دار القلم .

١١٦ - نبوة محمد فى القرآن . .

حسن ضياء الدين عتر .

الطبعة الاولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م طبعة دار النصر سوريا

١١٧ - ندوة محاضرات حج ١٣٩٣ هـ .

١١٨ - نهاية الاقدام فى علم الكلام .

محمد بن عبدالكريم الشهرستانى .

الناشر مكتبة المثنى ببغداد .

١١٩ - الوحى المحمدى .

محمد رشيد رضا .

الطبعة السادسة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م شركة الطباعة الفنية المتحدة .

١٢٠ - هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى .

محمد بن أبى بكر ابن قيم الجوزية .

مطبوع ضمن محتويات الجامع الفريد المطبوع على نفقة " الجميح " .

١٢١ - هذا ديننا .

محمد الغزالى .

الطبعة الثالثة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م مطبعة حسان .

فهـــــــرس الموضوعـــــــات

الموضـــــــوع	الصفحـــة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

تمت الرسالة وصلى الله على محمد .

